العرب (الثقافي)

سوينكا يهدد ترامب بمغادرة أميركا

فوزي ذبيان: الرواية العربية تكتبها الكارثة
عمار المأمون: الأخوان ملص على مسرح باريسي
شادي علاء الدين: فنان الإيقاع اللبناني سركسيان يصمت
وليد علاء الدين: هل غشنا صبري موسى
مفيد نجم: رواية عن أبناء القاع الإيطالي
أمير العمري: «مانشستر من البحر» فيلم الحب المفقود
سعد القرش: تحديث وحداثة وفيسبوك
ص 11 إلى 16

وجوه

عبدالعزيز المقالح ص8
شاعر اليمن الذي يخشى المتحاربون شعره وصمته
ماكماستر ص7
بيضة قبان الجمهوريين في البيت الأبيض
الحب العذري ص9
حرمان في غلالة العفاف
قيصر الجميل ص10
رسام النساء الجميلات والطبيعة الساحرة

العرب
alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2017/02/26 الموافق لـ 29 جمادى الأولى 1438
السنة 39 العدد 10555

Sunday 26/02/2017
39th Year, Issue 10555

الجبير يبحث في بغداد سحب العراق من ملعب إيران

● تعيين سفير سعودي جديد وحرص على فتح منفذ الجميمة الحدودي

العبادي بحاجة إلى دعم سعودي

❑ **بغداد** – عكست زيارة عادل الجبير، وزير الخارجية السعودي، لبغداد رغبة سعودية في تشجيع العراق على التخلص التدريجي من الهيمنة الإيرانية على قراره الوطني.

وتلتقي الرغبة السعودية في استعادة العراق للصف العربي مع ضغوط إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب على رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي للنأي بنفسه عن التحالف مع إيران التي بدأت الإدارة الأميركية في تطويقها بتحالف أوسع يضم واشنطن وأنقرة وعواصم عربية عدة.

وبحث العبادي خلال لقائه بالجبير عدة ملفات أبرزها التعاون بين البلدين لمحاربة تنظيم داعش الإرهابي، وفق بيان حكومي.

وقال بيان صادر عن مكتب العبادي إن اللقاء بحث أيضاً "التأكيد على أهمية بذل المزيد من الجهود من أجل التعاون في محاربة الإرهاب".

ونقل البيان عن الجبير تأكيده "دعم السعودية للعراق في محاربة الإرهاب"، مبدياً استعداد المملكة لـ"دعم إعادة الاستقرار في المناطق المحررة".

وأكد الجبير عقب لقاء جمعه بنظيره العراقي إبراهيم الجعفري أن الزيارة تأتي لإعادة العلاقات الثنائية إلى مسارها الصحيح، مشيرا إلى أن "المملكة تقف على مسافة واحدة من المكونات العراقية وتدعم وحدة واستقرار العراق".

وأكد الجبير أن هناك رغبة للعمل على فتح منفذ الجميمة الحدودي وبحث ملف تشغيل الخطوط الجوية المباشرة بين البلدين.

وكشف مسؤول بوزارة الخارجية العراقية عن أن الجبير قال لمسؤولين عراقيين في بغداد السبت إن السعودية تعتزم تعيين سفير جديد لدى العراق.

وسيكون السفير الجديد خلفا للسفير السابق ثامر السبهان الذي كان تسلم مهامه في ديسمبر 2015، بعد 25 عاماً من القطيعة بين البلدين، ثم تم استدعاؤه في أكتوبر الماضي للرياض على خلفية تصريحات انتقد فيها ميليشيا الحشد الشعبي.

وقالت مصادر عراقية مطلعة لـ"العرب" إن الزيارة لم تكن مفاجئة، وأنه تم استبقاها بمشاورات استمرت لشهور، بين رئيس جهاز المخابرات العراقي مصطفى الكاظمي، والدبلوماسي الأميركي المخضرم زلماي خليل زادة، والجنرال الأميركي المتقاعد ديفيد بترايوس، مع مسؤولين سعوديين بارزين.

ووفقا لقيادي بارز في اتحاد القوى "السنية" تحدث مع "العرب"، فإن "الزيارة كان مخططا لها منذ وقت ليس بالقصير، ولكنها كانت تتعثر كل مرة بسبب حادثة أو تصريح هنا أو هناك"، مؤكدا أن "الأميركان لعبوا دورا كبيرا في ترطيب العلاقات بين بغداد والرياض منذ وصول ترامب إلى الرئاسة".

وكشفت المصادر أن جدول أعمال زيارة الجبير إلى بغداد تضمن استماع الرياض لوجهة نظر بغداد بشأن المستقبل السياسي للبيت السني العراقي، وتحديد مسار الاعتدال لدعمه، يضاف إلى ذلك عرض السعودية لتصوراتها حول الوضع في المنطقة في ظل التصعيد الإيراني، فضلا عن محاولة فهم مستوى تأثير رئيس الوزراء السابق نوري المالكي على مجريات الوضع السياسي في العراق".

وأبلغ سياسي عراقي، على صلة بإدارة ترامب "العرب" بأن زيارة الجبير إلى بغداد في هذا التوقيت "هي محاولة لإبعاد القرار الرسمي للحكومة العراقية عن أيّ تبعية، نتيجة التفاعلات لأيّ أزمة محتملة بين الخليج وتركيا بدعم أميركي من جهة، وإيران من جهة ثانية".

وقال إن "الأميركان طلبوا من السعودية تحديدا إطلاع الحكومة العراقية على رؤيتها المُحتملة للوضع بالمنطقة، في ظل التصعيد الإيراني المتوقع".

واعتبر إحسان الشمري، مستشار سياسي في مكتب العبادي، أن السعودية تعود للعراق بثقلها العربي المهم، مشيرا إلى أن المنطقة تمضي نحو التسوية والسعودية تجد في العراق طرفا مهما ويحظى بثقة الجميع.

وجاءت زيارة الجبير بعد أيام من حراك أميركي نشط نحو بغداد، تمثل في زيارة جيمس ماتيس وزير الدفاع الأميركي إلى العراق، ولحقت ذلك مكالمة هاتفية بين ريكس تيلرسون وزير الخارجية الأميركي والعبادي.

واعتبر المحلل السياسي العراقي علي الأوسي أن "زيارة الجبير إلى بغداد تمثل تطورا جديدا في الدبلوماسية السعودية لمقاربة الحالة العراقية ميدانيا"، موضحا أن "هذه المقاربة لا تنفصل عن سياسة أميركية جديدة في المنطقة تنبني على مكافحة ما تسميه بتمدد النفوذ الإيراني في العراق وسوريا ولبنان واليمن".

ولفت الأوسي إلى أن نجاح هذا الاختراق يبقى معلقا على حجم وطبيعة الجدية الأميركية لتغيير مستويات النفوذ والقوة الإقليمية في المنطقة".

ويرى مشرق ناجي القيادي في تيار الأحرار، التابع للزعيم الشيعي مقتدى الصدر، أن زيارة الجبير "تطوّر إيجابي مهمّ يصبّ في صالح العراق، وعلى رئيس الحكومة والمسؤولين استثمار هذه الزيارة والتعامل معها بما يخدم مصالح الدولة العراقية".

وأثارت زيارة الجبير حفيظة عدد من نواب ائتلاف دولة القانون بزعامة المالكي، ليطلقوا تصريحات متشنجة بشأن دوافعها وأهدافها.

وقالت النائبة عالية نصيف إن هذه الزيارة لا تختلف عن زيارات سابقة أداها عدد من المسؤولين العرب، مضيفة أن السعودية تنظر إلى العراق من موقع أعلى.

وذكر النائب هاشم الموسوي، عن كتلة المواطن بزعامة عمار الحكيم، أن الزيارة تأتي "بمبادرة سعودية لمعالجة اندماج العراق مع الوضع الإيراني على ما يعتقدون".

واعتبر لقمان فيلي، سفير العراق السابق لدى الولايات المتحدة، أن العراق يحتاج إلى أن يخرج من الحصار الخليجي له وزيارة وزير الخارجية السعودي تساعد في ذلك، مقللا من التوصل إلى نتائج حينية، ومشددا على أن "صدأ العلاقة يحتاج إلى حوار طويل ومستمر لإزالته".

وأضاف فيلي أن "السعودية دولة مهمة ونحتاج ألا تكون معادية للعراق".

تعديل وزاري محدود في تونس

❑ **تونس** – لم يخضع يوسف الشاهد رئيس الحكومة التونسية لضغط بعض النقابات الهادف إلى إقالة وزير التربية ناجي جلول. وحافظ الشاهد على وزيره المثير للجدل في التعديل الحكومي المحدود الذي أجراه السبت.

وشملت الإقالة عبيد البريكي، القيادي السابق باتحاد الشغل، الذي كان يمسك بحقيبة الوظيفة العمومية، والذي لوّح بالاستقالة دون أن يقدّمها، وهو ما فهم على أن رسالة ضغط على الحكومة من جهة وتعاطف مع النقابات من جهة ثانية.

وأعلن البريكي الجمعة أنه سيستقيل من منصبه لأسباب قال إنه سيكشفها "لاحقا". ولم يخف أمس تفاجؤه بقرار الإقالة، لكنه تمسك بعدم الحديث عن أسبابها.

واعتبر الاتحاد العام التونسي للشغل التعديل الوزاري تجاوزا لـ"وثيقة قرطاج" التي وقعت العام الماضي، بمشاركة الاتحاد؛ لـ"عدم تجاوبه مع مشكلات الواقع الحالي".

وفي بيان نشره الاتحاد على صفحته الرسمية بموقع "فيسبوك"، قال أمينه العام المساعد، سامي الطاهري إنّ اتحاد الشغل لم يستشر في التعديل الوزاري، و"أن في ذلك الكثير من التجاوز لوثيقة قرطاج".

وقالت الحكومة في بيان لها إن الشاهد "قرر إجراء تعديل وزاري تم بمقتضاه تعيين أحمد عظوم وزيرا للشؤون الدينية، وخليل الغرياني وزيرا للوظيفة العمومية والحوكمة، وعبداللطيف حمام كاتب (وزير) دولة للتجارة".

وسيخلف أحمد عظوم في وزارة الشؤون الدينية عبدالجليل بن سالم الذي أقالته الحكومة في 4 نوفمبر 2016 بسبب "عدم احترامه لضوابط العمل الحكومي وتصريحاته التي مست بمبادئ وثوابت الدبلوماسية التونسية" وفق بيان حكومي صدر يومها.

ووزير الشؤون الدينية الجديد أحمد عظوم قاض، سبق أن تولى مسؤوليات حكومية أهمها وزارة أملاك الدولة.

وجاء خليل الغرياني بدلا من البريكي على رأس وزارة الوظيفة العمومية والحوكمة. والغرياني رئيس لجنة الشؤون الاجتماعية في "الاتحاد التونسي للصناعة والتجارة والصناعات التقليدية" وهي منظمة أرباب العمل الرئيسية في تونس.

ويخلف عبداللطيف حمام في كتابة الدولة للتجارة فيصل الحفيان. وكان حمام مديرا عاما لـ"الديوان الوطني التونسي للسياحة".

وأعلنت الحكومة أن الشاهد عيّن فيصل الحفيان "مستشارا لدى رئيس الحكومة".

وليس لعظوم وحمام انتماءات سياسية معلنة، في حين ينتمي فيصل الحفيان إلى حزب نداء تونس الذي يقود الحكومة.

ما لم يتغير بعد نصف قرن على الهزيمة
خيرالله خيرالله
ص5

المغرب يحكم تطويق البوليساريو أفريقيا ودوليا

● الملك محمد السادس يطالب غوتيريس بوقف انتهاكات البوليساريو ● المغرب يستثمر الشراكة الاقتصادية في دعم وحدة أراضيه

❑ **الرباط** – يوسّع المغرب من تحركاته لحصار جبهة البوليساريو خارجيا، وإفشال أيّ تأثير للدعم الذي تقدّمه لها الجزائر.

وبعد أن نجحت الزيارات المتتالية التي قام بها العاهل المغربي الملك محمد السادس إلى دول أفريقية في تطويق البوليساريو، عكس الاتصال الذي أجراه مع الأمين العام الجديد للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريس رغبة مغربية في توسيع الضغوط على الجبهة الانفصالية.

وطلب العاهل المغربي من الأمين العام للأمم المتحدة الجمعة، "اتخاذ إجراءات عاجلة للحدّ من بعض الممارسات التي تهدّد اتفاق وقف إطلاق النار وحالة الاستقرار الإقليمي بالصحراء المغربية".

ولفت الملك محمد السادس انتباه غوتيريس في اتصال هاتفي إلى الوضعية الخطيرة التي تسود منطقة الكركرات بالصحراء المغربية، بسبب التوغّلات المتكررة للعناصر المسلحة للبوليساريو وأعمالهم الاستفزازية.

وذكر بلاغ للديوان الملكي "بأن وزارتي الشؤون الخارجية والتعاون والداخلية والمفتشية العامة للقوات المسلحة الملكية كانت قد أشعرت، في مناسبات عدة، المينورسو والأمم المتحدة بهذه الأعمال التي تتم بشكل مقصود، بهدف خلق البلبلة ".

وأكد محمد بودن، رئيس مركز أطلس لتحليل المؤشرات السياسية والمؤسساتية، في تصريح لـ"العرب"، أن الاتصال الملكي سيمكّن من تعبئة جزء كبير من المجموعة الأفريقية والمجتمع الدولي، ويعتبر خطوة للتأكد مبكرا من نوايا الأمين العام الجديد بشأن الملف، والحصول على ضمانات أممية بشأن عدم خرق اتفاق إطلاق النار في ظل تلويح البوليساريو بورقة الحل العسكري.

واعتبر صبري الحو، الخبير المغربي في القانون الدولي والهجرة، في تصريح لـ"العرب" أن الاتصال الملكي بغوتيريس يهدف إلى تبرئة ذمة المغرب من أيّ مسؤولية في اندلاع الحرب بسبب تنامي وتعدد وتكرار استفزازات البوليساريو.

وقال متابعون للشأن المغربي إن عودة المغرب إلى الاتحاد الأفريقي، والدعم الذي تلقاه رؤيته إقليميا ودوليا لإدارة ملف الصحراء من شأنه أن يدفع غوتيريس إلى النأي بنفسه عن سياسة خلفه بان كي مون الذي فشل في إدارة الملف.

وعرف عن بان كي مون انحيازه لطرف دون آخره وإطلاق تصريحات غير محسوبة عقدت مهمة المنظمة الأممية في الإمساك بالملف.

وكان المغرب قد انضم مجددا إلى الاتحاد الأفريقي في أعقاب انعقاد القمة 28 للاتحاد بالعاصمة الإثيوبية أديس أبابا بعد أن انسحب منها في 1984 احتجاجا على عضوية جبهة البوليساريو.

وذكرت وزارة الشؤون الخارجية والتعاون المغربية أن الرباط أبلغت "رئيسة ليبيريا والرئيسة الحالية للمجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا برغبتها في الانضمام إلى هذا التجمع الإقليمي كعضو كامل العضوية".

وعزا محللون هذه الخطوة إلى رغبة المغرب في استثمار شراكته الاقتصادية في تقوية موقفه، وزيادة الضغط على البوليساريو ومن ورائها الجزائر.

واعتبر بودن أن هذا الطلب يهدف إلى التأكيد على أن التواجد المغربي في القارة يتطلب تطوير آليات العمل وتعزيز العلاقات مع الدول الأعضاء. وباعتباره كأول بلد أفريقي مستثمر في غرب أفريقيا سيتمكن بعد نيله لعضوية المجموعة من التحرك بسهولة أكبر في هذا المجال والتفاوض على مصالحه في القارة من موقع أقوى وضمان كتلة داعمة.

وأفاد بلاغ وزارة الشؤون الخارجية والتعاون، بأن "هذه الرغبة في الانضمام إلى المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا (أكواس) تندرج في إطار الرؤية الملكية للاندماج الإقليمي باعتباره مفتاحا للإقلاع الاقتصادي".

واعتبر محمد بودن، أن تواجد الملك لمدة شهر في المجال الأفريقي يخدم هذا القرار وقرارات أخرى ترتبط بتواجد المغرب في عمقه ويمثل خطوة استراتيجية مدروسة لما تمثله منطقة غرب أفريقيا بالنسبة إلى المغرب من عمق استراتيجي بحكم تعدد الروابط التي تجمعه بدول المنطقة.

وأكد بودن على أن المغرب يرغب عبر هذا الخطوة في تطوير موقعه في تجمع "أكواس" من عضو مراقب إلى عضو كامل العضوية حرصا منه على جعل مشروع أنبوب الغاز الذي سيربط بين نيجيريا والمغرب مشروعا إقليميا، فضلا عن مشروع الطريق السيارة طنجة–لاغوس، والمساهمة في عمليات الأمن والسلم وترسيخ الديمقراطية بالمنطقة.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

اتفاق متعثر لوقف إطلاق النار بطرابلس

إنهاء الفلتان الأمني في ليبيا أولوية قصوى للأمم المتحدة

نجح المجلس الرئاسي الليبي في التوصل إلى اتفاق إطلاق نار بين الميليشيات في العاصمة طرابلس بعد يومين من الاشتباكات المسلحة، على الرغم من أن تثبيته بصفة دائمة يبقى رهينة العديد من الشروط،ويأتي هذا في وقت دعت فيه الأمم المتحدة إلى إنهاء الفلتان الأمني في البلاد.

❏ **طرابلس** – أعلن المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق الوطني، فجر السبت، التوصل إلى وقف لإطلاق النار، بالعاصمة طرابلس، تشرف عليه الأجهزة المعنية التابعة لها، وأعيان من مدينتي ترهونة وغريان.

وتكوّن الاتفاق من 5 بنود رئيسة ويبدأ بوقف إطلاق النار من الساعة الحادية عشرة والنصف ليلا بتوقيت الجمعة، وحدد المقار التي يجب أن ينسحب منها مقاتلو الطرفين وتمركز قوة من وزارتي الدفاع والداخلية بحكومة الوفاق في خط التماس للفصل بين الأطراف المتنازعة، وفقا لبيان صادر عن المجلس.

وقد شهدت العاصمة الليبية طرابلس في الأيام الأخيرة ، اشتباكات متقطعة، بدأت مساء الخميس، بين قوات الأمن المركزي فرع أبوسليم، التابع لوزارة الداخلية في حكومة الوفاق (المعترف بها دوليا)، وكتيبة البركي، التابع لوزارة دفاع حكومة الإنقاذ (غير معترف بها دوليا).

وأضاف البيان الصادر، أنه تم تشكيل لجنة أمنية لمتابعة تنفيذ الاتفاق وكذلك لجنة من وزارة الصحة لمتابعة علاج الجرحى والمصابين وأخرى لتقييم الأضرار التي لحقت بالمباني وإصلاحها وتعويض الأهالي والمتضررين.

وأكد المجلس أنه سيستمر في عمله لإنهاء كافة مظاهر التسلح غير المشروعة وخروجها من العاصمة وفقاً للترتيبات الأمنية والقرارات السابقة بالخصوص.

وتعهد المجلس الرئاسي بملاحقة المخالفين لذلك والقبض عليهم لمحاكمتهم أمام القضاء.

وذكّر المجلس "المجتمع الدولي بمسؤولياته تجاه أمن وسلامة المواطنين الليبيين وندعوه إلى أن يحقق وعوده بدعم الاستقرار في ليبيا وأن يلتزم بالمساعدة في معالجة المعضلات الأمنية وملاحقة من يستخدمون العنف ويهددون أرواح المواطنين المدنيين معرقلين بذلك كل توجه لإقرار السلم وإرساء الأمن".

ويؤكّد مراقبون أن تثبيت وقف إطلاق النار يبقى مهمة معقدة للمجلس الرئاسي الليبي، خاصة مع فوضى انتشار السلاح وتضارب المصالح لدى قادة عدد من الميليشيات المسيطرة على العاصمة طرابلس.

> تثبيت وقف إطلاق النار يبقى مهمة معقدة للمجلس الرئاسي الليبي، خاصة مع فوضى انتشار السلاح وتضارب المصالح لدى قادة عدد من الميليشيات المسيطرة على العاصمة طرابلس

وعن سبب الاشتباكات، ذكرت الصفحة الرسمية لقوات الأمن المركزي-أبوسليم، على "فيسبوك" أن "الاشتباكات تدور مع مجموعة مسلحة تتمركز في مقر الشرطة العسكرية سابقاً، تدّعي تبعيتها لكتيبة الشهيد البركي، وذلك على خلفية قيامهم بخطف أربعة أعضاء تابعين لفرع الأمن المركزي أبوسليم".

ورحّب مارتن كوبلر الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة في ليبيا باتفاق وقف إطلاق النار.

وفيما أعلن عن شجبه اندلاع أعمال العنف في منطقة أبوسليم والتي أسفرت عن العديد من الخسائر، فإنه أثنى في بيان على الجهود التي بذلها المجلس الرئاسي والقيادات المجتمعية بهدف التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار ومنع المزيد من التصعيد، داعيا إلى ضرورة أن «يتم تنفيذ بنود الاتفاق ومحاسبة المسؤولين عن أعمال العنف».

وقال الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة "أتقدم بخالص المواساة لجميع المتضررين من جراء أعمال العنف، وبالأخص أسر الضحايا والمصابين"، لافتًا إلى أن "هذا الحادث يدل مرة أخرى على الحاجة إلى الإسراع في إيجاد حل سياسي وبناء جيش ليبي موحد يعمل تحت سلطة مدنية توفر الأمن لجميع الليبيين".

ودعا كوبلر إلى الإسراع في تفعيل قوات الشرطة والأمن لحماية الليبيين من الجريمة والفلتان الأمني، معربًا في الوقت نفسه عن دعمه الكامل للمجلس الرئاسي باعتباره السلطة التنفيذية الشرعية الوحيدة في ليبيا، مطالبًا ببذل المزيد من الجهود نحو تنفيذ الاتفاق السياسي الليبي بناء على ما جاء في قرارات مجلس الأمن الخاصة بليبيا.

وشدد على أن الأمم المتحدة والمجتمع الدولي ملتزمان بمساعدة الشعب الليبي على إيجاد حلول لخلافاته ودعم جميع المساعي الليبية الهادفة إلى ضمان الوحدة والاستقرار والسلام.

وبدأت الحياة الطبيعية تعود تدريجيًا إلى حي أبوسليم، بعد ساعات من الإعلان عن وقف اشتباكات مستمرة منذ يومين.

وقال مصدر مسؤول بلجنة الأزمة التي شكلتها حكومة الوفاق إن "الأمور الآن أصبحت هادئة وبدأت الحركة تعود تدريجيًا". وأضاف أن "المجلس الرئاسي سيشكل لجنة لحصر الأضرار المادية الناتجة عن الاشتباكات والتي لحقت بعدد كبير من المنازل والعمل على تعويض أصحابها".

وأشار إلى أن الاشتباكات أسفرت عن مقتل 4 وجرح أكثر من 30 آخرين، دون ذكر انتماء هؤلاء الضحايا.

لا استقرار في وجود الميليشيات

ووفق تقارير إخبارية فإن "حي أبوسليم (أحد أكبر الأحياء بطرابلس)، شهد صباح السبت انتشار وحدات أمنية تابعة لحكومة الوفاق.

واستلمت الوحدات الأمنية بعض المقرات التي كان يتمركز بها المسلحون، ولم يسجل أيّ خرق لوقف إطلاق النار.

ووصف مراقبون هذه الاشتباكات التي تأتي بعد نحو أربعة أيام من محاولة اغتيال رئيس حكومة الوفاق الوطني فايز السراج ، بأنها الأعنف من نوعها في طرابلس منذ سنوات.

وحذر هؤلاء من تداعياتها على مناخات الحوار التي بدأت تتجمّع على وقع الحراك السياسي والدبلوماسي لتونس ومصر والجزائر لإيجاد تسوية سياسية للمأزق الليبي تقوم على قاعدة الحوار والتوافق.

وكثفت الدول الثلاث من تحركاتها واتصالاتها بالفرقاء الليبيين لحثهم على الجلوس إلى طاولة الحوار، حيث اجتمع الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي، الخميس، مع عبدالرحمن السويحلي رئيس المجلس الأعلى للدولة بليبيا، الذي بدأ الخميس زيارة رسمية إلى تونس بدعوة من رئيس مجلس نواب الشعب (البرلمان)، محمد الناصر.

وقالت دائرة الإعلام والتواصل التابعة للرئاسة التونسية في بيان لها، إن الرئيس السبسي أكد خلال هذا الاجتماع الذي تم فيه التطرق إلى آخر المستجدات والتطورات على الساحة الليبية، ونتائج الاجتماع الوزاري الثلاثي الذي عُقد في تونس، على أن "استقرار ليبيا من استقرار تونس والمنطقة بأكملها".

ومنذ سقوط نظام معمر القذافي في العام 2011، تتنافس سلطتان على حكم ليبيا. وتتخذ حكومة الوفاق الوطني التي تدعمها الأمم المتحدة طرابلس مقرا لها، في حين تسيطر السلطات المنافسة على أجزاء كبيرة من شرق ليبيا بدعم من البرلمان المنتخب ومقره طبرق.

ولد عبدالعزيز يدعم مرشحا آخر في الرئاسيات

❏ **نواكشوط** – أكد الرئيس الموريتاني محمد ولد عبدالعزيز أنه سيدعم مرشحا آخر في الانتخابات الرئاسية القادمة 2019، لأنه مسؤول عن البلد.

وردا على سؤال عن الموضوع ضمن مقابلة مع قناة "فرانس 24" قال ولد عبدالعزيز "سأدعم شخصية أخرى لأنني مواطن موريتاني، ومسؤول عن أمور البلد، وبالتالي لا يمكن لي أن أكون غير مسؤول عما يحصل في البلد، أو غير معني به، إذا لم أقم بدعم شخص لديه القدرة على قيادة البلد، أصبح غير موريتاني".

وعند سؤاله عن الشخصية التي سيدعمها في الانتخابات القادمة، رد ولد عبدالعزيز "هذا سيأتي في وقته".

ونفى ولد عبدالعزيز وجود أيّ نية لديه للترشح لعهدة ثالثة، مشيرا إلى أنه أجاب على هذا السؤال أكثر من مرة، مردفا أنه لو كان يريد الترشح لعهدة ثالثة لوضع هذه النقطة ضمن نقاط تعديل الدستور.

وكشف ولد عبدالعزيز لبرلمانيين أن تغيير الدستور سيتم بواسطة مؤتمر برلماني، وليس بواسطة الاستفتاء الشعبي كما وافق عليه الحوار السياسي السابق.

ونقل أعضاء في البرلمان الجمعة إثر لقائهم بولد عبدالعزيز "إن التعديل الدستوري سيتم التصويت عليه بمؤتمر برلماني مشترك بين غرفتي البرلمان (مجلسي الشيوخ والنواب) بدل استفتاء شعبي سيكلف الدولة أموالا باهظة وشهرا كاملا من الحملات الدعائية والسياسية".

وكان الحوار السياسي الذي أقرّ التعديلات الدستورية في أكتوبر الماضي قد أوصى باستفتاء شعبي للتصويت على تغييرات دستورية لا تتضمن المواد المحصنة التي تمنع الرئيس من الترشح لفترة رئاسية ثالثة في 2019.

وتشمل التعديلات إلغاء مجلس الشيوخ واستحداث مجالس جهوية للتنمية تعمل بدلا عن المجلس، وتعنى بمتابعة تنفيذ المشروعات التنموية للسكان في المحافظات.

ودافع الرئيس الموريتاني خلال اللقاء عن التعديلات الدستورية، داعيا البرلمانيين المؤيدين له إلى ضرورة التصويت لصالحها.

وبدأ البرلمان الموريتاني الأربعاء دورة طارئة ستخصص لمناقشة التعديلات الدستورية. ويدين تحالف من حوالي 15 حزبا معارضا في المنتدى الوطني للديمقراطية والوحدة، مشروع مراجعة الدستور ودعا إلى تظاهرات جمعت واحدة منها الآلاف من الأشخاص بنواكشوط في أكتوبر.

وفي مؤتمر صحافي عقده بنواكشوط، كرّر زعيم المنتدى موسى فال "رفضه الحازم والقاطع للتعديلات الدستورية التي تصر السلطات على تمريرها ضد إرادة الأغلبية الساحقة للشعب والطبقة السياسية".

وشكك فال في تأكيدات رئيس الدولة على أن عدد الولايات الرئاسية سيبقى محددا باثنتين في المراجعة الدستورية المقبلة.

ترحيل أقباط العريش يحرج الإدارة الأمنية لمكافحة الإرهاب في سيناء

❏ **القاهرة** – وسط توالي الإدانات في القاهرة، من جانب الهيئات الدينية المسيحية والإسلامية والأحزاب وأعضاء البرلمان، لاستهداف الأقباط في سيناء، من جانب عناصر إرهابية، أثارت طريقة التعامل الأمني من قبل الحكومة مع تلك الانتهاكات، دهشة واستغراب أوساط سياسية وكنسية عديدة، ولم يصدر عنها معلومات توضح حقيقة ما يجري بالتفصيل.

وأكد مراقبون لـ"العرب"، أن تنظيمات الإرهاب نجحت حتى الآن، في تضخيم مسألة تهجير الأقباط من مدينة العريش بسيناء ولفت الانتباه لها في الخارج، على الرغم من أن استهداف الأقباط ليس متغيرًا جديدًا في حرب الأجهزة الأمنية ضد الإرهابيين.

وذهب آخرون إلى أن الحكومة ظهر عليها الارتباك، فلم تصدر بيانًا يكشف حجم من تمّ تهجيرهم، أو كيف سيتم الرد على تلك الاعتداءات لوقفها، لأن الصورة العامة أشارت إلى قدرة الإرهابيين على إحراج الحكومة المصرية عبر التلاعب بملف غاية في الحساسية.

وعلمت "العرب" أن عملية ترحيل عشرات الأسر القبطية من العريش، تمت برغبة من أجهزة الأمن، لتفريغ المنطقة التي يعيشون فيها، ونزع ورقة مهمة من أيدي الإرهابيين، تمهيدا لمزيد من العمليات القتالية ضدهم.

وشبّهت بعض المصادر ما يجري مع الأقباط حاليا، بما تم منذ حوالي عامين مع سكان مدينة رفح في شمال سيناء أيضا، عندما تم تهجير مئات الأسر، ضمن عملية أمنية واسعة شملت هدم أنفاق، والحيلولة دون اختباء إرهابيين وسط الأهالي.

لكن الفرق بين العمليتين، أن الأولى بدت مفهومة باعتبارها جاءت ضمن خطة أمنية لها هدف محدد، لكن الثانية أثارت استغراب بعض الدوائر السياسية، لأنها وفرت انطباعات تشي بأن الأجهزة الأمنية غير قادرة على حماية عشرات الأسر القبطية، الأمر الذي يوحي بعدم القدرة على حماية الملايين الذين يعيشون في أماكن مختلفة بمصر.

وحتى الخصوصية التي تتمتع بها منطقة سيناء، حيث المواجهة المحتدمة بين أجهزة الأمن والجماعات المتطرفة، ليست كافية لتبرير عملية ترحيل الأقباط، فلم يلحق بهم أذى كبير خلال الأعوام الثلاثة الماضية، التي كان الإرهاب فيها أشد تغوّلا، وتعرضهم لأزمة حاليا يسير عكس الاتجاه الذي تروّجه الحكومة المصرية من أنها أوشكت على أن تقضي على التنظيمات المتشددة في سيناء، وتجفيف منابع الإرهاب فيها.

وعلى خلاف موقف الحكومة الغامض، جاء بيان الكنيسة المصرية السبت واضحًا، ولافتا إلى حدوث عملية نزوح الأسر المسيحية من سيناء (شمال شرق مصر)، وأكد مسؤول كنسي أن عدد الأسر التي تم تسكينها بمدينة الإسماعيلية (المجاورة لسيناء)، بلغ 35 أسرة، متوسط عدد أفراد كل منها ما بين 3 و10 أشخاص، وأعلن فتح الباب للتبرعات، حتى يمكن استيعابهم وإيواؤهم.

وكان المتحدث باسم الكنيسة الأرثوذكسية، قال إن الكنيسة، وعلى رأسها البابا تواضروس الثاني بابا الأقباط، تتابع وتدين تلك الأحداث، التي وصفها بـ"المتتالية"، وتستهدف أبناء الوطن من المسيحيين المصريين، وحرص على التأكيد بأن الاعتداءات، تعمد إلى "ضرب وحدة المصريين الوطنية".

وحيال الإحراج المتكرر الذي تتعرض له الحكومة المصرية، وإظهارها ضعيفة وغير قادرة على حماية الأقباط أمام الرأي العام العالمي، طالب مثقفون وقادة أحزاب اتخاذ إجراءات عاجلة ورادعة، لإنهاء ما سموه بـ"العبث بسيادة الدولة".

وأشار البعض إلى أن نجاح التنظيمات الإرهابية في تنفيذ مخططهم تجاه أقباط سيناء، يطرح سؤالا حول مدى النجاح الذي حققته الحكومة المصرية في المقابل، في معركتها مع الإرهاب، خاصة مع ندرة ما تعلنه من معلومات في هذا الشأن.

وقال خبير أمني لـ"العرب"، إن تنظيم داعش يهدف من وراء حملة تهجير الأقباط، تحقيق عدة أهداف، أبرزها ترسيخ فكرة سيطرته على الأرض، وقدرته على فرض نموذجه "أحادي العقيدة" وتصوير الأقباط على أنهم "كفار" على بقعة منها، تمهيدًا لتفريغ منطقة شمال سيناء وحتى وادي العريش، لتصبح مكانًا لتطبيق هذا النموذج.

وأضاف الخبير، الذي رفض الكشف عن اسمه، أن الهدف الثاني، بث الذعر في الرأي العام المصري، وصولا إلى تصدير فكرة أن قوته تتنامى في سيناء، مقابل عجز الدولة.

ولفت متابعون لـ"العرب"، إلى أن استراتيجية تهجير الأقباط من سيناء، ليست جديدة، وسبق أن اعتمدتها التنظيمات التكفيرية من قبل، لفرض أمر واقع على الدولة وعلى الجميع، وأشاروا إلى أن تنظيم "أنصار بيت المقدس" الذي تحول إلى ولاية سيناء حاليا، كان قد استهدف كنيسة رفح في مارس 2011، واغتال القس روفائيل موسى، كاهن كنيسة "مار غرغس"، في العريش بشمال سيناء في العام 2015.

إلى حين عودة الأمن

وشدد سياسيون، من أصول سيناوية لـ"العرب"، على ضرورة القضاء على البيئة الحاضنة للإرهاب في سيناء، والبدء في اعتماد استراتيجية تصحيحية لمجمل أساليب تعاطي الدولة مع ملفات الإرهاب، وعدم الاكتفاء فقط بالأساليب الأمنية، وطالبوا بضرورة التخلي تمامًا عن سياسة "رد الفعل" التي تتبعها الحكومة في الوقت الراهن.

وكان تكفيريون أطلقوا النار على مواطن مسيحي بمدينة العريش مساء الجمعة، ضمن سلسلة الاعتداءات بالقتل التي يستهدفون بها الأقباط في سيناء حاليًا، والتي وصلت إلى قتل سبعة منهم، وبث تنظيم "ولاية سيناء"، شريط فيديو يتوعد فيه الأقباط، وأعلن فيه مسؤوليته عن حادث تفجير الكنيسة البطرسية، بالقاهرة في ديسمبر الماضي. ويميز الإرهابيون أقباط سيناء، بوضع حرف "النون" على منازلهم، في إشارة إلى كلمة "نصراني".

تفجيرات انتحارية بحمص تلقي بظلالها على مفاوضات جنيف

المعارضة تأمل في ضغط روسي على الأسد لإجراء محادثات مباشرة

تفجير انتحاري بمدينة حمص يودي بقيادي أمني سوري كبير ويلقي بظلاله على مفاوضات جنيف المتعثرة بين النظام والمعارضة التي تأمل في إجراء محادثات مباشرة مع وفد النظام تحت ضغط روسي.

❑ **دمشق** – فجر انتحاريون أنفسهم السبت مستهدفين مقرّين تابعين لقوات النظام في حمص في وسط سوريا، ما تسبب في سقوط 42 قتيلا بينهم رئيس فرع الأمن العسكري في المدينة، في عملية تبنتها هيئة تحرير الشام المؤلفة من جبهة النصرة سابقا وفصائل أخرى مقاتلة.

واعتبر المبعوث الدولي الخاص إلى سوريا ستافان دي ميستورا السبت أن هدف اعتداءات حمص "تخريب" مفاوضات جنيف في وقت حذّر فيه رئيس وفد الحكومة السورية بشار الجعفري من أن تفجيرات حمص "لن تمر مرور الكرام".

وأفاد المرصد السوري لحقوق الإنسان عن مقتل "42 من عناصر الأمن على الأقل، بينهم رئيس فرع الأمن العسكري في حمص، في هجمات استهدفت فرعي الأمن العسكري وأمن الدولة".

وأشار محافظ حمص طلال البرازي لوكالة الأنباء السورية الرسمية إلى وقوع 32 قتيلا و24 جريحا.

وتحدث التلفزيون الرسمي عن "ارتقاء عدد من الشهداء بينهم اللواء شرف حسن دعبول رئيس فرع الأمن العسكري في التفجيرين الإرهابيين اللذين استهدفا مقرّين أمنيين في حمص".

ويعد دعبول من المقربين من الرئيس بشار الأسد، وهو من أبرز الشخصيات في أوساط المخابرات السورية.

واستهدفت التفجيرات مقرّين أمنيين محصنين بشكل كبير في حي الغوطة والمحطة بمدينة حمص، ثالث كبرى مدن سوريا التي شهدت معارك عنيفة بين قوات النظام ومقاتلي المعارضة قبل أن يسيطر عليها النظام بشكل كامل في 2014. وتحدثت هيئة تحرير الشام عن "خمسة انغماسيين (...) اقتحموا فرعي أمن الدولة والأمن العسكري بحمص".

ووصف مدير المرصد رامي عبدالرحمن الهجمات بأنها "الأكثر جرأة في حمص"، منذ استهداف مبنى الأمن القومي في دمشق في يوليو 2012، والذي أدى إلى مقتل أربعة من كبار المسؤولين الأمنيين بينهم وزير الدفاع السوري العماد داود راجحة ونائبه العماد آصف شوكت، صهر الرئيس السوري.

وبدأ الاعتداء مع "إطلاق النار على الحرس في مبنى المخابرات العسكرية، وعندما سارع الضباط لمعرفة ما كان يحدث، فجّر أول انتحاري نفسه".

ومن ثم "سارع عناصر أمن آخرون إلى المكان حيث قام الثاني والثالث بتفجير نفسيهما واحدا تلو الآخر"، وفق عبدالرحمن الذي أوضح أن الاشتباكات استمرت لساعتين. وأكد التلفزيون الرسمي وقوع اشتباكات خلال الهجومين.

وتشكل تحالف "تحرير الشام" في 28 يناير من جبهة فتح الشام (جبهة النصرة سابقا) وأربعة فصائل مقاتلة أخرى.

وأدرج تشكيل هذا التحالف في حينه في إطار الرد على موافقة فصائل معارضة على المشاركة في محادثات أستانة برعاية روسية وتركية والتي هدفت إلى تثبيت وقف لإطلاق النار أعلن في 30 ديسمبر.

ولم تشمل الهدنة التنظيمات الجهادية بما فيها تنظيم الدولة الإسلامية وجبهة فتح الشام التي تتواجد في مناطق عدة من سوريا، لا سيما في محافظة إدلب (شمال غرب)، كما استبعدت الجبهة من مفاوضات جنيف التي تتواصل لليوم الثالث على التوالي بين وفود من المعارضة والحكومة برعاية الأمم المتحدة.

وتعرض حي الوعر، آخر حي تحت سيطرة الفصائل المقاتلة في مدينة حمص السبت، لغارات كثيفة نفذتها قوات النظام عقب الهجمات الانتحارية، وتسببت بمقتل ثلاثة مدنيين وإصابة نحو خمسين آخرين بجروح وفق المرصد السوري.

كما قتل ستة مدنيين وأصيب 14 بجروح جراء غارات لقوات النظام على مدينة دوما، أبرز معاقل الفصائل المعارضة في الغوطة الشرقية لدمشق.

ويسيطر على المدينة بشكل أساسي جيش الإسلام، الفصيل الممثل في مفاوضات جنيف بالقيادي محمد علوش الذي ترأس وفد الفصائل إلى محادثات أستانة.

> هجوم حمص يصنف على أنه الأكثر جرأة في المدينة منذ استهداف مبنى الأمن القومي في دمشق في يوليو 2012، والذي أدى إلى مقتل أربعة من كبار المسؤولين الأمنيين بينهم وزير الدفاع العماد داود راجحة ونائبه العماد آصف شوكت، صهر الرئيس السوري بشار الأسد

واعتبر مدير المرصد أن تبني هيئة تحرير الشام لتفجيرات حمص، "رسالة للمعارضة والنظام والمجتمع الدولي بأن فتح الشام موجودة ولا يمكن لأحد إقصاؤها".

وفي جنيف، قال دي ميستورا للصحافيين ردا على سؤال عن اعتداءات حمص "في كل مرة نجري مفاوضات هناك دائما من يحاول تخريب العملية. كنا نتوقع ذلك".

وجاءت مواقف دي ميستورا بعد رسالة وجهتها وزارة الخارجية السورية إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن طالبت فيها بإدانة الاعتداءات.

واعتبرت في بيان أن هذا "التطور الخطير يحتم على المبعوث الخاص أيضا إدانة هذا العمل الإرهابي كما يحتم على الفصائل المشاركة في مباحثات جنيف ومن دون استثناء إدانة مثل هذه الأعمال الإرهابية".

وقال رئيس وفد الحكومة إلى محادثات جنيف قبل لقائه دي ميستورا السبت "التفجيرات الإرهابية التي ضربت حمص هي رسالة من رعاة الإرهاب إلى جنيف"، مضيفا "أقول للجميع إن الرسالة قد وصلت وهذه الجريمة لن تمر مرور الكرام".ورغم دخول محادثات جنيف يومها الثالث، لم يبدأ حتى الآن أيّ بحث في العمق بين الأطراف المعنية بالمفاوضات.

ومن المفترض أن يدرس وفدا الحكومة والمعارضة ورقة قدمها لهما دي ميستورا تتضمن جدول الأعمال الذي يأمل تنفيذه. وتتضمن الورقة، وفق ما قال مصدر في الوفد المعارض الأربعاء "جدول الأعمال، بما يعني شكل الحكم السياسي والدستور والانتخابات والمواضيع الإنسانية"، مشيرا إلى أنه "لم يتم التطرق إلى الإرهاب" الذي طالما وضعه وفد الحكومة أولوية في المحادثات.

وقالت عضو في عضو الهيئة العليا للمفاوضات وفد المعارضة السورية إلى جنيف بسمة قضماني "نحن نعلم أن المفاوضات هي المرحلة التي تسبق المرحلة الانتقالية"، مضيفة "الانتقالية تعني الانتقال بالسلطات إلى هيئة الحكم الانتقالي وفي تلك اللحظة ليس هناك دور للأسد".

ويجري جزء كبير من الاتصالات في الكواليس في الفنادق التي تنزل فيها الوفود وخارج مقر الأمم المتحدة. ويشارك فيها مبعوثون دوليون بينهم ممثلون لدول عدة داعمة للمعارضة بينها قطر وتركيا وفرنسا، بحسب مصادر في الوفد المعارض.

وأضافت قضماني أن المعارضة تتوق لإجراء محادثات مباشرة في جنيف ولكن الأمور ربما تنهار إذا لم تضغط روسيا على الأسد لإجراء المحادثات والدفع باتجاه الالتزام بوقف إطلاق النار.

وافتتحت الأمم المتحدة المحادثات في احتفال رمزي الخميس حضره ممثلون للأطراف المتحاربة لكن لم يجر اتصال مباشر آخر بعد ذلك في حين واصل وسيط الأمم المتحدة دي ميستورا محاولاته للتوصل إلى اتفاق بشأن كيفية تنظيم المحادثات.

وقالت قضماني "بداية بطيئة جدا (للمحادثات). نريد أن تسير الأمور بوتيرة أسرع". وأضافت "لدينا خيارات وخيارات متماسكة متعلقة بالعمليات ونؤمن بأن المفاوضات المباشرة هي ما يجب أن يتم".

التفجير في حمص والأثر في جنيف

من داعش إلى دواعش

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

❑ ليس سهلا أن نكذب الكلام السيء الذي نسمعه كل يوم عن الحشد الشعبي، والإدانات والشهادات الدولية والعراقية التي تتلاحق بحقه.

وكان سهلا علينا أن نهبَّ مع حزب الدعوة للدفاع عن كرامة الحشد الشعبي وسمعته، بكل ما نستطيع، فقط لو:

لو لم يستمر الوكلاء العراقيون لإيران في استخدام داعش مسمار جحا لترئيس الحشد الشعبي على الجيش والشرطة والحكومة والبرلمان والأحزاب والمساجد والحسينيات، واستلهام تجربة توليد الحرس الثوري في إيران، خطوة خطوة، وعلى نار خفيفة، وبإتقان.

ولو لم يستمر هادي العامري وأبومهدي المهندس وقيس الخزعلي وباقي قادة الميليشيات الطائفية في الإعلان، دون خوف ولا حياء، عن أن ولاءهم لإيران، لا للمرجعية في النجف، ولا للوطن الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

ولو كان تسليم عصا القيادة العراقية لقاسم سليماني وباقي ضباط الحرس الثوري وفيلق القدس حبّا في الله وللإخوة في الدين، وإنصافا لأهل الرمادي والفلوجة والموصل وتكريت والبيجي والشرقاط، وليس لخدمة الحلم الفارسي الذي لا يكف أصحابه عن الإعلان، صراحة، عن ضم العراق، كل العراق، إلى أملاك الإمبراطورية الفارسية الجديدة.

ولو كان الانخراط في الحشد الشعبي تطوعيا، وبدون رواتب، ولا مكافآت، وفقط لمن استطاع إليه سبيلا، وليس لمجندين فضائيين بالمئات والألوف.

ولو حمل المتطوعون في الحشد الشعبي أعلام العراق وحدها دون شعارات وأعلام طائفية متطرفة مفرقة مخربة تعلن أن الغاية من محاربة داعش وطردها من المحافظات المحتلة هي فقط لذبح أحفاد يزيد.

ولو لم يكن رئيس الوزراء قياديا في حزب الدعوة الإيراني، بالتبنّي، ورئيس الجمهورية من حزب كردي لا يعتبر نفسه عراقيا، ورئيس البرلمان من سنة المالكي، فيباركون، أو يسدّون آذانهم وعيونهم عن المخالفات والتحديات والإهانات التي لا يكف (أرباب) الحشد الشعبي عن توجيهها للجيش وقوى الأمن، ولكل الدولة، من رأسها إلى أخمص قدميها، كل يوم وكل ساعة.

خلاصة القول، لو لم يكن ذلك كله واقعا وحاصلا ولا مجال لستره والتسامح فيه، لكنّا نفرنا، شيبا وشبانا، ومن كل الطوائف والقوميات والأديان، وجميع المدن والقرى والقبائل والعوائل، ولانخرطنا في الحشد الشعبي (الوطني)، ولأعددنا لداعش ولغيرها من الأعداء والغزاة والمحتلين ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل، ولأنجزنا التحرير، بأسابيع، أو شهور معدودة فقط، ثم عدنا إلى منازلنا آمنين.

ولكن الذي يزيد اقتناعنا بما تقوله الدول والمنظمات المحلية والعربية والعالمية عن سوء سلوك الحشد الشعبي أربعة أخبار أعلن عنها في الأيام الثلاثة الماضية.

الأول: الإدانة الصريحة الموثقة التي صدرت عن منظمة العفو الدولية التي يصعب تكذيبها. فقد أعلنت هذه المنظمة الدولية التي لم يُعرف عنها موقف انحيازي أو تعسّفي أو غير موثق ومؤكد "أن الفصائل التي تحارب إلى جانب القوات العراقية ضد تنظيم داعش، ترتكب جرائم حرب، باستخدام أسلحة قدمتها الولايات المتحدة وأوروبا وروسيا وإيران للجيش العراقي".

و"الفصائل المعروفة باسم الحشد الشعبي تستخدم أسلحة من مخزون الجيش العراقي لارتكاب جرائم حرب، تشمل الإخفاء القسري، والتعذيب، وعمليات إعدام دون محاكمة".

وركز تقرير المنظمة على أربع جماعات تتلقى دعماً من إيران وهي: منظمة بدر، وعصائب أهل الحق، وكتائب حزب الله، وسرايا السلام".

الثاني: بيان حزب الدعوة الذي اتهم دواعش السياسية والبعثيين بتشويه صورة الحشد الشعبي لدى المجتمع الدولي، من خلال إساءة منظمة العفو الدولية للحشد بتقريرها الأخير. وطالب حيدر العبادي وإبراهيم الجعفري بنقل الصورة الحقيقية لما يجري في العراق، والدور الذي يؤديه الحشد الشعبي.

أما الثالث فهو المجازر التي أحدثتْها وتحدثها المفخخات التي لا تتوقف، في بغداد بشكل خاص، وكان المطلوب والواجب والمعقول هو تفريغ الحشد الشعبي لمهمة حراسة المدن والقرى العراقية، وضبط الأمن فيها، ومنع تسلل الإرهاب إليها، في فترة انشغال الجيش والقوات المسلحة بمقاتلته في الموصل وغيرها.

وآخرها: إعلان مكتب خارب بيوت العراقيين والسوريين، وناهب أموالهم، "أن نائب رئيس الجمهورية، نوري المالكي، دعا، في اجتماع عقده مع قادة تشكيلات الحشد الشعبي، إلى ضرورة الاهتمام بالحشد، وتقديم الدعم والمساندة لتشكيلاته، لكي يصبح (القوة الأولى) في العراق، وإعطاء الأسبقية له (قبل الجيش وجهاز مكافحة الإرهاب)، في تجهيزه بالأسلحة المتطورة والطائرات".

فعلى أيّ أساس، وكيف، وبأيّ مبررات، وأيّ عدالة وعقلانية ووطنية، يُحال جيش الدولة على التقاعد، ويُنصّب هادي العامري وأبومهدي المهندس وقيس الخزعلي (قادة) للدفاع والداخلية والشرطة والأمن والمخابرات، وأوصياء، بالتالي، على رئاسة الوزراء والجمهورية والبرلمان، ليصبح الحشد الشعبي هو جيش الدولة وشرطتها ورئاسة جمهوريتها ووزرائها وبرلمانها؟

فكم عسكري محترف، من قادة الحشد الشعبي، أو مجنديه، مشهود له بالخبرة والكفاءة والنزاهة لنأتمنه على أرواحنا وكراماتنا وأرزاقنا بدل الجيش؟

وكم واحد منهم متعلّم، وحامل شهادة غير مزوّرة، وصاحب خبرة في شيء، أيّ شيء؟ ولديه شهادة حسن سلوك؟

وكم واحد منهم كان موظفا أو تاجرا فتخلى عن وظيفته أو تجارته تلبية لنداء الواجب (الوطني) المقدس، تطوعا، وليس ارتزاقا؟ وكم واحد قرأ يوما كتابا، أو حتى جريدة؟ وكم واحد قرأ التاريخ الدموي لهذا الوطن العراقي وما مر به من دول وممالك وإمبراطوريات قامت ثم دالت وأصبحت هباءً في هباء؟ وكم منهم من يتذكر دولة القرامطة التي أسقطت ثلثي مساحة العراق وسوريا ومصر والحجاز والخليج العربي؟ وكم منهم من يتذكر المقاومة الشعبية 1959، والحرس القومي 1963، وفدائيي صدام؟ وأخيرا ماذا يريد المالكي وحزب الدعوة والعبادي وفؤاد معصوم والمرجعية من تغويل الحشد الشعبي؟

هل يريدونه فقط لدعم جيش الدولة الوطني، وإعانته في حربه لتحرير المدن المحتلة من داعش، ثم تنتهي مهمته (المقدسة)، ويعود (مجاهدوه) البواسل إلى منازلهم سالمين غانمين، ليفسحوا المجال لحدوث معجزة المصالحة الوطنية الشعبية الشاملة، ويحلّ السلام والوئام بين أبناء الوطن الواحد، وتُطوى أيامُ الاحتراب الطائفي الكريه، والتهجير، والتفخيخ، والاختلاس؟ أم يريدونه مسمار جحا لبسط اليد الإيرانية على كامل الدولة، وإذلال أهلها وإرهابهم.

إنهم بذلك إنما يزيدون من الفرقة الطائفية والقومية والدينية في البلاد، وسيعود العراقيون، من جديد، يقاتلون الدواعش الجديدة التي لا بد أن تتوالد في ظل طائفية المالكي والعامري والمهندس والخزعلي التي لا تقطر إلا سمّا، ولا تُنتج غير خراب بيوت؟

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

وزير النفط الأسبق عصام الجلبي: العراق يصدر نفطه شرقا

شكلت إيران شبكة معقدة للسيطرة على النفط العراقي عبر توقيع الاتفاقيات ومد أنابيب نقل النفط الخام، من ذلك المذكرة الموقعة مؤخرا بين طهران وبغداد لدراسة بناء خط أنابيب لتصدير النفط الخام من حقول كركوك شمال البلاد عبر الأراضي الإيرانية؛ وهو مشروع يصفه عصام الجلبي، الخبير النفطي العالمي ووزير النفط العراقي الأسبق، بأنه غير منطقي وغير عملي، مشيرا في حوار مع "العرب"، إلى أنه يعتبر شكلا من أشكال الاحتلال الذي تمارسه إيران على العراق ونفطه.

■ مخطط تصدير النفط العراقي عبر إيران غير واقعي

■ ما علاقة عمار الحكيم ببحث تطوير الحقول النفطية المشتركة

■ نفط كركوك سيغذي الحقول النفطية الإيرانية المتعبة

الجلبي: العراق يغذي إيران بالنفط

سلام الشماع
كاتب من العراق

❑ **عمان** – يحذّر المهندس عصام الجلبي، الخبير النفطي العالمي ووزير النفط العراقي الأسبق، من مدّ أنابيب النفط العراقي، شرقا، إلى الأراضي الإيرانية لتصديره من موانئها. ويصف هذه الخطوة، إذا ما تم اتخاذها، بأنها غير منطقية وغير عملية.

كان الجلبي يعلق لـ"العرب"، من مقر إقامته في العاصمة الأردنية عمّان، على توقيع العراق وإيران، مؤخرا، مذكرة تفاهم للتعاون المشترك بينهما في مجال النفط والغاز، وبحث رئيس التحالف الوطني العراقي (الشيعي) عمار الحكيم مع وزير النفط الإيراني بيجين زنكنة تطوير الحقول النفطية المشتركة بين العراق وإيران.

ويقول إن الخبر لم يذكر من كان حاضرا في اللقاء مع الحكيم وزنكنة، لكن حدسي أن وزير النفط العراقي جبار علي حسين اللعيبي، المعين على حصة الحكيم في المحاصصة السياسية، كان موجودا. ويتساءل الجلبي ترى بأيّ صفة يبحث الحكيم هذا الموضوع؟ هل لأن وزارة النفط هي من حصة المجلس الأعلى الذي يتزعمه؟ ومن الذي يقود وزارة النفط فعلا؟

ويبيّن أن هناك خلطا بين ما يطلق عليه الحقول النفطية المشتركة وبين الحقول النفطية الحدودية، فالحقول المشتركة هي التي تمتد على أراضي بلدين. أما الحقول الحدودية فهي الموجودة داخل حدود بلد واحد، ولدينا مع إيران ثلاث حقول مشتركة فقط، هي حقول النفطخانة في محافظة ديالى، والسندباد في محافظة البصرة، والحويزة في محافظة ميسان. وما تبقى هو حقول نفطية حدودية تعود إلى العراق.

وأشار الجلبي إلى أن حقل مجنون، مثلا، عراقي على الرغم من أنه يقترب من الحدود في جزئه الشمالي بكيلو متر واحد، ومن الجانب الإيراني هناك حقل أزدكان. أما بالنسبة إلى حقل الفكة، الذي تجاوزت إيران واستولت قواتها على جزء منه، قبل سنوات، ثم أجبرها ضغط شعبي عراقي على الانسحاب منه، فهو حقل عراقي على الرغم من اقترابه كثيرا من الحدود، بل للعراق بئر نفطية تقع على بعد نحو 300 متر فقط من الحدود.

المتعارف عليه دوليا أن الحقول النفطية المشتركة يتم تطويرها وإنتاجها بنحو مشترك، وغالبا ما يكلف طرف ثالث متخصص بالعمل، نيابة عن الدولتين، وعلى الرغم من تشكيل لجان عدة بين العراق وإيران، ومنذ العام 2004 إلا أنه لم يتم التوصل إلى اتفاق لاستثمار الحقول المشتركة، لحد الآن، سواء مع إيران أم الكويت. ويقول الجلبي إن مذكرة التفاهم التي عقدت مؤخرا بين العراق وإيران، خلال زيارة وزير النفط الإيراني زنكنة إلى العراق تحتوي العديد من النقاط واحدة منها ما يتعلق بإيجاد صيغة لاستثمار الحقول المشتركة، وهي تكرار لاتفاقيات سابقة، وأخرى تتعلق بمدّ أنبوب لنقل نفط كركوك إلى داخل الأراضي الإيرانية، بحدود 150 كيلومترا إلى منطقة قريبة من مدينة خانقين الحدودية العراقية لغرض تغذية المصافي الإيرانية بالنفط العراقي على أن تعطي إيران الكمية نفسها من نفطها إلى موانئ التصدير الإيرانية لتصدره لصالح العراق.

البصرة مضاءة بالغاز

لا يعرف أحد حجم الأنبوب الذي من المنتظر مده إلى الأراضي الإيرانية، إلى الآن، وهذا، كما يبدو، بديل لفكرة كان إقليم كردستان يتفاوض بشأنها، وخصوصا ممثلو حزب الاتحاد الوطني الكردستاني، وهو لم يكن ليتمّ إلا بموافقة الحكومة المركزية.

ويوضح عصام الجلبي، الذي كان وزيرا للنفط في عهد الرئيس العراقي الراحل صدام حسين، أن حقل كركوك يحتوي على ثلاث قباب يشغل اثنتان منها إقليم كردستان ويستوفي مواردها، منذ نحو منتصف العام 2004 وبعد احتلال تنظيم داعش لمحافظة نينوى، وقبة واحدة تشغّلها شركة نفط الشمال التابعة لوزارة النفط العراقية (المركزية)، كما تضمنت المذكرة الأنبوب الثاني لتجهيز إيران بنفط البصرة بالصيغة نفسها المطبّقة على الأنبوب الذي يجهز إيران بنفط كركوك، إذ يجهز العراق المصافي الإيرانية، وإيران تسلم من نفطها كمية مساوية إلى موانئ التصدير، وهو موضوع قديم.

ويشير إلى أن هناك أنبوبا خاصا مدته إيران ليصل إلى محافظة ديالى العراقية لتجهيز محطة كهرباء المنصورية في محافظة ديالى ومحطة كهرباء القدس بمنطقة الراشدية في بغداد بالغاز، ولكن لم يتم تشغيله لاعتبارات أمنية. وإيران تصر على أن يسدد العراق ديونه لها من بيعها الكهرباء له. والعراق سدّد مؤخرا 350 مليون دولار من مجموع ديونها عليه والبالغة مليارا و200 مليون دولار، وهنا الطامة الكبرى فعندما تولى حسين الشهرستاني وزارة النفط وقع مذكرات تفاهم مع الاتحاد الأوروبي وتركيا والاتحاد العربي لتصدير الغاز لهم ولكن العراق، في الوقت نفسه، يستورد الغاز من إيران، وفي الوقت نفسه أيضا يحرق العراق ثلثي الغاز المصاحب، الذي وصل العراق، قبل العام 1990 إلى استثماره كله، وكانت البصرة أكثر مدينة مضاءة في العالم بسبب إنتاج الغاز فيها.

يؤكد الجلبي أنه لم يكن في وارد تفكير العراق طوال تاريخه الحديث أيّ مخطط لتصدير نفطه عبر الأراضي الإيرانية، والتصدير الوحيد الذي تم خارج سيطرة الحكومة المركزية كان عن طريق إقليم كردستان، من خلال الأنبوب الذي مدته أربيل إلى الحدود العراقية التركية في العام 2014، وخط النفط الناقل عبر سوريا توقف للظروف المعروفة.

وكانت الفكرة تتجه لمد أنبوب عبر الأردن، وهذا ما يزال قيد التخطيط، وصدّر العراق نفطه جنوبا عبر السعودية ولكن هذا الخط توقف منذ العام 1990 وقررت السعودية استملاك الخط المار في أراضيها في العام 2000، وهي الآن تستعمله لأغراض نقل نفطها.

ويعتبر الجلبي أن قرار تأميم النفط بكل ما حققه للعراق، والذي اتخذته وحققته حكومة البعث، في سبعينات القرن الماضي، منته بتوقيع وزير النفط في العام 2009 على جولات التراخيص، ويقول إن جزءا أساسيا من النفط الاحتياطي في الحقول النفطية العراقية العملاقة عاد إلى الشركات لاستثماره.

ويذهب، حاليا، ما يعادل قرابة ثلث النفط المصدر سدادا إلى شركات النفط العاملة في هذه الحقول مقابل استثماراتها وأرباحها بموجب جولات التراخيص تلك ولمدة 30 سنة. مع الإشارة إلى أن قرابة 20 بالمئة من النفط العراقي من الحقول الشمالية تديرها وتسوّقها وتتسلم قيماتها حكومة إقليم كردستان، في حين كانت وزارة النفط في الحكومة المركزية وحتى العام 2013 هي الوحيدة التي تصدّر النفط إلى خارج العراق.

ويتطرق إلى صناعة النفط الاستخراجية في العراق، فيقول إنها تشمل عمليات إنتاج النفط الخام ونقله وتصديره. وقد عاد جزء كبير من النفط المستخرج إلى السيطرة خارج الحكومة المركزية، فيما يمثل الجزء الآخر من هذه الصناعة تصنيع النفط الذي يتم في المصافي، التي انخفضت طاقة تصفيتها، الآن، إلى أقل مما كانت عليه قبل عام الاحتلال 2003.

وحالة الكثير من المصافي العراقية في الوقت الراهن تبدو بائسة جدا، وكثير منها خرج من الخدمة، في نظر الوزير العراقي السابق، والذي يشير إلى أن توجه الحكومة العراقية، حاليا، إلى بناء مصفاة في محافظة كربلاء تحوم حوله شبهات فساد كبيرة. أما مصفاة بيجي التي كانت تنتج 320 ألف برميل يوميا، أي ما يعادل نصف الاستهلاك المحلي، فإلى حد هذه اللحظة، لم يسمح للكوادر الفنية لوزارة النفط بالدخول إليها لإجراء عمليات المسح وتحديد حجم الأضرار التي أصابتها نتيجة المعارك بين الجيش وتنظيم داعش.

ويضيف الجلبي أن الجزء الآخر من هذه الصناعة يمثل تصنيع الغاز، الذي تراجع، منذ الاحتلال إلى الآن، فيما وصل العراق في تصنيع الغاز في العام 1990 إلى مراحل متقدمة جدا ولكنه تراجع بعد الحرب والحصار. وكان العراق دخل، بعد الاحتلال في العام 2009، في مشروع مشترك مع شركة شل الأميركية منحها بموجبه 49 بالمئة من غازه المنتج ولا يزال الجزء الأعظم من الغاز المصاحب يحرق ولحين إكمال منشآت المشروع.

تجاوزات إيران عبر التاريخ

ربما يمكن تعليل توقيع إيران مذكرة التفاهم مع العراق بأنها تريد تفادي نتائج أيّ حصار جديد قد يفرض عليها، أو أنها تحاول الوصول في إنتاجها النفطي اليومي إلى 4 ملايين برميل وهو ما يقرب من إنتاجها، قبل فرض الحصار عليها، وتذهب نصف هذه الكمية إلى الاستهلاك الداخلي، مع الإشارة إلى أن الحقول النفطية الإيرانية بدأت تتعب وتحتاج إلى حقن بالغاز بكميات كبيرة مما يرفع كلف الاستخراج، مع العلم أن الإنتاج الرئيس من نفط إيران يستخرج من منطقة عربستان.

ويعرّج عصام الجلبي على جزء من تاريخ العلاقات العراقية الإيرانية في المجال النفطي، فيقول إنه تم، على مر العهود، إبرام العديد من المعاهدات والاتفاقيات لكنها كانت لا تستمر سوى لسنوات معدودة ثم تنتهكها إيران، وآخرها –وعلى الرغم مما يفترض من تقارب بين نظامي الحكم في البلدين– احتلال إيران لبئر الفكة رقم 4 وما يجاوره من أراض عراقية في منطقة جبل فكة في ميسان.

وذكر أنه تم في عهد الرئيس الراحل عبدالرحمن عارف التوقيع، في 20 نوفمبر من العام 1967، على اتفاقية عقد الخدمة بين شركة النفط الوطنية العراقية وشركة إلف–أيراب الفرنسية (التي عدّت في حينها ضربة للمصالح الأميركية).

وتم تشريع ذلك بقانون في 3–2–1968 تنفيذا لأحكام المادة الثالثة من القانون رقم 97 لسنة 1967 (مازال نافذ المفعول إلى يومنا هذا وتنتهكه الحكومة الحالية بنحو متعمد عند إبرامها عقود خدمة مع شركات النفط الأجنبية)، وبوشر منذ العام 1969 بالعمليات الاستكشافية وحفر الآبار التي حددت اكتشاف ثلاثة حقول وتم ترسيم أبعادها وحدودها، وكانت كليا ضمن الأراضي العراقية وهي حقول: البزركان ويبلغ حجم احتياطيّه 1.54 مليار برميل، وأبو غرب ويبلغ حجم احتياطيّه 610 مليون برميل، وفكة ويبلغ حجم احتياطيّه 480 مليون برميل.

ويذكر الجلبي أن العراق باشر، في أواسط السبعينات من القرن الماضي، بأعمال استكمال حفر الآبار الإنتاجية ومد خطوط الأنابيب وبناء المنشآت السطحية من محطات عزل الغاز ومنشآت معالجة النفط والغاز وأنابيب نقل النفط وصولا إلى الفاو ليلتقي مع شبكة التصدير عبر ميناء البصرة العميق (البكر سابقا) في الخليج العربي.

وتبلغ الطاقات الإنتاجية للحقول الثلاثة 130 ألف برميل يوميا 60 ألفا للبزركان و40 ألفا لأبوغرب و30 ألفا للفكة، وبوشر بالإنتاج الفعلي في 1978–1979 وتوقف في سبتمبر 1980 مع بدء العمليات العسكرية في المنطقة عندما تعرضت المنشآت النفطية لأضرار بالغة خلال حرب الخليج الأولى بسبب القصف الجوي والمدفعي. وأصلحت هذه المنشآت، بعد إعلان وقف إطلاق النار في 8–8–1988 وبوشر الإنتاج منها ولكن بطاقات أقل من الطاقة التصميمية، وأعيد تصليحها، مرة أخرى، بعد قصفها خلال حرب الخليج الثانية على الرغم من الحصار على العراق 1990–2003 وأعيد الإنتاج وكان النفط خلالها يمزج مع بقية نفط البصرة ويصدّر عبر منافذ الخليج العربي.

> لم يكن في وارد تفكير العراق طوال تاريخه الحديث أي مخطط لتصدير نفطه عبر الأراضي الإيرانية والتصدير الوحيد الذي تم خارج سيطرة الحكومة المركزية كان عن طريق إقليم كردستان عبر الحدود العراقية التركية

ويلفت الجلبي إلى أن عددا من آبار النفط العراقية كان قريبا من الحدود وأقربها البئر رقم 4 الذي يبعد نحو 300 متر فيما بقية الآبار تقع على مسافات أبعد وصولا إلى عدة كيلومترات، وكثيرا ما كانت هذه المنطقة تشكل منطقة حراما يصعب على الجانبين الوصول إليها، خصوصا خلال السنوات الأولى للحرب عند احتلال إيران لأراض عراقية كان منها جزء من حقل مجنون، مشيرا إلى أنه عند حفر جميع الآبار لم تتعرض أجهزة وكوادر النفط للمضايقات كونها كانت واثقة من أن عملها هو داخل أراضي عراقية سبق وأن عُلّمت بوساطة الدعامات الحدودية في العام 1976.

ويصف الادعاءات، التي تطلقها إيران، بين آونة وأخرى، بكون منطقة وحقل فكة تقع ضمن أراضيها بأنها ادعاءات باطلة لا تستند إلى أيّ حقائق وما عليها إلا أن تعود إلى الوثائق والخرائط المودعة لدى الأمم المتحدة، داعيا أجهزة وزارة الخارجية العراقية وبقية الوزارات التي عليها كشف الحقائق ونشر تلك الوثائق والخرائط، إلى عدم السكوت على التجاوزات الإيرانية، وإلى عدم تملق ومحاباة النظام الإيراني الذي لن يكف عن أطماعه التوسعية بثروات العراق، بغض النظر عن أيّ نظام للحكم فيه.

يعطش العراق ليروي إيران

ما لم يتغير بعد نصف قرن على الهزيمة

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ قبل نصف قرن، وقعت حرب الأيّام الستة التي يستحي العرب من تسميتها بما تستحق أن تسمّىٰ به، أي بالهزيمة. يهرب العرب، في معظمهم من الواقع. يرفضون الاعتراف بأن حرب الخامس من حزيران ـ يونيو 1967 لم تكن سوى هزيمة كشفتهم علىٰ حقيقتهم.

بعد نصف قرن، لم يتغيّر شيء باستثناء أنّ مصر استعادت من إسرائيل أرضها المحتلة بفضل رجل استثنائي اسمه أنور السادات، فيما لا يزال الجولان السوري محتلًا والضفة الغربية، بما في ذلك القدس الشرقية تحت سيطرة إسرائيل.

إسرائيل في الضفة الغربية لأسباب لا علاقة لها بالأردن الذي كان قادرا علىٰ استعادة الأرض وإيجاد صيغة لتقاسم القدس لو أتاح العرب له ذلك ولم يذهبوا إلىٰ قمّة الرباط في العام 1974 لاتخاذ قرار غبي ألغىٰ حجة الأردن في استعادة أرضه بموجب القرار 242 الصادر عن مجلس الأمن والذي صدر مباشرة بعد حصول الهزيمة.

> بعد نصف قرن على الهزيمة تغير الشرق الأوسط كليا، لكننا ما زلنا في انتظار اليوم الذي تتوقف فيه المتاجرة بفلسطين التي فقدت للأسف الشديد القيادات القادرة على اتخاذ القرارات الكبيرة بعدما صارت «فتح» أكثر من تنظيم واحد متجانس وبعدما تبن أن «حماس» وتنظيمات أخرى مخترقة إيرانيا

دفع إلىٰ هذا القرار العربي، القاضي باعتبار "منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للفلسطينيين"، رجل لا يمتلك أيّ رؤية من أيّ نوع هو هوّاري بومدين، الرئيس الجزائري وقتذاك. لم يكن لدى بومدين سوى همّ واحد هو الانتقام من الملك حسين.

لم يدرك في أيّ لحظة أهميّة الأردن ودوره علىٰ الصعيد الإقليمي. لم يدرك في حينه أنه إذا كانت القضية الفلسطينية لا تزال حيّة إلىٰ اليوم، فإن ذلك عائد إلىٰ وجود هويّة فلسطينية حقيقية وشعب عظيم من جهة ورجل اسمه الحسين بن طلال حفظ الأردن في العام 1970 ومنع قيام "الوطن البديل" من جهة أخرى. دفن الأردن فكرة الوطن البديل نهائيا بفضل صموده أوّلا وأخيرا. قدّم بذلك الخدمة الأكبر التي يمكن للفلسطينيين أن يحلموا بها من أجل المحافظة علىٰ ما بقي من قضيّتهم.

أرادت مصر استعادة أرضها المحتلة في 1967 فتمكّنت من ذلك. لم يسمح للأردن بأيّ تحرّك علىٰ الصعيد الدبلوماسي من أجل استعادة الأرض. وضعت كل العراقيل في وجهه بعدما جرّ إلىٰ حرب لم يكن يرغب بها جرّا. كان هدف المسلحين الفلسطينيين، أي ما كان يعرف بـ"الفدائيين" قلب الملك حسين والقضاء علىٰ المملكة الأردنية الهاشمية التي لا تزال دماء أبناء جيشها، وهو "الجيش العربي"، علىٰ أسوار القدس إلىٰ اليوم.

كان لبنان البلد الوحيد الذي عرف حجمه في العام 1967. لم يدخل الحرب علىٰ الرغم من كل الضغوط التي مورست علىٰ الرئيس شارل حلو وقتذاك. كان الرئيس اللبناني رئيسا ضعيفا، لكنّه كان حكيما إلىٰ حدّ كبير وعلىٰ دراية بما يدور في المنطقة وموازين القوى فيها.

حرم إسرائيل في 1967 من احتلال الأرض اللبنانية في وقت لم يستطع الأردن تفادي دخول حرب، كان الملك حسين يعرف سلفا نتائجها. ولكن ما العمل عندما كان العرش الهاشمي مهدّدا بسبب رجل اسمه جمال عبدالناصر يتحمّل مسؤولية السقوط في فخّ جرّه إليه نظام البعث في سوريا حيث كان حافظ الأسد وزيرا للدفاع.. والرجل القويّ، العلوي الآخر، صلاح جديد!

ماذا تغيّر وماذا لم يتغيّر في نصف قرن؟ تغيّر الكثير، بما في ذلك أن القضية الفلسطينية لم تعد القضية الأولىٰ لدى العرب. من يقول غير ذلك إنّما يكذب علىٰ الفلسطينيين الذين لم يفوّتوا أيّ فرصة لتفويت الفرص التي أتيحت لهم. هذا عائد إلىٰ أنّ وهم السيطرة علىٰ لبنان أعمىٰ في سبعينات القرن الماضي وبداية الثمانينات منه القيادات الفلسطينية. جعل هذا الوهم ياسر عرفات، الزعيم التاريخي للشعب الفلسطيني، عاجزا عن استيعاب أن وجوده في لبنان كان يعني أنّه في أسر حافظ الأسد الذي يؤمن بحال اللاّحرب واللاسلم التي تجعل إسرائيل راضية عنه. لم يكن حافظ الأسد يريد استرجاع الجولان بمقدار ما أنّه كان يريد استخدام المسلحين الفلسطينيين لتحقيق أهداف معيّنة. في مقدّم هذه الأهداف الاستيلاء علىٰ لبنان بحجة حمايته من الهيمنة الفلسطينية!

ما تغيّر أيضا، بعد نصف قرن من الهزيمة، أن العراق لم يعد موجودا. كان للعراق عامل توازن علىٰ الصعيد الإقليمي وحاجزا يحول دون اجتياح إيران العالم العربي. لم تكن الحدود بين العراق وإيران حدودا بين دولتين. كانت، كما كان يقول الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران، "حدودا بين حضارتين كبيرتين"، هما الحضارة العربية والحضارة الفارسية. بسقوط العراق إثر الحرب الأميركية عليه، سقطت تلك الحدود التي كانت ضمانة لوجود توازن علىٰ الصعيد الإقليمي. صار العرب في حاجة مستمرّة إلىٰ بحث عن كيفية استعادة هذا التوازن المفقود الذي مكّن إيران من الذهاب إلىٰ النهاية في السيطرة علىٰ العراق وإلىٰ الحدود التي تستطيع الوصول إليها في سوريا ولبنان.. واليمن.

ما تغيّر، أيضا وأيضا، أن هناك دولتين، هما مصر والمملكة الأردنية، وقّعتا معاهدتي سلام مع إسرائيل. لم يوقّع الأردن إلّا بعد توصل الفلسطينيين والإسرائيليين إلىٰ اتفاق أوسلو الذي وقعه ياسر عرفات وإسحق رابين في حديقة البيت الأبيض وتضمّن اعترافا متبادلا بين منظمة التحرير الفلسطينية وحكومة إسرائيل.

ما لم يتغيّر في نصف قرن أن هناك من يصرّ علىٰ المتاجرة بفلسطين والفلسطينيين. كان الاتحاد السوفييتي، إبان الحرب الباردة القوّة الدولية التي باعت الفلسطينيين كلّ أنواع الأوهام من أجل منع التوصّل إلىٰ أيّ تسوية. وعدهم بكلّ شيء وزوّدهم بالأسلحة ولم يحقق لهم شيئا في وقت كانت هناك فرصة حقيقية لتحقيق شيء ما علىٰ الأرض لدى توقيع اتفاقي كامب ديفيد برعاية الرئيس الأميركي جيمي كارتر في خريف العام 1978. أحد هذين الاتفاقين كان مخصصا لفلسطين في وقت كان عدد المستوطنات في الضفة الغربية محدودا.

كان الجمود الفلسطيني وبقاء الفلسطينيين أسرى الجغرافيا اللبنانية نقطة التقاء روسية–سورية. صار الجمود الفلسطيني الآن نقطة التقاء بين إيران واليمين الإسرائيلي. هناك توجّه إيراني واضح منذ ما يزيد علىٰ ربع قرن، أي قبل توقيع اتفاق أوسلو في العام 1993، لتشجيع كل ما يمكنه مساعدة اليمين الإسرائيلي علىٰ التذرع بأنّ "لا شريك فلسطينيا يمكن التفاوض معه". ليس مؤتمر طهران الأخير الذي انعقد تحت شعار "المؤتمر الدولي السادس لدعم الانتفاضة الفلسطينية" سوى خطوة أخرى في هذا الاتجاه.

لعبت العمليات الانتحارية التي نفّذتها حركة "حماس" في مرحلة معيّنة، خصوصا منتصف تسعينات القرن الماضي، دورها في صعود اليمين الإسرائيلي الرافض لأيّ تسوية من أي نوع كان.. وصولا إلىٰ تشكيل الحكومة الحالية لبنيامين نتنياهو التي أعلنت صراحة أن الضفّة الغربية جزء من إسرائيل. ما لم يلاحظه كثيرون أن نتنياهو ربط في المؤتمر الصحافي المشترك مع الرئيس دونالد ترامب بين "الشعب اليهودي" والضفّة الغربية التي شدّد علىٰ أن اسمها هو "يهودا والسامرة".

في مرحلة معيّنة، سعت تركيا بدورها إلىٰ المتاجرة بالفلسطينيين وقضيّتهم وذلك عندما وعدت بفكّ حصار غزّة. فشلت في ذلك فشلا ذريعا بعدما اعتمد رجب طيب أردوغان سياسة ينقصها كلّ نوع من أنواع المرونة والنفس الطويل. في المقابل تستخدم إيران الدهاء والصبر. إنّها تعرف أن إسرائيل في حاجة دائمة إلىٰ مؤتمر من نوع ذلك الذي انعقد في طهران وإلىٰ خطابات تهدّد وجودها وترد فيها عبارات من نوع أنّها "ورم سرطاني".

بعد نصف قرن علىٰ الهزيمة، تغيّر الشرق الأوسط كلّيا. لكنّنا ما زلنا في انتظار اليوم الذي تتوقّف فيه المتاجرة بفلسطين التي فقدت للأسف الشديد القيادات القادرة علىٰ اتخاذ القرارات الكبيرة بعدما صارت "فتح" أكثر من تنظيم واحد متجانس، بل صارت دكاكين عدّة علىٰ الرغم من وجود رجال صادقين فضّلوا الابتعاد عن القيادة أو أبعدوا عنها.. وبعدما تبيّن أنّ "حماس" وتنظيمات أخرى مخترقة إيرانيا إلىٰ أبعد حدود وأكثر بكثير ممّا كان متصوّرا.

حل الدولتين في مرمى الجمود الفلسطيني المستمر

الطريق الشائك لحل الأزمة مع النقابات في تونس

مختار الدبابي
كاتب وإعلامي تونسي

❑ بدأت تونس تتعافىٰ تدريجيا من أزمة الإرهاب، وتغالب نفسها للتعافي في الأزمتين الاقتصادية والاجتماعية. لكنها لم تتجاوز بعد الأزمة السياسية بسبب الحسابات التي تجريها جهات مختلفة لتحويل وجهة الدولة لخدمة أجنداتها.

ولا يجد من يفشل في تحقيق أهدافه الحزبية أيّ حرج في الاجتراء علىٰ الدولة، وإظهارها في موقف الضعيف والمربك. ولا يتم ذلك وجها لوجه، ولكن عبر أدوات في ظاهرها غير سياسية، سواء بالتخفي وراء جمعيات مدنية وحقوقية أو عبر النقابات التي أصبحت تتحكم في كل شيء، ويستحي المسؤولون السياسيون أن يعترضوا عليها بصوت عال كنوع من المجاملة لاتحاد الشغل.

لا أحد في تونس عارض نشاط النقابات منذ الزعيم الحبيب بورقيبة مرورا بالرئيس الأسبق زين العابدين بن علي، وصولا إلىٰ الرئيس الحالي الباجي قائد السبسي. والصدامات التي حصلت بين السلطة والنقابة كانت بسبب بحث الأخيرة عن دور سياسي في المشهد الوطني، وبعضها كان واجهة لصراع شخصي بين زعيم النقابة ورئيس الدولة مثلما حصل بين المرحومين الحبيب بورقيبة والحبيب عاشور.

الآن، تستعرض النقابات قوتها في أغلب القطاعات، مستفيدة من دورها في الحوار الوطني الذي أفضىٰ إلىٰ الإطاحة بحركة النهضة من الحكم في 2013. وتريد أن تلعب نفس الدور مع حكومة الشاهد بسبب وزير التربية ناجي جلول.

ولا تخفي نقابة التعليم الثانوي ونظيرتها في الابتدائي أن مطلبهما بإقالة جلول مطلب سياسي، وأن المطالب الخاصة بالزيادات والترقيات قد تم استيفاؤها.

وسبق أن نجحت نقابة الصحة في أن تطيح بالوزير السابق سعيد العايدي مستفيدة من توازنات داخلية في حزب نداء تونس كانت تطالب بإقالته. وذنب العايدي أنه أراد أن يمسك بالملف الصحي كوزير ووضع إصبعه في عش دبابير الفساد. ويبدو أن بعضها كان علىٰ صلة بنقابيين وازنين علىٰ مستوى نقابات وسطىٰ.

من الواضح أن حكومة الشاهد تريد أن تحتفظ بعلاقة ودّ مع الاتحاد العام التونسي للشغل لأن دوره مهم في المساعدة علىٰ تحقيق برنامجها الإصلاحي، والاحتفاظ بأجواء إيجابية مساعدة علىٰ استمرار العمل بوثيقة قرطاج التي وقع عليها اتحاد العمل، واتحاد رجال الأعمال، فضلا عن الأحزاب الوازنة في المشهد التونسي.

وتنتظر الحكومة موقف القيادة الجديدة لاتحاد الشغل، بزعامة نورالدين الطبوبي، من لعبة ليّ الذراع في قطاعي التعليم مع الحكومة، خاصة أن فترة الحملات الانتخابية في المنظمة قد انتهت، وأفرزت الانتخابات قيادة من غير قائمة لسعد اليعقوبي الذي يتزعم الآن حملة الإطاحة بوزير التربية. ومن ثمة يمكن أن يخرج الاتحاد بموقف أكثر اعتدالا في قضية ثانوية ضمن أولوياتها، لكن الصمت عليها قد يقود إلىٰ تصعيد غير محسوب مع الحكومة.

ونعتقد أن قيادة الاتحاد ستحاول أن تحفظ ماء وجه نقابييها بانتقاد جلول وتصريحاته التي استفزت النقابات ومنتسبيها، لكنها أيضا، وهي الحريصة علىٰ أن تبقىٰ قوة تعديلية في البلاد، ستسعىٰ للتهدئة وامتصاص التصعيد للتفرغ لقضايا أهم.

وما يشجع علىٰ هذا الاعتقاد هو أن الجهة السياسية التي تحرك نقابات التعليم ليست طرفا قويا داخل الاتحاد وفي المشهد السياسي، وأن الاتحاد لا يمكن أن يسير في أجندة سياسية مكشوفة ولو كانت لفائدة أمينه العام، فما بالك بأجندة جهة محدودة التأثير.

وتحتاج الحكومة بدورها إلىٰ أن تضغط علىٰ الوزير ليكفّ عن إطلاق التصريحات المستفزة تجاه النقابات، وأن يقلل من ظهوره الإعلامي، ومن اتخاذ قرارات متسرعة دون أن تجري الحكومة بشأنها استشارة أوسع وتتبناها بصفة علنية.

ومن تلك القرارات يمكن الإشارة إلىٰ قضية الزمن المدرسي التي بان بالكاشف أنها خطوة غير محسوبة ومرتجلة، أو اقتراح الوزير بأن تدرس مادة التاريخ بصفة مختلفة في كل منطقة، حسب تاريخها، وهو موقف مثير للاستغراب ولا يفسر إلا بالرغبة في إحداث المزيد من الجدل حوله.

ويمكن للرئيس الباجي قائد السبسي أن يكلّف لجنة من الخبراء في المجال التربوي لوضع رؤية جديدة لإصلاح التعليم، ويتم بعد ذلك استشارة الأحزاب والمنظمات الوطنية، بما في ذلك اتحاد الشغل، حولها ويتم تبنيها كوثيقة مرجعية وطنية مثل وثيقة قرطاج التي أفضت إلىٰ إنشاء حكومة الوحدة الوطنية بزعامة يوسف الشاهد.

ويمكن لخطوة رئاسية مثل هذه أن تخرج بإصلاح التعليم، كمهمة حساسة واستراتيجية، من التجاذب الحزبي أو الأيديولوجي، فضلا عن التجاذب الخاص بمن يقود عملية الإصلاح مثلما يجري الآن بين جلول والنقابات وكلاهما لا يستطيع أن ينهض بهذه المهمة الصعبة.

إن مواجهة الحكومة لإضرابات التعليم، والصحة التي تلوح بإضراب نهاية مارس، وبقية القطاعات، بالصمت والتسويف وانتظار أن تتراجع النقابات تحت ضغط غضب الشارع، سيعني آليا العودة بالبلاد إلىٰ مرحلة الترويكا، وتصبح تونس واقعة تحت سيطرة النقابات والفوضىٰ.

ولا تكلف الإضرابات خسائر كبيرة للدولة فقط، فأول من يتضرر منها المواطنون سواء بغياب الخدمات وتعطيل المصالح، أو بجعل أولياء التلاميذ تحت ضغط شديد، فيضطر الكثير منهم للتغيب عن أعمالهم حتىٰ لا يتركوا أبناءهم في الشارع وأمام المؤسسات التربوية حيث تنتشر مظاهر سلوكية مثيرة للخوف.

وسيقول بعض النقابيين إن التلاميذ أبناؤنا وسننهي البرنامج معهم بدروس التدارك في الوقت المناسب، وهي حجة ضعيفة، فقلة من المربين يتدارك ما فاته، فضلا عن أن ذلك يتم علىٰ حساب وقت التلاميذ وعلىٰ حساب النوعية.

ويتحجج قادة من نقابة الثانوي بأن نسبة المشاركة في الإضرابات عالية، وهذا كلام منطقي في ظل ميل الناس للراحة في بلد آخر ما يفكر فيه المواطن هو العمل، ومن ثمة فلا يمكن أن يكون حجة علىٰ أن القطاع داعم لخيار ليّ الذراع من الحكومة الذي تتبناه النقابة.

ومن المهم الإشارة إلىٰ أن النقابة لم تكن علىٰ خلاف مع وزير التربية حين تسلم مهامه قبل عامين (فبراير 2015)، فقد توافقا بشأن لجان الإصلاح المشتركة، وأمضيا معا علىٰ قرار العمل بنظام السداسي بدل الثلاثي، قبل أن يتم التراجع عنه تحت ضغط احتجاجات للتلاميذ اتهمت النقابة أطرافا سياسية بالوقوف وراءها.

> الرئيس السبسي يمكنه تكليف لجنة من الخبراء في المجال التربوي لوضع رؤية جديدة لإصلاح التعليم يتم اعتمادها وثيقة مرجعية مثل وثيقة قرطاج التي أفضت إلى إنشاء حكومة الوحدة

وفي أبريل 2015، رحب اليعقوبي بانطلاق الحوار الوطني لإصلاح المنظومة التعليمية الذي بدأه جلول، مشددا علىٰ أن "بداية الحوار يعد في حد ذاته خطوة إيجابية، لكن عليه أن يتواصل بصفة تشاركية وعلىٰ أسس سليمة".

وشدد، وفق ما نقلت مواقع إعلامية، علىٰ أنه لمس وجود رؤية تشاركية متقاربة بين مختلف الأطراف المنخرطة في عملية مراجعة التعليم.

وهكذا، فإن المعركة في حقيقتها سياسية، وأن الجهة التي تدفع باتجاه توسيعها تريد أن تستثمر غضب الأساتذة والمربين من تصريحات وزير التربية للإطاحة به، والإعلان عن حضورها من باب قوي في ظل حكومة مرتبكة بسبب تعدد الملفات والاشتراطات داخليا وخارجيا.

والطريق إلىٰ الحل يفرض علىٰ الحكومة أن تسعىٰ لتطويق الأزمة بالتعاون مع الاتحاد، والاستفادة من علاقات السبسي بالمنظمة العمالية لإحداث اختراق جدي يوقف حالة التوتر.

صار للعالم خارطة جديدة غير مذكورة في الكتب المقدسة

أردوغان يخلط العلمانية بالإسلام السياسي ويحاول رفض المركزية الغربية

أسعد البصري
كاتب عراقي

❏ خرج أردوغان علينا في مقابلته الأخيرة مع تركي الدخيل بفكرة جديدة. يقول "لا نريد خلافة الآن". وهذه طبعا مناورة، والعلمانية لا تتعارض مع الإسلام السياسي. يمكنك أن تكون إسلاميا أو ملحدا في دولة علمانية تضمن حقوق الجميع. أي أن الدولة العلمانية عليها السماح للظلاميين باختطافها، وهذا بالضبط ما انتبهت إليه مصر والدول الغربية مؤخرا وأدّى إلى صعود اليمين في أوروبا وأميركا. اليمين لا يعني العودة إلى المسيحية، بل إغلاق الباب بوجه الذين يرفضون القيم الغربية العلمانية.

لهذا السبب فإن الإخواني خطر، كائن أميبي لا شكل له ويريد الاحتفاظ بكل شيء؛ العلمانية والإسلام ودعم الغرب ودعم الجماهير. المشكلة هي أن الأنظمة القومية العلمانية في المنطقة كانت دكتاتورية وبالغت بالبطش، ولكن الفلاسفة يصنفون القومية والفاشية والنازية كحالة دينية مثلها مثل الإخوان والخميني، العلمانية الحقيقية هي الليبرالية الرأسمالية.

العالم الإسلامي اليوم يمر بحالة شديدة من النفاق. فأهم مظهر من مظاهر العلمانية هو الديمقراطية والحق بالانتخاب، أي تحول السلطة من الحق الإلهي إلى حق الشعب، هذه قضية تم الالتفاف عليها وأصبح الحزب الإسلامي يفوز بالانتخابات، لأن حق الشعب يسير جنبا إلى جنب مع الحق الإلهي.

ما هو السر الذي جعل أوروبا، والغرب عموما، يغادر الفهم السياسي الديني؟ وما هو سر تمسك المسلمين بهذا الفهم؟ إن مناورة أردوغان الأخيرة ستجعل الإخوان المسلمين حول العالم يستديرون معه ويتسللون بوجه علماني مزيّف في الانتخابات العراقية القادمة خصوصا. هي ذات المناورة التي قامت بها الأحزاب الشيوعية بعد سقوط الاتحاد السوفييتي حين تحولت من قوى اشتراكية إلى قوى ديمقراطية، فلا تعارض بين الشيوعية والديمقراطية، بل لا تعارض بين الشيوعية والإسلام الشيعي السياسي. وهكذا يستمر العالم الإسلامي يدور حول نفسه. ما هو السبب؟ أعتقد أن السبب هو عدم وجود مثقفين إلى درجة يصبح السياسي هو المثقف ويقود العقول.

أساس الأصل الرفيع

على مدى 13 سنة من سقوط بغداد كل العلمانية الشيعية كانت نقدا للدين السنّي حصرا الذي يهاجمه كل يوم المثقفون السنة بأنفسهم. هل العالم كما تخيله الإمام علي أو جعفر الصادق أو الباقر مقبول اليوم أم تجاوزه الزمان؟ هل نظرتهم للعالم دينية أم لا؟ وهل هذه النظرة مقبولة عند العلماني الشيعي؟

لا يستطيع المثقف الشيعي النظر في هذه الأشياء. إنه يهرب إلى نقد الأديان عموما، أو نقد النبيّ والقرآن والصحابة وفي أحسن الحالات تراه يهاجم الخميني، وحتى هذا لا يكون دون مقابل ومكافأة. تبقى عقيدته بلا مساس، نقصد المساس المباشر. هذا معناه أن المثقف الشيعي علماني على السنة فقط "أشدّاء على الكفار رحماء بينهم". والسؤال يبقى كما هو؛ هل نحن أصحاب رسالة للبشرية جمعاء أم مجرد شعوب متعبة بحاجة إلى مساعدة؟

البيض استعبدوا الأفارقة. كانت هناك شركات رقيق أرباحها 6 بالمئة في بورصة لندن ومضمونة في القرنين الثامن والتاسع عشر. تم خلال تلك الفترة اصطياد 10 ملايين أفريقي مات معظمهم لظروف العمل الشاق في أميركا وقساوة الرحلة البحرية والأوبئة وقتل كثيرون أثناء عمليات المطاردة بأدغال أفريقيا.

وبرر البيض ذلك حينها في الكنائس والمدارس على أن السود شعب ملوّث ناقل للأمراض يجب وضعهم تحت السيطرة وعزلهم. لهذا حتى بعد تحرير العبيد لعقود طويلة كانت الفنادق والمطاعم ترفض استقبال السود. وكذلك ألمانيا النازية أسست نظرية كاملة على أساس الأصل الرفيع للشعب الألماني والتفوق العرقي والعنصري وكلفت العالم ملايين الأبرياء.

كل هذه الأفكار انهارت وتحطمت بقوة العلوم والفكر الحديث، وتم سن قوانين حقوق الإنسان وحقوق الطفل وحقوق المرأة وتجريم العنصرية في الغرب. السيدة أوبرا النجمة الأميركية الملياردية هي حفيدة أولئك الرقيق المقهورين لأسباب التحول الصناعي واكتشاف القارة الجديدة، وكذلك مايكل جاكسون وكوندوليزا رايس.

فهل نريد حقا إقناع العالم المتحضر بالنسب الرفيع للعشيرة العراقية الفلانية؟ والبيت الشريف لعائلة فلان؟ لا يمكن لعالمنا القديم أن يستمر. علينا التوقف عن ثقافة التكفير والكراهية والتفوق فنحن شعوب مقهورة لا تحتمل ضربة جادة من الغرب القوي.

مشكلتنا مع رجال الدين هي أننا لسنا أمام وجهة نظر بل أمام ادعاء خطير وإشكالي بأن أفكارهم من السماء. ولأن التاريخ لا يتوقف على الإطلاق، فقد عكفت الكنيسة والمدارس الدينية على "التأويل" وهذا التأويل هو بمثابة إعادة تفسير النصوص الدينية بطريقة تناسب العصر الحديث، في النهاية استسلمت الكنيسة وانطوت على نفسها، بينما مشايخ الإسلام يعتقدون حقا بقدرتهم على ذلك. كلي ثقة بأن هؤلاء المشايخ يعيشون غيبوبة ولا يعرفون العالم الغربي الحديث.

القرضاوي مثلا يقول إنه ألف كتبا ومجلدات وموسوعات، والحقيقة لا توجد قيمة لهذه الأشياء في نظر العلماء. المؤرخ توينبي ألف كتابا واحدا هزّ العالم، وكذلك نيوتن غيّر العالم بكتابه عن القوانين الطبيعية، حيث وضع قوانين الحركة في ثلاث معادلات رياضية واضحة، واليوم مثلا مؤرخ إسرائيلي شاب هز الوسط الثقافي هزا برؤيته. يقول إن الاغتراب المعاصر ليس ذلك الذي تحدث عنه ماركس قديما "اغتراب العامل عن وسائل الإنتاج" بل هو اغتراب الإنسان عن جسده بسبب التكنولوجيا. ولم تعد هناك مأساة للعامل، بل المأساة هي عدم الحاجة إلى عامل في المستقبل بسبب ثورة المعلومات والتقدم التكنولوجي، وأن التاريخ غير عادل فإن أمما بأكملها ربما ستختفي إذا لم تستطع اللحاق بالتقدم الحالي. كتاب واحد يؤلفه دماغ عبقري يغيّر نظرتنا إلى العالم، بينما القرضاوي عنده مليون كتاب، والشيرازي عنده مليون مجلد. لا قيمة لهذه الكتب بكل تأكيد.

سألوا مفكرا معاصرا عن العالم الافتراضي (الإنترنت) ومشكلة شبكات التواصل الاجتماعي، فأجاب بأنه قد قيل قديما حين تحصل على شيء مجانا فغالبا ما تكون أنت السلعة المقصود شراؤها، وهذه الشبكات تقدم لك خدماتها مجانا مقابل الحصول على بياناتك والتعرف عليك. إن هدف التكنولوجيا في النهاية هو توفير طريقة لفهم الإنسان أكثر من فهمه لنفسه.

لعبة العالم الافتراضي

حول قضية الألعاب الإلكترونية والتسلية التي جعلت الإنسان يعيش في عالم خيالي قال إن أقدم لعبة إلكترونية في التاريخ هي الدين، فهو يجعل الإنسان يعيش في عالم افتراضي، وقد يدخل الإنسان في هذه اللعبة ولا هدف له سوى الحصول على نقاط مقابل تطبيق التعاليم (الشريعة) على أمل أن يكون قد حصل ساعة موته على نقاط كافية لدخول الجنة. وكما تم استخدام اللعبة الدينية لفهم الإنسان والسيطرة عليه من قبل الدول في التاريخ، سيتم استخدام التقدم التكنولوجي الحديث لنفس الغاية وذات الغرض.

إن اعتقادنا بأن مفاهيمنا القديمة مثل الدين والقبيلة والعائلة تستطيع أن تقدم لنا أيّ نوع من الخلاص في عالم متسارع هو مجرد وهم وجرح نرجسي حضاري. نحن في عالم انهار فيه الدين السياسي نهائيا، وتفككت فيه العائلة، الأب والأم يعتبران خادمين للأطفال ولا يتمتعان بأيّ حصانة وتقدير في العصر الحديث، علم النفس قائم على تجريم الأبوين مهما قدما لأطفالهما، والرسوم المتحركة والمدرسة والقوانين قائمة على تدمير سلطة العائلة.

إن الغربيين يربّون الأطفال وينجبون لغرض المتعة فقط، فهم يعلمون أن أبناءهم سيغادرون، ولن يساعدوهم ماليا، ولن يقوموا برعايتهم في الشيخوخة والمرض، وليس لهم أيّ رأي في حياتهم في المستقبل. الإنسان الحديث يعيش اليوم وأمه الدولة وأبوه السوق الاقتصادي. فالدولة تحميه وتعالجه وتنفق على شيخوخته وكذلك شركات التأمين.

الغربي هدفه من العيش هو المتعة والاستهلاك إذا كان فقيرا، وهدفه السلطة والاستثمار الدائم إذا كان غنيا. إنه تغير كبير بدأ منذ انفجار علم الجغرافيا واكتشاف قارتي أميركا وأستراليا. صارت للعالم خارطة جديدة غير مذكورة في الكتب المقدسة. الطموح والثقة بالعلوم والرغبة بالحرية صنعت لنا هذا الإنسان الجديد، ولأننا لا نفهمهم نصاب بصدمة، وغالبا ما تتحول الصدمة إلى نزعة إسلامية دينية، وهي ليست رأيا مقابل رأي آخر، إنها مجرد خوف من المغامرة كما حدث لإيران في ثورة الخميني 1979. إنه اختباء وعزلة عن العالم، انسحاب من السوق العالمي وقدر العالم.

إن الإسلام السياسي أصبح خللا عقليا وعائقا أمام فهم العالم. هذا الدوران حول الذات ظنا منا بأننا ندور حول الإيمان أصبح يهدد بانقراضنا الحتمي. ضعف الدولة في العراق مثلا وعودة القبائل والطوائف هو خلل عقلي معروف يؤدي إلى تصاعد العنف، والعالم يفهم هذا النوع من النكوص البدائي.

على الشيعي أن يعرف بأن أئمته لم يقولوا شيئا يساعد على فهم هذا العالم الرهيب الذي نراه أمامنا، لا توجد في نهج البلاغة أيّ جملة تساعدك على فهم العالم الغربي الحديث، هذا مؤكد، بل على العكس توجد فيه جاذبية للماضي وعزلة عن العالم، فالقول بالتقشف والقناعة يصطدم مع قيم الاستهلاك المعاصرة، والقول "ما رأيت نعمة موفورة إلا إلى جانبها حق مضيّع تصطدم مباشرة بمبادئ آدم سميث حول الاقتصاد الحديث الذي يؤمن بالنمو الاقتصادي المستمر من خلال الطموح والطمع وأثبت التاريخ صحته.

وعلى السنيّ العراقيّ أن يعرف بأنه لا يوجد في الكتب السلفية ما يساعده على فهم العالم المسيطر اليوم. إنه عالم يحتاج عقلا جديدا تماما، وإيمانا بأن الأشياء تتغيّر، وعلينا ألا نقاومها، بل نتفهمها فقط. حتى مشايخ الاعتدال هم أفيون من نوع آخر. فهم يساعدون دماغ المحشوّ بالأوهام على إيجاد تأويل يساعدك على التماسك وعدم الانهيار. مجرد مسكّن يحميك من الفصام، ويحمي الدولة من جنونك وتطرّفك، لكن في النهاية مشايخ الاعتدال يمثّلون الإصرار على فهم العالم دينيا، إنها أيديولوجيا تمنعنا من فهم العالم بأدواته نفسها. نحن الأمة الوحيدة التي اخترعت مشايخ لنشر العلمانية، وهذا مضحك حقا.

لا يوجد في الدين ما يساعد على فهم العصر الحديث، بل يوجد في العصر الحديث ما يساعد على فهم الديانات. إننا جميعا نعاني من مأساة حضارية. الغربي إنسان جديد بمعنى الكلمة، وهو الإنسان الذي يقود العصر الحديث، هو الذي يتغير ويغير العالم كله. الحضارة الضخمة الحديثة من صنع الغرب، وهو ارتكب جرائم كبيرة، وهو الذي قدم أعظم المآثر الإنسانية أيضا.

الانفجار الحضاري

لا نستطيع محاكمة الحضارة الغربية. لا يوجد عقل يُعتد به خارج القيم الغربية. المحاكمة الوحيدة للحداثة تتم من خلال الدين وهذه بالنهاية مجرد إرهاب وظلام وارتكاس ونكوص. إننا لا نستطيع حجب الشمس بغربال بعد اليوم. لا يوجد أيّ فرق بين عشائر العراق وعشائر الهنود الحمر، كلها مجتمعات بدائية وقيم خارج النور والعصر، كلها أشياء زائلة عاجلا أم آجلا.

لا نستطيع محاكمة الحداثة بعقول قديمة

إن الغرب احتل مصر بحملة نابليون. هذا صحيح، ولكنهم فكروا بالهيروغليفية المصرية أكثر من المصريين أنفسهم، أكثر من الفاتحين المسلمين والمماليك والفاطميين. الغرب هو الذي علمنا ماذا يقول المصريون القدامى؟ ما هي الكتابة الهيروغليفية؟ احتل العالم بالمستكشفين والعلماء، لقد أرادوا دراسة تلك الأراضي والمجتمعات واللغات وليس تعليمهم رسالة السماء وهدايتهم. لا نستطيع محاكمة الحداثة بعقولنا القديمة ولا فهمها أصلا، المهم أن نؤمن بأننا لا نعرف ونريد أن نتعلم. نؤمن بوجود قطيعة حقيقية كاملة بين العصر الحديث والعصور القديمة.

يقول فيلسوف غربي لفهم حجم الانفجار الحضاري المعاصر تخيل أن فلاحا نام في القرن العاشر الميلادي وأفاق في القرن الخامس عشر فإنه سيجد نفسه بعد خمسة قرون يعيش في العالم نفسه تقريبا لا توجد طفرات كبيرة، كما حدث لأهل الكهف الذين لم يجدوا أيّ تغيير مهم حين أفاقوا.

ولكن تخيل لو نام فلاح في القرن الخامس عشر وأفاق في عصرنا هذا، ورأى ناطحات السحاب والطائرات والهواتف النقالة والكمبيوترات. حتما سيصعب عليك إقناعه بأنه الكوكب ذاته. لم تعد هناك ثورة فرنسية نهاية القرن الثامن عشر، ولا ثورة ليبرالية بداية القرن التاسع عشر، ولا ثورة شيوعية بداية القرن العشرين، الحاصل اليوم في عصرنا هو أن كل عام يمر يمثل ثورة علمية عملاقة تهز العالم من حولنا جوهريا.

إن عقل ذلك الفلاح الذي نام في القرن الخامس عشر وأفاق مذهولا في زماننا هو الدين بل هو نحن العراقيين تحديدا. لا فائدة من العناد والمطمطة والتأويل. ذلك الفلاح القادم من القرن الخامس عشر أو القرن السادس الميلادي عليه أن ينسى ما حفظه وآمن به. عليه ألا يفجّر نفسه ولا يكفر الناس، عليه أن يجلس في الأول الابتدائي ويقول علّموني.

أكبر خيانة في التاريخ الحديث هي خيانة المثقف العراقي لشعبه مقابل المال الشيعي الديني. ماركس مثلا كان مطاردا في بلاده ألمانيا وذهب للعيش في لندن، مثله مثل سلفه الفرنسي فولتير لا مشكلة. لم يقل أنا رجل فقير وحدي ماذا يمكنني أن أفعل؟ بل جلس في مكتبة لندن وخلق أفكارا وبعد نصف قرن من وفاته كان نصف الكوكب يحاول تطبيق أفكاره، والنصف الآخر أجرى إصلاحات اجتماعية تحت ضغط النقد الماركسي الأخلاقي لحرية السوق والرأسمالية. اليوم في العراق يقولون لك إن الشيوعيين قليلون ماذا بإمكانهم أن يفعلوا؟ قرأت لشيوعي يقول ما هو وزن الحزب الشيوعي بالمقارنة مع التيار الصدري؟

هل هذا كلام مثقفين حقا؟ وهل المطلوب "عركة" عشائر مثلا؟ شيوعي آخر يقول إن المحاصصة الطائفية أفضل نموذج سياسي للعراق. الشيوعيون الشيعة سقطوا في جاذبية الطائفة وامتلاكها السلطة في العراق ولو رمزيا. طائفيتهم جرّدتهم من كل منطق فهم يريدون حكم أغلبية بالعراق، ويرفضون حكم الأغلبية في سوريا.

يريدون محاصصة طائفية في العراق، ويرفضون المحاصصة الطائفية في إيران.

> سألوا مفكرا معاصرا عن العالم الافتراضي، فأجاب بأنه قد قيل قديما حين تحصل على شيء مجانا فغالبا ما تكون أنت السلعة المقصود شراؤها، وهذه الشبكات تقدم لك خدماتها مجانا مقابل الحصول على بياناتك والتعرف عليك

يرفضون الإسلام السياسي التركي، ولا يرفضون الإسلام السياسي الإيراني. يرفضون الإخوان المسلمين وتنظيم داعش، ولا يرفضون حزب الله اللبناني والأحزاب الشيعية العراقية. هذه بكل أسف صورة العلماني العراقي ولا نقصد التعميم طبعا.

صار أردوغان هو المثقف، وأصبح خامنئي هو المفكر، الشعب العراقي بلا مثقفين وصار يمتص الإسلام السياسي بنسختيه الإخوانية التركية والشيعية الفارسية بسبب غياب الوعي الوطني وعزلة العراق عن العالم العربي. صار يمكن لأردوغان أن يقنعنا بأن الدولة تبقى علمانية إذا حكمها الإسلاميون.

ضرورة نسيان الماضي

أهم شيء نحن بحاجة إليه هو نسيان الماضي، تجاوز الجرح النرجسي الحضاري. نحن لم نعد إمبراطورية ولا خير الأمم ولا خلافة بل دول حديثة عليها اللحاق بركب الحضارة. لقد لاحظت أن الهندي الأحمر في كندا الذي يحبّ البيض والحضارة الغربية يكمل دراسته ويستقر اقتصاديا لأنه لا يحمل حقد الماضي، بينما الحقود يبقى مدمنا على الكحول وحياته صعبة جدا. إن نسيان الماضي والقبول بالحضارة الحديثة وقيمها هو سر نجاح الأمم والأفراد. الهند مؤخرا تنازلت عن غرورها القومي وصارت تعلم اللغة الإنكليزية من المرحلة الابتدائية.

عام 1969 وقبل انطلاق أبولو 11 إلى القمر كان كل من نيل أرمسترونغ وبز ألدرين يتدربان في صحراء بعيدة غرب الولايات المتحدة حيث الكثبان والصخور مشابهة للقمر. كانت في الجوار قبيلة من الهنود الحمر فسألهم عجوز طاعن في السن ماذا تفعلون؟ قالوا نحن نتدرب هنا للذهاب إلى القمر، قال العجوز حسنا عندي رسالة رجاء قبيلتنا تؤمن بأن أرواحا تسكن القمر ونحب أن نرسل لهم رسالة.

فأعادها عليهم باللغة الأصلية عدة مرات حتى حفظوها عن ظهر قلب ثم قالوا ما معناها؟ قال لا يمكن لي أن أخبركم إنها لغة مشتركة بيننا وبين سكان القمر. فبحثوا حتى وجدوا رجلا يتحدث لغة تلك القبيلة ونطقوا بالرسالة أمامه فدمعت عيناه من الضحك قال معناها "يا سكان القمر الأعزاء قد يأتي الرجل الأبيض إليكم بالعلوم وحب المعرفة والوعود، لا تصدقوه رجاء إنه في النهاية يسعى إلى السيطرة عليكم وسلب أراضيكم منكم".

> لا يوجد في الدين ما يساعد على فهم العصر الحديث، بل يوجد في العصر الحديث ما يساعد على فهم الديانات. إننا جميعا نعاني من مأساة حضارية. الغربي إنسان جديد، وهو الإنسان الذي يقود العصر الحديث، هو الذي يتغير ويغير العالم كله

عقل عسكري استراتيجي يواجه سياسات ترامب

ماكماستر
بيضة قبان الجمهوريين في البيت الأبيض

توفيق حلاق

❑ **واشنطن** – فوجئ الرئيس ترامب برفض الأدميرال هارورد لتعيينه مستشاراً للأمن القومي، خلفاً لمايكل فلين. ولكن حيرته لم تطل فقد عثر على من سيقبل بهذا المنصب. إنه الجنرال هربرت ريموند ماكماستر.

وقد نقلت صحيفة النيويورك تايمز عن مستشار الأمن القومي الجديد أنه، وعلى النقيض من مستشار الأمن القومي السابق المستقيل فلين، فإن مستشار الأمن القومي الجديد الجنرال ماكماستر ليس إيديولوجياً، ولا تربطه أيّ علاقات سابقة مع الرئيس ترامب قبل تعيينه مستشارا له.

> التحديات التي ستواجه ماكماستر ستبدأ من الملف السوري والحرب على الإرهاب. وهو الذي نشر مقالا في مجلة «ميليتاري ريفيو» حذر فيه من أن التركيز على القوة مثلما فعل ترامب في تهديداته بالقضاء على تنظيم داعش قد يؤتي نتائج عكسية

ماكماستر رجل استراتيجي كما يقول الإعلام الأميركي، ساهم بتحويل مسار الحرب في العراق لصالح واشنطن ذات يوم حين قاد وحدة عسكرية اشتبكت مع الحرس الجمهوري العراقي في واحدة من أكبر معارك الدبابات في العام 1990، وحصل بفضل قيادته تلك على وسام النجمة الفضية.

وخلال حرب العراق الثانية في العام 2005 قاد فوج سلاح الفرسان المدرع الثالث بهدف استعادة السيطرة على مدينة تلعفر العراقية.

ولذلك فإن مكانته كبيرة لدى الجميع. فقد خاض حربين كبيرتين في منطقة الخليج العربي والشرق الأوسط من قبل. صاحب وعي خلاق ومبتكر وغير تقليدي. إضافة إلى كونه مستقل الإرادة كما يشاع عنه.

حظي ماكماستر بدعم الجمهوريين للوصول إلى هذا المنصب الحساس، وكان من بين داعميه الكبار السيناتور توم كوتون من أركنساس والسيناتور الشهير جون ماكين. ماكماستر يشبه ماكين بنقده اللاذع، لكنه لم يكن موافقاً على خيار الحرب على العراق أيام جورج بوش الابن.

درس وتخرج من "ويست بوينت" العسكرية وحصل على الدكتوراه في التاريخ العسكري من جامعة نورث كارولينا.

المهمة الصعبة

لقد كانت مهمة ملء الفراغ الذي أحدثه غياب الجنرال فلين صاحب الخبرة الطويلة في مجال الاستخبارات العسكرية صعبة على الرئيس ترامب. ففلين الذي كان يملك سيرة أكاديمية ومهنية قوية، إذ تخرج في جامعة رود آيلاند، بدرجة البكالوريوس في علوم الإدارة وذلك عام 1981، كما كان من الخريجين المتميزين بفيلق التدريب الاحتياطي العسكري للضباط، وأيضا حصل على الماجستير في إدارة الأعمال في مجال الاتصالات من جامعة جولدن جيت، ودرجة الماجستير في الفنون والعلوم العسكرية من قيادة الجيش الأميركي وكلية الأركان العامة، ويحمل كذلك درجة الماجستير في الأمن القومي.

اختيار فلين مستشاراً للأمن القومي الأميركي ثم دفعه للاستقالة يوم الثلاثاء الـ14 من فبراير، زاد من الانطباع السائد حول سلوك الرئيس دونالد ترامب الذي شغل المواطن الأميركي منذ ترشحه للرئاسة كما شغل العالم أيضاً. ويقال إن مستشار الحملة الانتخابية وكبير الاستراتيجيين للرئيس ستيف بانون، رأى في فلين منافساً على أذن ترامب، فقرر الضغط للتخلص منه.

ويشعر المتابع لأخبار الرئيس بالعجز أحياناً عن فهم دلالات كلّ ما حدث ويحدث، نتيجةً لخياراته في توزيع مناصب الدرجة الأولى على شخصيات مثيرة في عقيدتها الفكرية وفي تاريخها الحافل بمولدات للتساؤل والشك. ومن جهة ثانية، في قراراته التنفيذية المتسرعة والتي تتعارض مع الدستور والقوانين الفيدرالية أحياناً. ثم في فهم دلالات تراجعه عن مواقف كان أعلنها أثناء حملته الانتخابية مثل نقل السفارة الأميركية في إسرائيل من تل أبيب إلى القدس وموقفه السلبي من بناء المستوطنات، ومثل الامتناع عن رفع العقوبات الاقتصادية عن روسيا بعدما وعد بتخفيفها، والاستمرار في دعم حق أوكرانيا في الوحدة والاستقلال، وغير ذلك.

المسؤولون الكبار الذين أحاطوا بالرئيس وهو يوقع قراره التنفيذي بمنع رعايا سبع دول من دخول الأراضي الأميركية وكذلك وقف قبول اللاجئين مؤقتاً، صفقوا له طويلاً وهو يستعرض أمامهم وأمام الكاميرا إنجازه الذي وعد به. هؤلاء أنفسهم وجدوا أنفسهم مضطرين للتصفيق ثانية عندما تراجع عن قراره تحت وطأة الدستور، وإن تم ذلك خلف الكاميرا.

مرة أخرى يجد ترامب نفسه قد أخطأ في اختيار فلين مستشارا للأمن القومي فيدفعه إلى أن يستقيل بعدما كان قد أشاد به أمام الصحافة، وأعرب عن ثقته به قبل أسبوع واحد. وفي اللغط الدائر هذه الأيام حول تصرّف فلين بين من يجد أنه لم يخالف القانون، وبين من رأى في اتصالاته الهاتفية مع السفير الروسي في واشنطن سيرغي كيسلياك قبل تسلم ترامب مهامه الرئاسية مخالفة صارخة للقانون. صحيفة النيويورك تايمز كشفت أن مكتب التحقيقات الفيدرالي "إف بي أي" استجوب مستشار الأمن القومي المستقيل فلين بشأن محادثاته الهاتفية مع السفير الروسي في واشنطن. وقالت الصحيفة "إن الاستجواب حصل بعيد تسلمه منصبه رسمياً، وتم في الأسبوع الأول من عهد ترامب الذي استلم مفاتيح البيت الأبيض في 20 يناير 2017". وأضافت الصحيفة "إن المحققين خرجوا من جلستهم مع الجنرال المتقاعد، وقد تكونت لديهم قناعة بأن فلين لم يكن صريحاً كلياً".

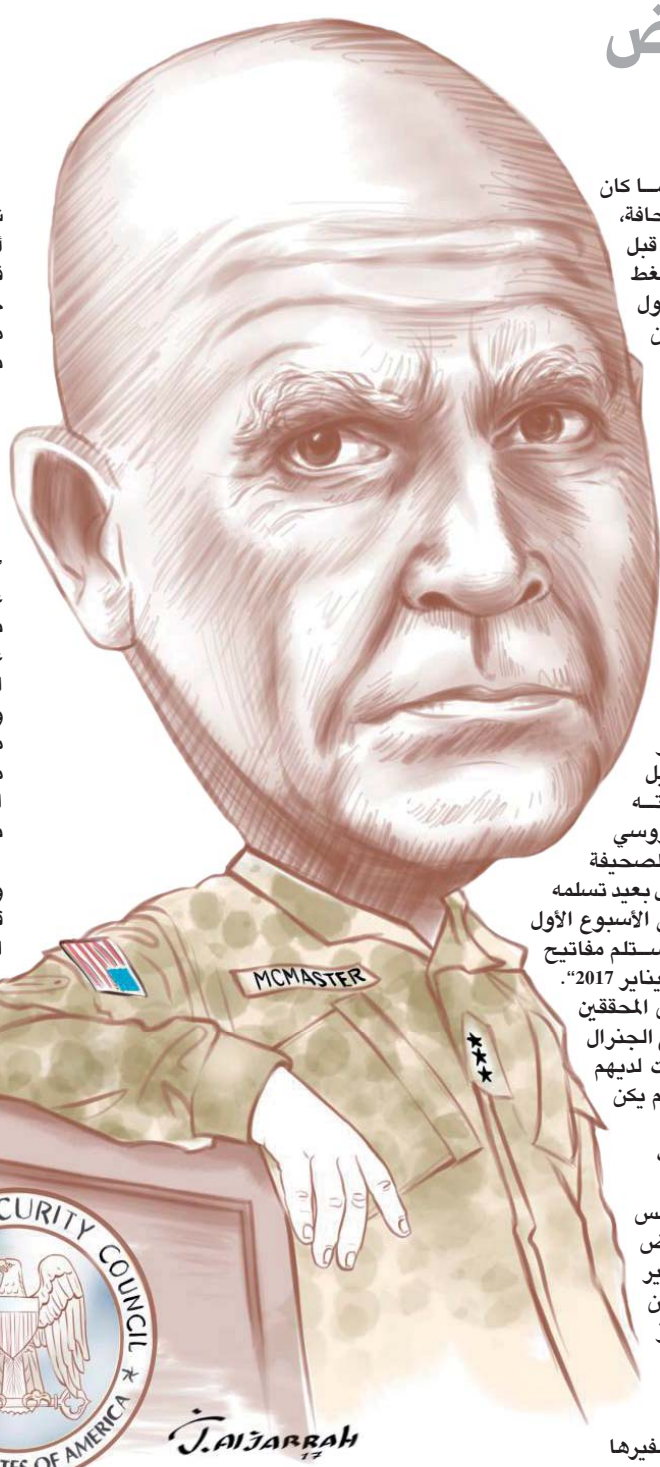

وبعد الاستجواب بعثت وزيرة العدل بالوكالة سالي ييتس رسالة إلى البيت الأبيض بتاريخ الـ26 من يناير تحذره فيها من خطر أن يتعرض فلين للابتزاز من قبل روسيا بسبب الاختلاف بين ما صرح به علانيةً حول محادثاته مع سفيرها في واشنطن وبين ما دار حقيقة في تلك المكالمات".

ومن المثير للتساؤل والشك أن الجنرال فلين نفسه أقرَّ بأنه خُدِع دون قصد نائب الرئيس مايك بنس بتزويده بمعلومات غير كاملة حول اتصالاته الهاتفية مع السفير الروسي. فيما أعلنت أجهزة مكافحة التجسس الأميركية عن عدم عثورها على دليل يثبت انتهاك فلين للقانون خلال اتصالاته بالسفير الروسي في واشنطن.

قناة "سي بي إس" الأميركية لفتت النظر إلى أن المحققين حاولوا الكشف عمّا إذا كان فريق ترامب قد نسّق خطواته مع ممثلي روسيا قبل الانتخابات وبعدها، إلا أنهم لم يصلوا إلى أيّ نتائج.

إهمال الواجب

كتاب "إهمال الواجب" كتاب صدر لمستشار الأمن القومي الجنرال ماكماستر، وقد تصدر قائمة الكتب الأكثر مبيعا على موقع "أمازون"، بعد تعيين مؤلفه في منصبه الجديد. وقد طلبت دار نشر بيرنيال هيربر بطبع 25 ألف نسخة إضافية من الكتاب الذي صدرت طبعته الأولى في العام 1997 بسبب تزايد الإقبال عليه، وفق وكالة أسوشييتد برس.

يتناول كتاب ماكماستر تحليلا لحرب فيتنام استنادا إلى تسجيلات رسمية لأصحاب القرار في ذلك الوقت. ويحلل السياسات التي وضعت في عهد الرئيس الأميركي الأسبق ليندون جونسون وتأثيرها على مجرى الحرب في البلد الآسيوي.

وذكرت قناة الحرة الأميركية أن استنتاجات "إهمال الواجب" تختلف عن الروايات التاريخية الأخرى المعروفة بخصوص الحرب، إذ يرى ماكماستر أن الخسائر التي تكبدها الجيش الأميركي في فيتنام تعود إلى "خداع الإدارة الأميركية" لهيئة الأركان المشتركة والكونغرس والأميركيين.

وذكرت وكالة رويترز أن ماكماستر ليس مجرّد جنرال، بل هو مفكر عسكري "كان للخبرة والممارسة العملية والتفكير دور في تشكيل أفكاره أكثر ممّا للمشاعر والانفعالات والسياسة، وربما يجد نفسه في ساحة سياسية غريبة عنه وربما معادية له مثلما كانت رمال أفغانستان والعراق ومدنهما معادية له، غير أنه لن يكون وحيداً في مهمته، فمن حلفائه البارزين في الإدارة الأميركية وزير الدفاع جيمس ماتيس ورئيس هيئة الأركان المشتركة الجنرال جوزيف دانفورد ورئيس لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ السيناتور جون ماكين، إضافة إلى الكثيرين من رجال الجيش الذين خدموا معه".

وقد نقلت عن الناطق باسم البيت الأبيض شون سبايسر قوله إن ترامب أبلغ ماكماستر أن "لديه الصلاحيات الكاملة في تكوين فريق الأمن القومي"، إلا أن ترامب سبق أن خطا خطوة غير معتادة بضم ستيف بانون مستشاره للشؤون الإستراتيجية المعروف بأفكاره اليمينية إلى مجلس الأمن القومي.

روسيا تنهي النظام العالمي

التحديات التي ستواجه ماكماستر ستبدأ من الملف السوري والحرب على الإرهاب. ماكماستر نشر مقالاً في مجلة "ميليتاري ريفيو" حذّر فيه من أن التركيز على القوة مثلما فعل ترامب في تهديداته بالقضاء على تنظيم داعش، قد يؤتي نتائج عكسية. وأضاف "في العراق أدّى عدم الفهم الكافي للعوامل المحركة للصراع من عشائرية وعرقية ودينية، إلى تنفيذ عمليات عسكرية مثل عمليات مداهمة شبكات يشتبه بأنها معادية، كان من شأنها أن تسببت في تفاقم المخاوف أو أساءت لإحساس السكان بالشرف بأشكال دعمت التمرد".

سيكون هناك الملف الروسي أيضاً، والعلاقات المتوقعة لترامب مع بوتين. ترامب قال إن روسيا شريك، بينما اعتبر ماكماستر الكرملين خصما تاريخيا، وقد أكد مؤخراً في حديث له أنّ ضمّ روسيا لشبه جزيرة القرم ودعمها المتمردين في شرق أوكرانيا باعتبار ذلك دليلاً على مسعى أشمل "لهدم النظام الأمني والاقتصادي والسياسي في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية وبالتأكيد بعد الحرب الباردة وإحلال نظام أكثر تفهّماً للمصالح الروسية محلّه". وقد يتصادم الرجلان أخيراً حول حجم الجيش الأميركي وشكله كما نقلت رويترز.

أما صحيفة التايمز فقالت إن ماكماستر معارض لروسيا بنسبة 100 بالمئة، وإن اختياره كان محل إشادة وترحيب من أشد منتقدي ترامب ومؤسسة الحزب الجمهوري. وأضافت التايمز إن تعيين ماكماستر أعطى إشارات إلى احتمال قيام البيت الأبيض بمراجعة سياساته تجاه موسكو.

لكن ماكماستر يعرف ما يقول، فهو يرى أن المؤرخين في الغالب سيعتبرون غزو روسيا لأوكرانيا في العام 2014 الحادثة التي أنهت مرحلة ما بعد الحرب الباردة. وقال أيضا أمام لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ الأميركي العام الماضي "إن روسيا تهدد النظام العالمي وإنها استغلت انشغال أميركا بالعمليات العسكرية في أفغانستان والعراق لتطوير قواتها وتحديث معداتها". ولذلك فقد قال المعارض القوي لترامب السناتور ليندسي غراهام إن ماكماستر يدرك التهديدات والتحديات التي تواجهها واشنطن. وأشارت التايمز إلى أن موسكو لم تعلق على اختيار ماكماستر، غير أن العضو البارز بلجنة الدفاع بالبرلمان الروسي فرانز كلنتسيفتش وصف ماكماستر بأنه "مهدد لروسيا بنسبة 1000 بالمئة".

> المسؤولون الكبار الذين أحاطوا بالرئيس وهو يوقع قراره التنفيذي بمنع رعايا سبع دول من دخول الأراضي الأميركية وكذلك وقف قبول اللاجئين مؤقتا، صفقوا له طويلا وهو يستعرض أمامهم وأمام الكاميرا إنجازه الذي وعد به. هؤلاء أنفسهم وجدوا أنفسهم مضطرين للتصفيق ثانية عندما تراجع عن قراره تحت وطأة الدستور، وإن تم ذلك خلف الكاميرات

● ماكماستر يحظى بدعم صقور الجمهوريين للوصول إلى هذا المنصب الحساس، وكان من بين داعميه الكبار في البيت الأبيض السيناتور توم كوتون من أركنساس والسيناتور الشهير جون ماكين.

مثقف جريء يتعرض مجددا لحملة تكفير وتخوين

عبدالعزيز المقالح
شاعر اليمن الذي يخشى المتحاربون شعره وصمته

صالح البيضاني

❑ **صنعاء** – في ذكرى مولده الثمانين التي حلت في هذا العام 2017 كتب شاعر اليمن عبدالعزيز المقالح أحدث قصائده التي يبدو أنه تمثل فيها قصيدة الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى التي يقول فيها "سَئِمتُ تكاليفَ الحَياةِ وَمَن يَعِش، ثمانينَ حَولاً لا أَبا لَكَ يَسأَمِ".

بَدا أن المقالح أيضا أدركه السأم وأثقل قلبه الحزن وهو يودّع 2016 ببكائية رثى فيها وطنه المكلوم بالحرب والصراعات وانهيار الأمثولات الجميلة في الحياة والبشر التي رافقته لعقوده الثمانية، قبل أن يراها تذوي أمام عينيه مثل زهرة ربيعية داهمها الخريف على عجل.

لكنّ حزن الشاعر وسنيّه الثمانين التي رسم فيها أحلام بلاده وحنينه إلى القرية والأصدقاء والمدن، لم يشفعا له أمام موجة الاصطفافات التي تجتاح اليمن، والتي جعلت المقالح، لمرة أخيرة ربما، هدفا للتخوين وهو في ثمالات عمره، بعد أن ظل ضحية للتكفير لمرات متتالية في مسيرته الثقافية شاعرا وناقدا ملأ الدنيا وشغل الناس.

ولد عبدالعزيز صالح المقالح عام 1937 في قرية والدته "الصول"، وهي إحدى قرى محافظة إب التي يطلق عليها اليمنيون "اللواء الأخضر" لخضرتها الدائمة وجمال طبيعتها على مدار العام. وفي هذه الأجواء بدأ حياته طفلا قروياً ميالا إلى المناظر الطبيعية وشغوفا بالحكايات التي ترويها العجائز ويحفها اللون الأخضر من كل الجهات.

> الظلاميون لم يترددوا في تكفير شاعر اليمن الكبير، فالمرة الأولى كانت في العام 1984 على يد جماعة الإخوان المسلمين، والثانية سنة 1988 وقد كانت الجماعات السلفية وراء التكفير هذه المرة، والثالثة بسبب تأليفه لكتاب «قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة في اليمن». أما المرة الرابعة فجاءت بعد أن دعا إلى «تعزيز الحوار الثقافي والحضاري»

قضى ست سنوات فقط من عمره هناك، قبل أن ينتقل إلى صنعاء. لكن تلك السنوات القليلة ظلت غائرة في أقصى زوايا ذاكرة الشاعر الذي عاد ليسترجعها في العام 2000 من خلال ديوانه "كتاب القرية" الذي شارك القراء من خلاله ذكرياته الدفينة، وعوالمه التي وصفها مرارا بأنها الأكثر دهشة واكتشافا واختزالا لتفاصيل حياتية جديدة.

عن رحلته بين عالمين من القرية إلى المدينة يقول "الصورة الأولى التي التقطتها الذاكرة لصنعاء كانت في الظهيرة حين لمحتها، من على ظهر الجمل الذي حملني في رحلة السفر الأولى من قريتي إلى صنعاء. وعندما اقتربنا منها وبدأت نوافذ البيوت تتضح بجلاء هبطت من ظهر الجمل وبدأت أسير على ترابها الناعم بقدميّ العاريتين".

نشأ عشق المقالح للكتابة والقراءة منذ الطفولة، حيث كان لديه هوى جارف نحو الكلمات المكتوبة، والفضل في ذلك يعود إلى مكتبة والده التي كانت تزخر بكتب التراث إلى جانب نماذج من الكتابات المعاصرة في ذلك الحين، وقد تأثر كثيراً بما قرأه في تلك المكتبة التي شكلت ثقافته وتكوينه وزرعت فيه بذرة الكتابة التي اكتسبها من التنقل بين دفات الكتب التي قضى أيامه المعرفية الأولى بين جنباتها

وعن تلك التجربة يقول "أتذكر أن من بين هذه الكتب 'مقامات بديع الزمان الهمداني' و'مقامات الحريري' وبعض كتب الجاحظ إلى جانب كتب السير الشعبية وكان أهمها بالنسبة إليّ سيرة 'سيف بن ذي يزن' التي امتلكت مشاعري الغضة في وقت مبكر وتجلت آثارها في ما بعد في ديوان 'رسالة الى سيف بن ذي يزن' وزادت الصلة بيني وبين الكتاب عبر مراحل الدراسة غير المنظمة ثم الدراسة المنظمة التي بدأت في الجامعة وما تلاها من مراحل الدراسات العليا".

في قلب المشهد

بدأ المقالح كتابة الشعر في منتصف الخمسينات، وترافق ذلك مع اشتغاله في إذاعة صنعاء حيث تنسب إليه الكثير من الشهادات أنه قام بإذاعة البيان الأول لثورة السادس والعشرين من سبتمبر 1962 وقد ساهم مبكراً في نشر الوعي الثوري والأدبي في اليمن، لكنّ دواوينه الشعرية وكتاباته ظلت قيد الدفاتر ولم يهيأ لها النشر إلا بعد انتقاله إلى مصر.

أصدر عددا من الدواوين في الفترة القاهرية، وكان واضحا عليها آثار الحنين لوطنه ومن تلك الأعمال "لا بد من صنعاء" (1971)، "مأرب يتكلّم" بالاشتراك مع السفير عبده عثمان (1972)، "رسالة إلى سيف بن ذي يزن" (1973)، "هوامش يمانية على تغريبة ابن زريق البغدادي" (1974)، "عودة وضاح اليمن" وقد صدر في السنة التي سبقت عودته لصنعاء مجددا في العام 1976.

توغل المقالح في المشهد الأدبي المصري في الوقت الذي كان يستكمل فيها دراساته الأكاديمية حتى حصوله على شهادة الدكتوراه من جامعة عين شمس في العام 1977. وقد شكلت فترة القاهرة التي امتدت من منتصف الستينات من القرن العشرين إلى سنة 1977 المرحلة الثانية المهمة في تكوينه وفتحت لها آفاقا جديدة ولا متناهية نحو القراءة والكتابة والعيش في حميمية المشهد الثقافي العربي والصالونات الأدبية وحتى المعارك الثقافية والنقدية والجدل حول الأنماط والأشكال الأدبية التي كانت في ذروتها في تلك الفترة الزاخرة من حياته والتي تحدث عنها في إحدى اللقاءات الصحافية قائلاً "لقد كانت فترة الدراسة في القاهرة بمثابة البوابة الواسعة على الآداب بمختلف أشكالها، كما كانت وسيلة مثالية للتعرف على الشعراء والكتاب ليس في مصر العربية وحدها، وإنما في معظم الأقطار العربية، فقد كانت القاهرة في الستينات والسبعينات ملتقى دائما للأدباء العرب من كل الأقطار. فكما تعرفت على صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطي حجازي وأمل دنقل وفاروق شوشة ومحمد إبراهيم أبوسنة وحلمي سالم وحسين طلب وآخرين، فقد تعرفت أيضا على عدد من الشعراء العرب منهم الراحلون عبدالوهاب البياتي ونزار قباني وشفيق الكمالي، كما تعرفت على عدد من الشعراء الأحياء أمثال حميد سعيد من العراق وعلي كنعان وعلي الجندي ومحمد عمران من سوريا، وتعرفت أيضا على الشاعرة والناقدة المتميزة نازك الملائكة وعلى شعراء من المغرب ومن تونس وليبيا والسودان ولبنان، وكان لهذا كله أثره الكبير في اتساع دائرة الاهتمامات الأدبية شعراً ونقداً ومازلت حتى هذه اللحظة أغترف من معين اثنين أولهما الطفولة وثانيهما معين القاهرة".

بوابة اليمن الثقافية

عاد المقالح إلى وطنه وانخرط في تدريس الأدب بجامعة صنعاء حتى شغل منصب أستاذ الأدب والنقد الحديث في كلية الآداب بجامعة صنعاء بدرجة أستاذ في العام 1987.

اتسمت تلك المرحلة إثر عودته من القاهرة إلى صنعاء بتكريسه كواحد من أهمّ الشعراء والكتاب العرب في القرن العشرين وبوصفه بوابة اليمن الثقافية، كما مكّنته علاقاته الواسعة بالمثقفين والكتاب والأكاديميين العرب من تقديم خدمات كبيرة للمشهد الثقافي اليمني، وفي المقابل احتضان العديد من الأدباء والمثقفين العرب الذين شهدت بلدانهم اضطرابات في فترات لاحقة.

لقد كانت مهمته أيسر من خلال تبوّئه العديد من المناصب الأكاديمية والثقافية في اليمن مثل توليه رئاسة جامعة صنعاء ما بين عامي 1982 و2001، إلى جانب رئاسته لمركز الدراسات والبحوث اليمني الذي لازال فيه حتى اليوم، والمستشار الثقافي للرئاسة اليمنية ورئاسة مجمع اللغة العربية في اليمن.

حظي المقالح بتقدير مماثل على الصعيدين العربي والدولي من خلال اختياره كعضو في مجمعي اللغة العربية في القاهرة ودمشق وعضوية مجلس أمناء مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت، وعضوية الأكاديمية الدولية للشعر في إيطاليا.

وطيلة توليه لتلك المناصب، عمل على جذب كثير من الأكاديميين والمثقفين والكتاب والمبدعين العرب إلى اليمن وكان ذلك وفقا لبعض الناشطين في المشهد الثقافي اليمني إنجازا يوازي إنجازاته في الإبداع والتأليف، حيث أثرى المكتبة اليمنية والعربية بحوالي خمسة وأربعين كتاباً بين إبداعات شعرية ومؤلفات أدبية ونقدية وثقافية، ومثّل اليمن في معظم المؤسسات والمجاميع الثقافية العربية.

ونال العديد من الأوسمة والدروع والجوائز اليمنية والعربية والعالمية مثل جائزة اللوتس في العام 1986، وأوسمة الفنون والآداب في شطري اليمن قبل الوحدة، وحصل على جائزة الثقافة العربية، من اليونسكو في باريس في العام 2002 وجائزة الفارس من الدرجة الأولى في الآداب والفنون من الحكومة الفرنسية في العام 2003. وجائزة الثقافة العربية من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليكسو) خلال العام 2004، وجائزة الشعر من مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية في العام 2010.

تكفير وتخوين

على الرغم من الإنجازات الأدبية والثقافية التي حققها المقالح والاحتفاء العربي والعالمي بمنجزه الأدبي، إلا أن حياته لم تخل من الكثير من المنغصات الخاصة، فعبر رحلته مع الكتابة والتنوير والريادة، كان وبصفته رئيسا لجامعة صنعاء ورئيساً لمركز الدراسات والبحوث اليمني، طوال الوقت هدفاً للجماعات السلفية والإخوانية التي ما فتئت تكفّره وتخرجه من الملّة والدين وقد كفّر أربع مرات بين مطلع ثمانينات القرن الماضي ومطلع القرن الحالي.

المرة الأولى كانت في العام 1984 حين شنت جماعة الإخوان المسلمين حربا شعواء ضده وقتذاك في جميع أنحاء اليمن بسبب قصيدة له ورد فيها لفظ الجلالة مقترنا بالرماد في سياق انتقاد مظاهر الفساد والتي قال فيها "كان الله قديما حباً كان سحابة كان نهاراً في الليل وصار الله رماداً صماً رعباً في كف الجلادين".

المرة الثانية سنة 1988 وقد كانت الجماعات السلفية وراء التكفير هذه المرة، حيث صدر كتاب للشيخ عوض القرني تحت عنوان "الحداثة في ميزان الإسلام"، وفيه تم استهداف المقالح بالتكفير الصريح.

والمرة الثالثة تم تكفير المقالح بسبب تأليفه لكتاب "قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة في اليمن"، وكان ذلك في ثمانينات القرن الماضي أيضا.

أما المرة الرابعة فكانت سنة 2004 عشية إعلان صنعاء عاصمة للثقافة العربية، وبُعيد اختتام مؤتمر "حوار الحضارات" الذي شهدته صنعاء ودعا فيه إلى "تعزيز الحوار الثقافي والحضاري" وإلى "نشر قيم التفاهم والتسامح" و"إشاعة ثقافة السلام ورفض ثقافتي العنف والتكفير".

وقد كان وقع تكفير المقالح في المرة الرابعة بمثابة صدمة قوية للكتّاب والمثقفين اليمنيين فقد صار رمزاً يمنياً وعربيا وإنسانياً كبيراً وكانت المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون وقتذاك قد كرّمته بدرعها "تقديراً لإسهاماته المتميزة في حقل الأدب والثقافة".

لكن الجماعات المتطرفة "كافأته" مكفّرة إياه بصلافة مفضوحة، كما يقول الناقد العربي عبده وازن، الذي علّق يومها على تلك الحادثة في مقاله بعنوان "ماذا يعني تكفير الشاعر عبدالعزيز المقالح؟"، مضيفا "بدا للمثقفين اليمنيين والعرب أن هذا التكفير الذي كان يبدو حلقة من حلقات التكفير التي طالت مفكرين عرباً كثراً، يبدو في حالة المقالح أمراً (اعتباطياً) وظلامياً بحق. فالمقالح شاعر أولاً وأخيراً وناقد أدبي ومثقف طليعي ولا علاقة له بالسجال الديني أو الفقهي الذي يثير حفيظة الأصوليين المتشددين والمتعصبين، ولا يمكن أن يؤخذ عليه أيّ كفر أو تجديف، بل هو من المتأثرين بالصوفية والفلسفة الدينية والميتافيزيقية، ومن المعتقدين بإنسانية الإنسان وبالصفاء الروحي والقدرة الإلهية".

وترافقت حملات التكفير التي طالت المقالح مع ما يمكن أن توصف بأنها مرحلة التمرد على الشكل والمضمون في تجربته الشعرية، وهي المرحلة التي شهدت صدور أكثر أعماله إثارة للجدل مثل ديوان "الكتابة بسيف الثائر علي بن الفضل" (1978) و"الخروج من دوائر الساعة السليمانيّة" (1981)، "أوراق الجسد العائد من الموت" (1986)، قبل أن تبدأ مرحلة أخرى يمكن أن نطلق عليها مرحلة التأمل والتصوف واستعادة الذكريات في شعر المقالح والتي جاءت بعد توقف وبدأت من ديوانه "أبجدية الروح" (1998)، "كتاب صنعاء" (1999)، "كتاب القرية" (2000)، "كتاب الأصدقاء" (2002)، "كتاب بلقيس وقصائد لمياه الأحزان" (2004)، "كتاب المدن" (2005).

ورغم ذلك ومنذ عودته من القاهرة في سبعينات القرن العشرين لم يغادر المقالح صنعاء، حتى أشيع عنه الخوف من الطيران، لكنه فضّل كما يبدو الاكتفاء بتحليقه الشعري الذي وصل من خلاله إلى أماكن لا تصلها الطائرات.

لحظة صمت وبكاء

لازال يمارس عادته اليومية في قضاء وقته بين منزله ومكتبه، يتابع أخبار الحرب في بلاده بأسى بالغ، يرفض محاولات استقطابه أو انتزاع أيّ موقف منه لصالح أيّ طرف، كما لا يجهد نفسه في نفي القصائد السياسية المنتحلة التي تنسب له بين تارة وأخرى، لكنه وعلى الرغم من صمته البليغ والمعبّر، لم يلق ما يستحقه من احترام المتحاربين الذين لم يقفوا لحظة تأمل بمحراب صمته ووقاره وسكينته التي تليق بمفكر وشاعر في الثمانين من عمره، كما لم يحترموا فلسفته الخاصة في الشعر والحياة، التي تأبى مجاراة كاتب مأجور يحاول استدراجه لمعركة لا تليق برجل يقضي آخر أيامه في البكاء على أطلال وطن وترديد مناجاته الأخيرة ربما:

دثّريني
وشدّي على كفني
واكتبي فوق قبري:
هنا واحدٌ من ضحايا الحروب
التي عافها
ثم قال لقادتها قبل أن يبدأوها:
الحروبُ إذا دخلت قريةً
أكلتْ أهلها الطيبين
ولم تُبْقِ من حجرٍ واقفٍ
أو شجَرْ.

● حزن الشاعر وسنواته الثمانون التي رسم فيها أحلام بلاده وحنينه إلى القرية والأصدقاء والمدن لم يشفعا له أمام موجة الاصطفافات التي تجتاح اليمن، والتي جعلت المقالح، لمرة أخيرة ربما، هدفا للتخوين وهو في ثمالات عمره، بعد أن ظل ضحية للتكفير لمرات متتالية في مسيرته الثقافية شاعرا وناقدا ملأ الدنيا وشغل الناس.

مجانين العشق ما بين البداوة وعصر الإنترنت

الحب العذري
حرمان في غلالة العفاف

ملهم الملائكة

❑ **بون (ألمانيا)**- يقف الشاعر على درب حبيبته ويتلو قصيد العشق العفيف متغزلا بمخلوق فضائي أقرب الى الملاك منه الى الأنثى، وهو ما عُرف بالغزل العفيف والعذري. ولعل السؤال المهم في عصر العولمة والحقائق العارية هو، هل ظهر الغزل العفيف والحب العذري بسبب عفاف الناس، أم بسبب حدود الإسلام التي حدّت من طقوس التهتك التي شاعت قبل الإسلام؟

يخال لكثير من المحدثين أنّ تعبير "الحب العذري" يختص بالمحافظة على عذرية وبكارة الفتاة، فيما الأمر يرتبط على الأغلب بقبيلة عذرة التي شاع فيها الغزل العفيف بعد الإسلام. وعلى المهتم بشعر ومشاعر العرب في تلك المرحلة أن ينظر بجد الى كيف عاش آباؤهم قبل عقود من موجة الغزل العذري والحب العفيف.

ويحتج المدافعون عن العفة في الحب العذري بأن شعر عنترة وقصائد غزله بعبلة كمثال سبقت ظهور الإسلام، لتنفي بذلك فرضية أنّ التعفف صفة نشأت اضطرارا بسبب الإسلام وحدوده الصارمة بشأن الاختلاط.

الحب العذري هو تشبب عاشق متيم بحبيبة واحدة، ويُجهل في الأصل سببُ نسبه إلى بني عذرة، لا سيما أنّ أشهر من عشقوا ودبجوا القصيد الغزلي العفيف لم يكونوا من بني عذرة، فعروة بن حزام، وقيس بن الملوح مجنون ليلى، وقيس لبنى، وجميل بثينة، وعبدالله بن الدمينة، وكثيّر عزة، والعباس بن الأحنف، ويزيد بن معاوية، كلهم ليسوا من بني عذرة، بل إنّ قبيلة عذرة لم تنجب شاعرا عفيفا متعففا واحدا نقلته لنا قصص العرب.

لا علاقة للحب العذري بقبيلة عذرة

حرتُ في تفسير نسب العفاف إلى عذرة، فبحثت في كتاب محدث هو "سوسيولوجيا الغزل العربي" للطاهر لبيب الذي نقل هذا القول "قال سفيان بن زياد: قلت لامرأة من عذرة رأيت بها هوى غالبا خفت عليها الموت منه: ما بال العشق يقتلكم معاشر عذرة من بين أحياء العرب؟ فقالت فينا جمال وتعفف، والجمال يحملنا على العفاف، والعفاف يورثنا رقة القلوب، والعشق يُفني آجالنا، وإنا نرى عيوناً لا ترونها". وحاولت أن اتقصّى أصل هذه الحكاية فعييت. وبحثت في ما نسب إلى روضة المحبين لإبن قيم الجوزية فوجدت رواية جاء فيها "قال سعيد بن عقبة لأعرابي: ممن أنت؟ قال الأعرابي: من قوم إذا عشقوا ماتوا قال: عذري وربّ الكعبة قلت وممّ ذاك؟ قال: في نسائنا صباحة وفي رجالنا عفة". وحين أردت التثبت منها، عييت مرة أخرى.

وبحثت في نهج البلاغة لابن أبي حديد فوجدت أنّ حجازيات الشريف الرضي يمكن أن توصف بالغزل العفيف، فيما لم يعرف عن "نقيب الطالبيين" صبابة وغزل .

فحبيبة غزله هي مرة أميم "أميمة":
وهل ينفعني اليومَ دعوى براءةٍ
لقلبي ولحظي يا أميمَ مُريبُ.

ومرة ظمياء :
أشمّ منكَ نسيماً لستُ أعرفُه
أظنُ ظمياءَ جرّت فيك أردانا .

وتارة هي لمياء:
ومالي يا لمياءُ بالشعر طائلٌ
سوى أنّ أشعاري عليك نسيبُ.

وكل هذا في الحقيقة هو إعلان عن "لا حبيبة"، وأرى أنّ الشريف الرضي لم يكن قط عاشقا صبا، وأخال أنّ عشق العذريين المعلن يخفي وراءه عطشا للأنثى وشوقا لتلمس مواضع خصبها يتخفى في ثياب العفة.

فهل كان شعر الغزل العفيف تعبيرا عن عفة وتنزه عن الجنس، أم كان تنفيساً عن الحرمان في المجتمعات العربية الإسلامية في عصور الإسلام الأولى في القرنين الأول والثاني الهجريين؟

الكاتب والصحفي فارس يواكيم تحدث لـ"العرب" جوابا عن هذا السؤال بالقول "كان الغزل العفيف من تقاليد الحياة الاجتماعية العربية في الجاهلية وصدر الإسلام. وانعكست المفاهيم الاجتماعية في الصياغات الإبداعية الشعرية. كان التعفف ضرورة، لأن الحب بوجه عام 'تابوه' لا يجوز الاعتراف به. بالرغم من تمرد بعض الشعراء على الأعراف، مثل قيس بن الملوح (ليلى) وعنترة (عبلة) جميل (بثينة) وكثير(عزة)".

في الوقت نفسه، وانسجاما مع الأعراف، كان الغزل يتقنع بالتعفف، وبصفة "الغزل العذري". أو يتقنع بمخاطبة المؤنث بصيغة المذكر، وهذا التمويه ورد في الكثير من القصائد.

وانسجاما أيضا مع هذا المنطق، يمكننا النظر إلى بيت عمر بن أبي ربيعة الشهير:

إذا جئت فامنح طرف عينك غيرنا
لكي يحسبوا أن الهوى حيث تنظر .

العاشق العذري المتيم الحالم

يهوى العذريون إن صحّ عشقهم امرأة بعينها لا يغادرونها إلى أخرى، وهذا يضع كل القضية موضع سؤال، فالإسلام كان دائما ضد الكهنوت، ولم يكن دينا يحرّم الجنس، بل يحث على التكاثر والعلاقات الجنسية ضمن مؤسسة الأسرة ورباط الزواج الإسلامي، فكيف عاش هؤلاء متغزلين وهمًا بامرأة واحدة؟

ولم يعرف عن كل أصحاب الغزل العفيف تشببا ووصفا لمحاسن الأنثى في حبيباتهم، فهنّ أشبه بجنيات أسطورية، لا تحيض ولا تحبل، وتكتفي بالتحليق في أخيلة عاشقيهن بغلال وردية ليست شفيفة. معشوقات العذريين لسن إناثا بل هنّ أقرب الى الملائكة وهذا برأيي إعلان قطيعة وبراءة مقصودة من شعر الخلاعة والمجون العربي الفاحش الذي سبق الإسلام، وعاد إلى الظهور في العصر العباسي مع انتشار ألف ليلة وأقاصيصها الإباحية. ولا أود أن أذهب بعيداً في عرض الغزل العربي الصريح قبل الإسلام (ومن العجب أنّ النت خلا منه تماما، وكأنها رسالة ممّن حمّلوا الأدب العربي على وسائل الإعلام الإلكترونية بأنّ أدبنا كان أبدا عفيفا رومانسيا لا يجرح) لكنّي سأكتفي بما اشتهر من شعر الملك الضليل امرؤ القيس:

سموت إليها بعدما نام أهلها
سموّ حباب الماء حالاً على حال
فقالت سباك الله إنّك فاضحي
ألست ترى السمّار والنّاس أحوال.

العذريون ما برحوا مسهّدين ساهرين يعانون حرّ الصبابة والحزن الرومانتيكي المغرق في الشاعرية والعفة، فهل كان العرب الفاتحون المنصورون بإسلامهم القوي الذي اجتاح العالم، أهل رومانسية يتعففون عن النسوة؟ وما مصير مئات الألوف من الجواري اللواتي غنمهن المقاتلون وأردفوهن على ظهور الجياد ليعودوا بهن سبايا هنّ حِل لهم بملك اليمين؟

عن حقيقة الحب العذري

الشاعرة ريم قيس كبة لم تبتعد كثيرا عمّا روته كتب البحث في الشعر والتاريخ العذري، لكنها اقتربت جدا من حدود التحريم التي أراد الحاكم العربي الاسلامي في العصر الأموي فرضها فقاربت الموضوع في حوار مع "العرب" بالقول "يرى بعض الباحثين أنّ أصل التسمية جاءت نسبة إلى 'بني عذرة'.. وهي القبيلة التي ينتسب إليها أكثر من شاعر عذري.. لعل أقدمهم هو عروة بن حزام عاشق عفراء.. وهناك من يحيل أصل المصطلح إلى عفة اللسان والمسلك.. أي العذرية".

أما السبب وراء تلك الظاهرة فيرجعها بعض الباحثين إلى أنّ الأمويين كانوا فرضوا على أهل الحجاز سورا من العزلة السياسية لأنهم كانوا يشكون بولائهم.. وقد انقسم أهل الحجاز إلى قسمين القسم الأول هم أهل المدن من أبناء الصحابة وسواهم وكان بنو أمية يجدونهم خطرا يهدد سلطانهم فأغدقوا عليهم الأموال فانصرف الكثير من القوم الى اللهو والمتع.. بينما انصرف البعض الآخر إلى حياة الزهد والتقى والعفاف.

أما القسم الثاني فهم من أهل البادية الذين استبدّ بهم الفقر واليأس فانصرفوا إلى تأمل المثل العليا ونشأت فيهم نزعة شبيهة بالتصوف وهي الغزل الروحي العفيف.

ويرجع فريق آخر من الباحثين سبب تلك الظاهرة إلى أنّ الحب العذري كان غالبا ما ينشأ في سن مبكرة قبل أن تبلغ الحسية نضجها لدى العاشقين.. ويبقى ذلك أسلوبا حياتيا لا تغيير فيه.. وخير مثال حب قيس بن الملوح:

عشقتك ياليلى وكنت صبيةً
وكنتُ ابنَ سبع ما بلَغتُ ثمانيا.
جبران ومي، قصّة حب عابرة للقارات

لنرحل بالقضية إلى القرن العشرين، حيث شاع بين الناس عشق جبران خليل جبران لمي زيادة، وعشقها له، وهو من أغرب نسج الخيال في عوالم الحب العذري، إذ أنّ جبران لم يلتق اللبنانية المبدعة مي زيادة قط. لكن ما جمع بينهما هو رسائل حب تناقلها بريد عابر للمحيطات. وإلى ذلك تحديداً أشارت الباحثة سلمى حفار الكزبري التي حققت مع سهيل بشري تلكم الرسائل حيث تقول "إنّ العلاقة بينهما بدأت بعد أن قرأت مي رواية جبران الرومانسية 'الأجنحة المتكسرة'. ولكن، بغض النظر عن كيفية بدء 'الحب'، فقد أتاحت الخطابات ضوءا باهرا للمؤرخين على حياة كل من كاتبيها وأفراحه وشجونه وآرائه في مختلف شؤون الحياة. وقد كانت تلك علاقة يزيد في تفرّدها أنّ طرفيها لم يلتقيا وجها لوجه على الإطلاق. لكنها دامت قرابة عشرين عاما وأتت إلى ختامها مع وفاة جبران في نيويورك في 10 أبريل 1931. ماذا تسمّي هذا وأين يمكن أن تصنّفه؟".

> العذريون ما برحوا مسهدين ساهرين يعانون حر الصبابة والحزن الرومانتيكي المغرق في الشاعرية والعفة، فهل كان العرب الفاتحون المنصورون بإسلامهم القوي الذي اجتاح العالم، أهل رومانسية يتعففون عن النسوة؟ وما مصير مئات الألوف من الجواري اللواتي غنمهن المقاتلون وأردفوهن على ظهور الجياد ليعودوا بهن سبايا هن حل لهم بملك اليمين؟

من جانبي، وضمن رؤية عصرية واقعية فارقت هواجس العصر الرومانتيكي إلى عصر العولمة القاسي بحقائقه الفاضحة وثقافته السريعة، ليس بوسعي كبح نفسي عن هذا السؤال: ما كان يحصل لو التقى الحبيبان، هل كانا اكتفيا بالهمس العذري المتباعد، دون لمس حسيٍّ يحوّل الشوق المحروم إلى سريرٍ عشق صاخب؟

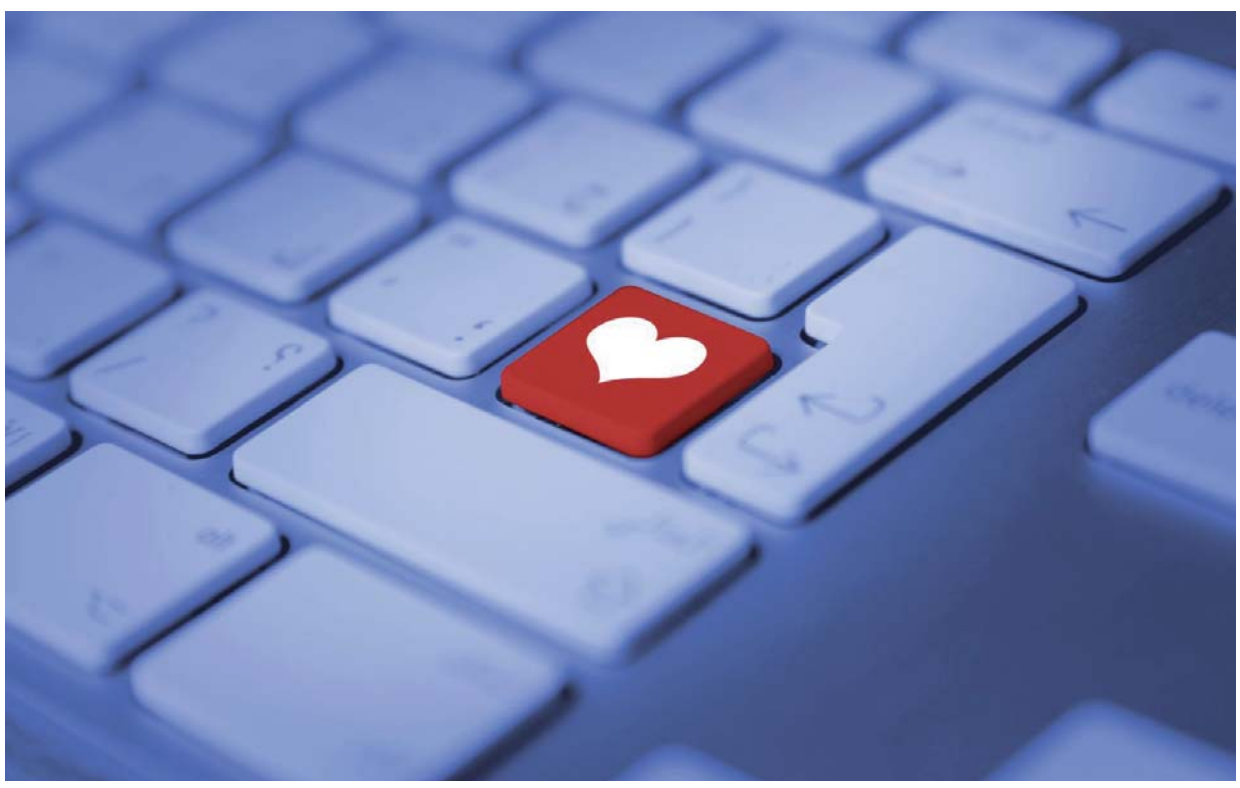

● الحب في عالم الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي يطرح السؤال على الحب القديم، إذ ما كان سيحصل لو التقى الحبيبان، هل كانا اكتفيا بالهمس العذري المتباعد، دون لمس حسي يحول الشوق المحروم إلى عشق صاخب؟

ابن ضيعته الذاهب إلى الانطباعية

قيصر الجميل
رسام النساء الجميلات والطبيعة الساحرة

فاروق يوسف

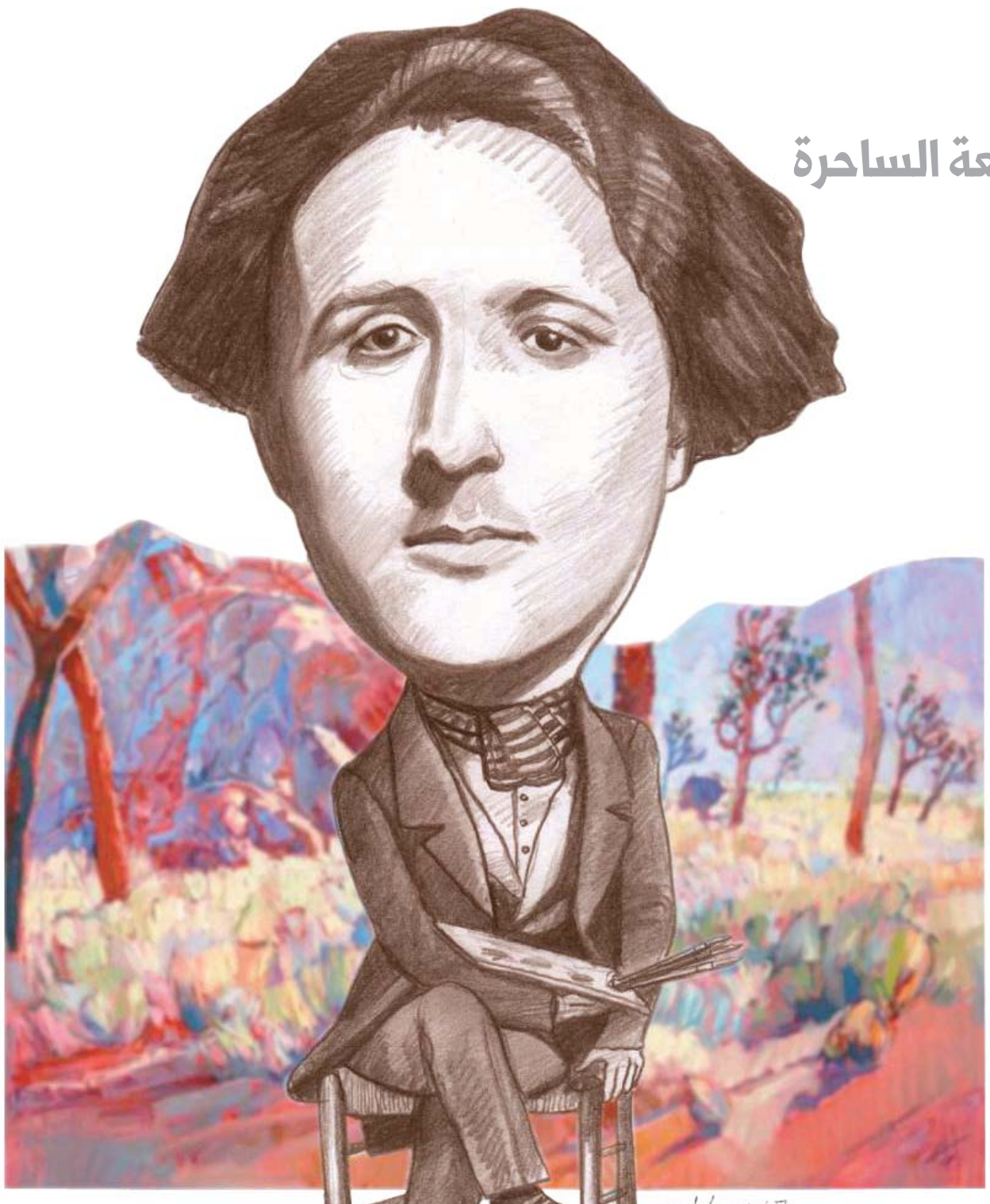

❑ **لندن** – لا تملك سوى أن تقف مبهورا برقته وجمال نسائه. رسام الطبيعة التي شغف بها والنساء اللواتي تولّه بهن. وهو صورة عن جيل كامل من الآباء الذين أسسوا لقواعد مترفعة لجمال مؤنسن. جمال فني ينافس جمال الطبيعة غير أنه يظل وفيا له، منتظرا هباتها.

لبنانيته في رسومه

اللبناني ابن بكفيا الذي ذهب إلى باريس ليكتشف أن بكفيا قد سبقته إليها، لكن على سطوح لوحات الرسامين الانطباعيين. فلم ير من باريس إلا لوحات رينوار، وهو معلّمه في التعرف على الوجوه بطريقة تكشف عن مناطق جمالها الساحق. ما من امرأة رسمها قيصر الجميل إلا وكُتب لها أن تكون أيقونة للجمال. كما لو أنه رسّام ساحرات.

سيُذكر الجميل دائما إلى جانب عمر الأنسي ومصطفى فروخ باعتبارهم مكتشفي الجمال بصيغته اللبنانية. معهم انتهى عصر الروائع الكلاسيكية ليبدأ عصر الروائع التي تنتسب إلى الحياة المباشرة. بصيغة أخرى فإن ذلك الجيل وهو ما يُسمى تاريخيا بالجيل الثالث من الرسامين اللبنانيين نجح في الخروج بالرسم من إطاره المتحفي الذي أسس له داود القرم إلى الحياة.

لا يزال النظر إلى رسومه يغمرنا بالمتعة الحية. قد يُقال إن تلك الرسوم تنتمي إلى عصرها وهو أمر مؤكد، غير أنها لا تزال تطرح أسئلة حساسية جمالية خاصة هي أشبه بتلك الحساسية التي تنطوي عليها رسوم ديغا ومونيه ورينوار ولوتريك. شيء من الخلود لا يمتّ بصلة إلى التعالي الكلاسيكي.

> قيصر الجميل رسم الحياة كما عاشها وأحبها في مختلف تجلياتها. وهو ما وهب الانطباعية طابعا لبنانيا خالصا. فقد عاد ابن بكفيا من باريس ليضفي على ريفيته طابعا مدينيا هو في حقيقته التعبير الأسمى عن الوفاء لقواعد اكتشاف الطبيعة عن طريق الرسم

لقد رسم قيصر الجميل الحياة كما عاشها وأحبها في مختلف تجلياتها. وهو ما وهب الانطباعية طابعا لبنانيا خالصا. عاد ابن بكفيا من باريس ليضفي على ريفيته طابعا مدينيا هو في حقيقته التعبير الأسمى عن الوفاء لقواعد اكتشاف الطبيعة عن طريق الرسم. لم يكن هناك أدنى تناقض بين لبنانيته وانطباعيته. كانا شيئا واحدا.

ولد قيصر الجميل في عين التفاحة قرب بكفيا عام 1898. درس الصيدلة استجابة لرغبة العائلة ليكون وريثها في العمل الصيدلي غير أن تلك الدراسة لم تجد هوى في نفسه بسبب شغفه بالرسم وهو ما دفعه إلى الالتحاق بمحترف الفنان خليل صليبي عام 1920 ليتعلم هناك أصول الرسم. عام 1927 شد الرحال إلى باريس ليدرس الرسم وينضم إلى أكاديمية جوليان.

هناك قضى ثلاث سنوات يدرس الرسم تحت إشراف جون بيار لورون وبوفون. غير أن الانطباعية بروائعها التصويرية هي الهبة الأعظم التي قدمتها باريس للرسام الشاب. ما تعلمه الجميل يومها من بوشيه ورينوار وهو يتأمل لوحاتهما قد شكل الفصل الأهم لا من رحلته الباريسية بل من سيرته الفنية كلها.

عام 1930 فاز بالجائزة الأولى في المعرض الكولونيالي وفي العام نفسه عاد إلى بيروت ليؤسس مرسمه الخاص. بعد سبع سنوات، حين تأسست الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة عُيّن فيها معلّما للرسم، تتلمذ على يديه عدد كبير من رسامي لبنان.

كان الجميل، وهو الذي عاش حياة باذخة، مفتونا برسم وجوه النساء الجميلات وهو ما جعل من مرسمه مقصدا لنساء الطبقة المترفة. كل واحدة منهن تحلم في أن تزين صالون بيتها بلوحة تمثلها بفرشاته. لقد أضفى الجميل الكثير من الجمال والرقة على حياة اللبنانيين. لذلك شكلت وفاته المفاجئة عام 1958 صدمة لمَن كانوا يرون فيه كلود مونيه لبنان.

آباء الحداثة الفنية

لعب الجيل الذي ينتمي إليه قيصر الجميل دورا مهما في التمهيد لمرحلة الحداثة الفنية في لبنان. لقد انفتح أفراد ذلك الجيل على تحولات الفن الأوروبي في مرحلة ما بعد الكلاسيكية وبالتحديد على المدرسة الانطباعية.

ولأن لبنان من البلدان العربية القليلة الذي لم تشهد مسيرته الفنية قفزات انفجارية فقد كانت تقاليد الرسم الكلاسيكي راسخة فيه يوم عاد الجميل من باريس محمولا على جناحي انطباع جريء وخفيف غير أنه قويّ الصلة بالطبيعة اللبنانية التي حولها الرسامون المكرسون إلى مجرد خلفيات لما رغبوا في رسمه من مشاهد، كانت ترنو إلى أن تكون جزءًا من جمال مطلق لا يُبارى.

فاجأ قيصر الجميل الجميع برسوم تنتمي إلى الواقع غير أنها تمجّد ما هو متحول وآني وعابر وصدفوي من ذلك الواقع. حررت انطباعيته الرسم اللبناني من احتكار النهج التقليدي الجامد، فبدا كما لو أن حيوية جديدة قد اندفعت بالرسم بعيدا عن معايير وشروط اللوحة التقليدية. لقد حرّك الجميل ومعه رفاقه من الرسامين اللبنانيين الذين يحتلّون اليوم مواقع متقدمة في ذاكرة التاريخ الفني في العالم العربي المياه الراكدة. وهو ما جعل منهم آباء حقيقيين للحداثة الفنية، لا في لبنان وحده بل وفي العالم العربي أيضا.

كان الجميل واحدا من أولئك الآباء الذين نقلوا بعمق أسباب ودوافع وأساليب وتقنيات التحول الذي شهده الفن الأوروبي بطريقة تنطوي على الكثير من الذكاء والإخلاص. لقد عبّر أفراد ذلك الجيل من خلال نتاجه الفني عن رفعة ونبل حقيقيين في التعامل مع ما تعلموه في أوروبا. وهو ما أهلهم للقيام بدور المؤسس لقواعد راسخة في التحول الفني. لذلك يمكن اعتبار قيصر الجميل ومصطفى فروخ وعمر الأنسي الآباء الحقيقيين لحداثة فنية لم تكن لوحاتهم إلا مقدمات غامضة لها.

الرسام كائن متعوي

قيصر الجميل رسام لبناني بعمق. كل شيء في رسومه يشير إلى انتمائه إلى طبيعة لبنان الساحرة. وكما يبدو فإن علاقة الجميل بطبيعة بلاده قد اكتسبت طابعا سحريا بسبب ما تعلمه من الدرس الانطباعي. لقد اكتشف الرسام بلاده حين الرسم بأسلوب انطباعي. غير أن رسومه كانت في المقابل قد فتحت عيون اللبنانيين على أسرار الجمال الكامن في طبيعة بلادهم. أهدى الجميل أبناء بلاده لبنانا آخر، هو لبنان الذي يقيم في جماله، بعيدا عن كلّ ما هو مألوف في العادات اليومية. لقد اكتشف الجميل لبنان باعتباره بلدا انطباعيا، وهو ما أعانه على أن يقدم تجربته في الرسم انطلاقا من تماهيه مع محليته التي لم تكن يوما نوعا من التفكير بالهوية.

رسم قيصر الجميل كل ما كان يشكل بالنسبة إليه مصدر متعة في النظر الذي ينتقل بالكائنات الواقعية إلى فضائها السحري. وهو ما جذبه إلى صور النساء الشخصية ومشاهد الطبيعة الخلابة. لم تكن متعته لتكتفي بالنظر. فهو رسام. النظر إلى رسومه هو مناسبة لإدراك كم كان الرسام يشعر بالمتعة وهو يرسم. رسوم قيصر الجميل تكشف بيسر عن متعة رسامها.

تسيل المناظر الطبيعية كما الوجوه بخفة حتى يخيّل لمَن يشاهدها أنها اكتسبت من خلال الرسم نورا هو ليس من صفاتها الواقعية المتاحة. انطباعية الجميل وإن كانت تتماهى مع الطبيعية اللبنانية فإنها حملت شيئا جديدا إلى الرسم اللبناني لم يكن قد تعرّف عليه من خلال تجارب فنانيه الأوائل. ذلك الشيء هو المتعة. كان الجميل واحدا من أكبر الرسامين المتعويين في تاريخ الرسم الحديث في العالم العربي.

> الجميل واحد من أولئك الآباء الذين نقلوا بعمق أسباب ودوافع وأساليب وتقنيات التحول الذي شهده الفن الأوروبي بطريقة تنطوي على الكثير من الذكاء والإخلاص. لقد عبر أفراد ذلك الجيل من خلال نتاجه الفني عن رفعة ونبل حقيقيين في التعامل مع ما تعلموه في أوروبا

العرب الثقافي
كتب | مسرح | سينما | تشكيل

النوبلي سوينكا يهدد ترامب بمغادرة أميركا

نظرة أخرى إلى نقد ما بعد الكولونيالية

محمد خالد ياسين
كاتب من العراق

❏ توعد الكاتب والأديب النيجيري وول سوينكا والمقيم في أميركا منذ أكثر من عشرين عاما بتمزيق الكارد الأخضر أو أوراق الإقامة الأميركية ومغادرة الولايات المتحدة إلى الأبد في حالة فوز الملياردير دونالد ترامب بالرئاسة الأميركية وذلك احتجاجا على سياسات ترامب أثناء حملته الانتخابية. يعتبر سوينكا أول كاتب أفريقي حاز على جائزة نوبل للآداب وذلك في العام 1986 وقد جاء في سيرته الذاتية التي نشرتها مؤسسة جائزة نوبل أنه فاز بالجائزة تقديرا لأعماله الروائية والمسرحية والقصائد الشعرية التي نشرها ولكن الكثير من النقاد يعتقدون أن فوزه بالجائزة جاء أيضا تقديرا لنشاطه السياسي في مكافحة الاستعمار ونشر الوعي في أفريقيا. وفي حفل تسلم الجائزة في ستوكهولم ألقى سوينكا خطابا أهدى فيه الجائزة إلى نيلسون مانديلا الذي كان لا يزال في السجن وهاجم سياسة التمييز العنصري التي كانت تتبعها جنوب أفريقيا.

وقد انتقل سوينكا للعيش في الولايات المتحدة حيث يقوم منذ عشرين عاما بالتدريس في مجموعة من أشهر جامعاتها مثل ييل وكورنل وهارفارد. ولعل في تلك المفارقة وأعني بها لحظة تخلي المناضل والناشط السياسي عن دوره الذي اختطه لنفسه والذهاب للعيش في دول الغرب التي استعمرت بلاده لسنين طويلة ما يدفعنا لإلقاء نظرة أخرى على مجمل مشروع نقد ما بعد الكولونيالية الذي يعتبر سوينكا واحدا من أبرز رموزه خصوصا وأن سوينكا ليس الوحيد في ذلك إذ أن الكثير من الأدباء والنقاد الأفارقة وغير الأفارقة الذين بدأوا حياتهم الأدبية منادين للحرية في بلدانهم وكاتبين تحليلات ودراسات عن أدب الكولونيالية وما بعد الكولونيالية قد انتهى بهم المطاف في ذات الدول الغربية التي استعمرت بلدانهم ويكتبون كتبهم بلغات غير لغتهم الأم التي طالما دافعو عنها وأبدو اعتزازهم بها.

بدء الاهتمام بما بعد الكولونيالية في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات من القرن العشرين وكانت بدايتها في الجامعات الغربية كمحاولة لتوسيع مناهج الأدب الإنكليزي لتشمل كتابا من دول الكومنولث أو المستعمرات البريطانية السابقة وممن يكتبون بالإنكليزية. ولعل من الجدير بالملاحظة أن المشروع هو أكاديمي بحت نشأ وتطور داخل الجامعات ولم يكن مرتبطا ارتباطا وثيقا بأيّ مجريات على الأرض أو الواقع. وقد تزامن ظهور نظرية ما بعد الكولونيالية مع ظهور مجال أكاديمي آخر هو ما يعرف بالدراسات الثقافية والذي أصبح هو الآخر حقلا مؤثرا في المجال الأكاديمي، ولعل ظهورهما المتزامن كان السبب وراء إيمان بعض النقاد بأن هذين المنهجين إنما طورا خصيصا لإضعاف الماركسية التي كانت قد هيمنت على المناهج البحثية في جامعات الغرب وسحب البساط منها.

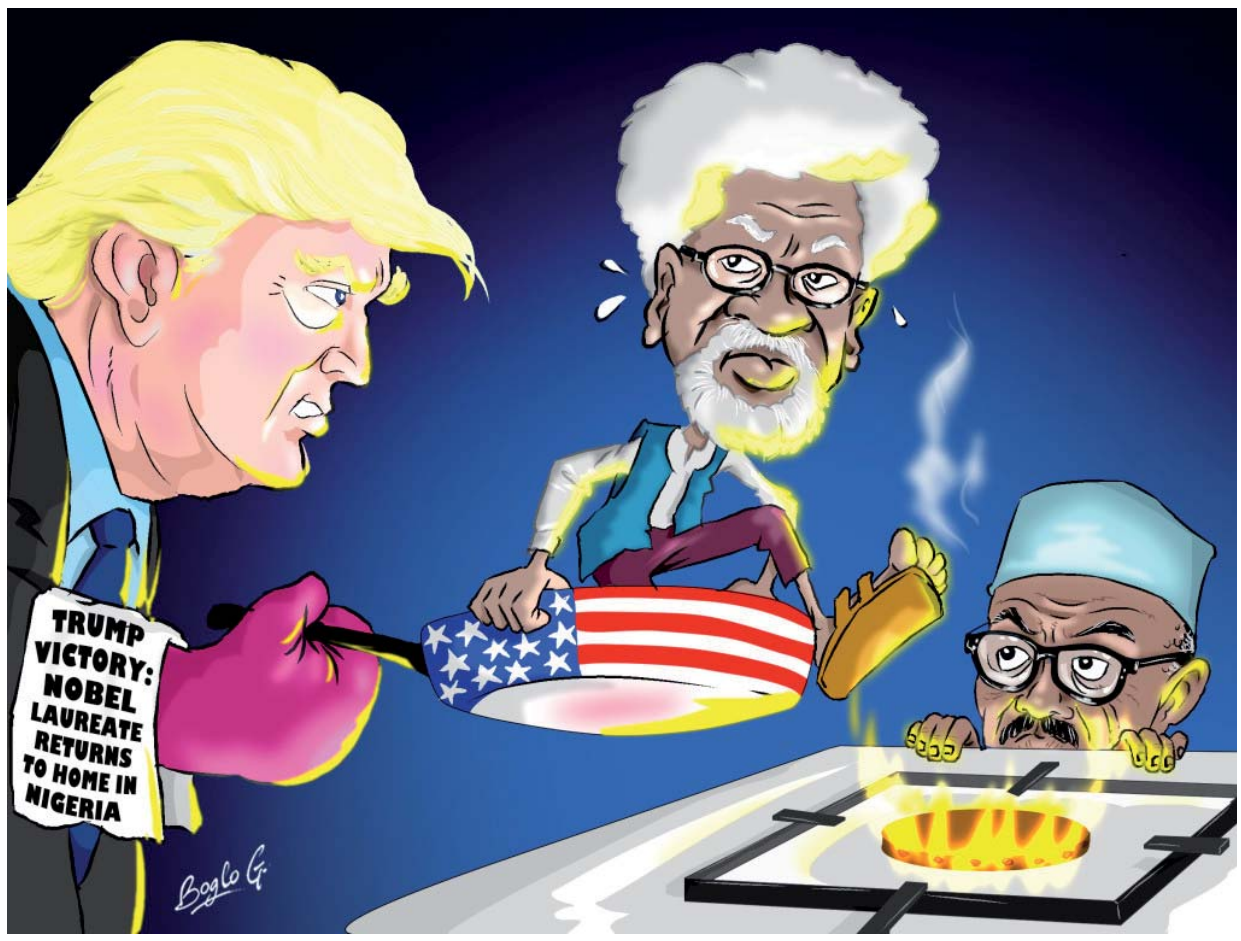

ترامب في كاريكاتور أميركي يحول حياة النيجيري وول سوينكا المقيم في أميركا إلى جحيم

فرغم أن الماركسية قد ماتت كفكرة سياسية إلا أنها ظلت حاضرة وبقوة كنظرية معرفة ومنهاج بحث. تهدف النظريات الفلسفية الحديثة مثل "التفكيكية" لجاك دريدا و"خطاب القوة والمعرفة" لميشيل فوكو التي تؤكد عليها الدراسات الثقافية إلى إلغاء دور الإنسان في تغيير العالم والذي أكدت علية الماركسية وتصوير الإنسان على أنه خاضع لسطوة القوة التي تمارسها اللغة والخطاب النصي.

ورغم أن الكثير من النقاد والمؤرخين يعتبرون أن بداية نظرية ما بعد الكولونيالية كانت مع فرانتز فانون في كتابة "بشرة سوداء اقنعة بيضاء" (1954) و"معذبو الأرض" (1961) إلا أن النظرية لم تتوسع إلا بعد ظهور الثلاثي إدوارد سعيد وهومي بابا وغايتري سبيفاك وخصوصا بعد ظهور كتاب "الاستشراق" لإدوارد سعيد سنة 1978 والذي ترك أثرا كبيرا في تطور النظرية النقدية ومرة أخرى نلاحظ أن المؤسسين الكبار كلهم يعملون في جامعات غربية مرموقة. ورغم أن إدوارد سعيد لم يكن أول الباحثين الذين كتبوا عن الاستشراق والصورة التي يرسمها الغرب للشرق فقد سبقه إلى ذلك مصطفى السباعي في كتاب "الاستشراق والمستشرقون" (1956) وكذلك أنور عبد الملك في "الاستشراق في أزمة" (1963) إلا أن ما ميز سعيد هو موقعه كأستاذ الأدب المقارن في جامعة كولومبيا الأميركية وهو ما أعطى أفكاره أهمية كبيرة وتأثيرا كبيرا في المجال الأكاديمي.

أدرك المهتمون بهذا الحقل من الدول النامية أن الطريقة المثلى للتأثير في هذا الحقل الأكاديمي هو العمل في الجامعات ومراكز البحوث الغربية من أجل الدعوة لإعادة دراسة الأدب الكولونيالي وفهم الطريقة التي صور بها الغربيون الآخر وذلك من وجهة نظر الآخر نفسه. ولعل في ذلك مفارقة كبيرة في أنك لكي تبتعد عن تأثير الغرب وتحرر نفسك من السطوة الفكرية للغرب ولكي تدرس الطريقة التي ينظر إليك بها الغرب عليك أن تذهب إلى الغرب نفسه وتكتب بلغته وإلا فإن صوتك لن يكون مسموعا أبدا. ومن أشهر التجارب في هذا المجال هي تجربة الكاتب الكيني الشهير أنجوحي واثنجو الذي كتب بالإنكليزية عددا من الروائع الأدبية مثل "حبة القمح" (1967) و"لا تبكي أيها الطفل" (1964)) والذي قرر بعد استقلال بلده ألا يكتب بالإنكليزية أبدا وأن يكتب فقط بلغة الجايوكو وهي إحدى اللغات المحلية في كينيا، وقدم مقترحا لجامعة نيروبي يطالب فيه بإعادة تسمية قسم اللغة الإنكليزية في الجامعة وإعادة كتابة المناهج لإبراز الأدب الأفريقي ومنحه المكانة التي يستحقها. ويعود أنجوجي في كتابه "تحرير العقل" (1986) ليقول إن الرصاص كان وسيلة الآخر للإخضاع الجسدي واللغة كانت وسيلة الإخضاع العقلي ولذلك ولتحرير العقول من سطوة الآخر المستعمر ينبغي التحرر من سطوة اللغة الأجنبية وتأثيرها. إلا أن أنجوجي مع الأسف عاد وتراجع عن القرار بعد أن غاب صوته تماما ولم يعد أحد يقرأ له وقد سلك نفس طريق سوينكا إذ أنه أصبح أستاذا في جامعة كاليفورنيا-أرفين حيث يدرس الأدب المقارن، وحتى ابنه ماكوما فقد أصبح أستاذا في جامعة كورنيل الأميركية وينشر جميع كتبه ودراساته بالإنكليزية. وفي آخر لقاء له مع الصفحة الثقافية لصحيفة الفاينشال تايمز يبدو أن أنجوجي غيّر من آرائه، فهو يقول إنه كان دائما يؤمن بأن هناك فرقا بين ما يجب عمله وما ينبغي عمله، فإذا كان الكاتب قد نشأ على الكتابة بالإنكليزية فهل ينبغي أن نمنعه من الكتابة إلى أن تتحسن لغته الأم؟ ويبدو هذا الرأي بعيدا عن ذلك الكاتب الذي قال يوما إننا بالكتابة بالإنكليزية نكون قد أصبحنا جزءا من الإمبراطورية الميتافيزيقية ونسهم من حيث لا نقصد بنشر سطوة اللغة الإنكليزية.

إلا أن الصورة لا تبدو بذلك التشاؤم إذ أن وول سوينكا قد نفّذ وعده وترك أميركا عائدا إلى بلاده قبل تنصيب الرئيس الجديد في العشرين من شهر يناير 2017، وقد قال لمراسل صحيفة الإندبندنت، الذي التقاه على هامش مؤتمر ثقافي في جنوب أفريقيا مؤخرا، إنه قد عاد للاستقرار في موطنه حيث كان ينبغي له أن يكون. ورغم أنه لن ينصح الشباب الأفريقي بعدم الذهاب إلى أميركا فبالنسبة إليه اعتبر سوينكا أن فوز ترامب بالرئاسة كان اللحظة المناسبة للمغادرة.

تحديث وحداثة وبينهما فيسبوك

سعد القرش
كاتب من مصر

❏ قضت الحداثة الإلكترونية على ظاهرة لا يعرفها جيل الفيسبوك من المصريين، وعنوانها محمود عبدالرازق عفيفي الذي سمّى نفسه «أديب الشباب»، منذ نحو أربعين عاما، وبهذا اللقب ضمن شبابا متجددا، لولا أن الشوارع التي تتسلقها كتاباته اكتسحتها حوائط الفيسبوك، بطزاجة تفاعلاتها الفورية، وكانت تعوزه مهارة اكتساب هذا الجانب الحداثي فاندثر، ولا يذكره إلا أمثالي ممن يحتفظون ببعض ما كان يصدره من «كتب»، ولا نعرف هل توفّي؟ أم مازال حيا لا يرزق.

ستقضي الحداثة بقفزاتها التي تجاوزت التحديث النفعي الاستهلاكي على الكثير من أشكال العلاقات القديمة، وربما تساعد على تطور الأخلاق اضطرارا؛ فلا يلجأ أحد إلى احتيالات صغيرة يظنها في مأمن من الافتضاح.

اختفت المراسلات باستخدام جهاز الفاكس، وتروي سناء البيسي أن المفكر المصري جمال حمدان احتاج، قبل شهر من وفاته الغامضة في أبريل 1993، معلومة مهمة، ليضيفها إلى مشروع كتاب عن الصهيونية وإسرائيل، وبجهاز الفاكس تم استقبال الرسالة في اليوم نفسه وإرسالها إليه، فسأل عن هذه «المعجزة»، واعتبرها إحدى مراحل تطور خيال عباس بن فرناس.

ولا يعرف الجيل الحالي دلالة كلمتي "Floppy disk" ذي المجد القديم، إذ نسف التطور التكنولوجي مكانه في أجهزة الكمبيوتر، منذ أكثر من عشر سنوات، وتخلو أجهزة حديثة من مكان لوضع الـ"CD". كما تخلو البيوت الجديدة من مكتبة لأشرطة الفيديو، وانتهت إمبراطورية أندية الفيديو التي لعبت أدوارا في توجيه صناعة السينما زمنا، ولا علاقة لغيابها بما يطلق عليها حاليا «السينما الأخلاقية»، وإن ظل الرهان على الحداثة الإلكترونية في الالتزام الأخلاقي، فلم تعد المهرجانات تتلقى نسخا من الأفلام التي تشاهدها لجنة أو شخص للاشتراك في المسابقة، وإنما توجد الأفلام في ذاكرة افتراضية ويتيح أصحابها لمن يشاؤون فرص المشاهدة عبر إدخال كلمة سر. وضحكت صديقتي من الغيظ، وهي تكشف كذبة غير بيضاء، بعد تلقيها ردا من مسؤول بمهرجان مصري أفاد بأن لجنة شاهدت الفيلم، وقرّرت أنه غير ملائم لطبيعة المهرجان. وقالت "كيف حدث ذلك وعدّاد المشاهدة صفر؟"، التكنولوجيا تفضح كذب البشر.

عداد القراءات أيضا كان سيسهم في توجيه «أديب الشباب» إلى عمل أكثر نفعا، ويمنحه بعض التحقق، ويدفعه للكف عن اختلاق معارك مع طواحين الهواء، ويغنيه عن كتابة عنوانه الذي تحتفظ به حوائط في القاهرة «37 شارع محمد مرسي، الإمام الشافعي، القاهرة»، وربما دفعته التعليقات الساخرة على معلقاته إلى الصمت انتحارا، حين يقول في كتابه «إجهاض الحرية، السفر الأول» (1993)، «ويبدو أن الله خلقني إنسانا سيدا وحصورا ومحصنا ضد الانحراف». ومن مقولاته «أعترف بأنني معجب بنفسي أشد العجب، وكلما تذكرت عظيم صفاتي وحلو شمائلي أقول أحمدك يا رب لأنك خلقتني على هذه الصورة الجميلة. لقد عرفت نفسي فاحترمني الناس ورحمني الله، وآه لو تعلمون أنه لقدر عظيم، ولن يزيد ولو زارني رئيس أميركا في الإمام الشافعي، لأني أصنع قدري بنفسي». وهذه الجملة قالها الممثل مجدي فكري في فيلم «يا دنيا يا غرامي» من إخراج مجدي أحمد علي (1996)، من دون إشارة إلى حقوق الملكية الفكرية لرجل يتعالى حتى على مشاهدة فيلم يستلهم شخصيته ويقتبس كلامه.

في العام التالي لعرض الفيلم نشر في بريد «الأهرام» رسالة موجعة، فهو لم يكتب منذ عشرين عاما على الحوائط إلا مضطرًا، بعدما سدت في وجهه السبل، حتى أن التلفزيون رفض إذاعة إعلان مدفوع عن كتابه «هذا قرآني»، كما رفض إعلانا عن «إجهاض الحرية» ينص على استعداده لمناظرة الشيخ محمد متولي الشعراوي. ولو أدركت الحداثة الفيسبوكية «أديب الشباب» لاستغنى عن الإعلانات التلفزيونية، وربما أنشأ قناة في يوتيوب، ووفّر للباحثين مادة تكمل «هتاف الصامتين» الذين عني بهم سيد عويس. فهل قلص الفيسبوك جيش الصامتين؟ أم أسهم في بارانويا أصابت محبطين لا يملكون فضيلة اعتراف «أديب الشباب» بأنه «إنسان مضطهد، وهذا إحساس حقيقي لا مرضيّ».

صمت المثقفين

لطفية الدليمي
كاتبة من العراق

❏ كيف نفسّر صمت بعض المثقفين إزاء ما يحدث في منطقتنا العربية؟ أهو موقف لضمان السلامة الشخصية؟ أم هو خوف معتق اكتسبه البعض من أزمنة القمع؟ هل يمكن أن نفسر صمت كثير من المثقفين إزاء الأحداث بأنه نرجسية اللامبالي بمصائر الآخرين وأقدارهم؟ أم تراهم يحدّقون في غمائم الدخان ويخشون أن يفلت الزمن من قبضتهم فيعتصمون بالصمت ويستغرقهم ذهول السادرين في الكهوف؟ ألا توقظ الوقائع الصادمة والدماء وتهجير الملايين إلى المجهول شهوة الحراك في المجتمع؟ متى تنعكس إشعاعات الإبداع الأدبي والفكري والفني على الدروب التي تضمخها دماء الضحايا؟ أهو الخوف ذاته من العقب الحديدية؟ أهو التحسب من الأصفاد بصيغها الأعنف؟ نراهم فوق التلال أو الهضاب، يسترخون على الشرفات الظليلة أو في الغرف الموصدة، أو في بعض المتاهات وأبراج العزلة، يلتزم كثرة منهم الخرس والاستغراق في التخفي أو اعتناق الحياد، وفي أفضل الحالات الكتابة عن تجريدات ذهنية وتهويمات خالصة لا دور لها في سياق تغيير الحياة وتجددها، فهم يغرقوننا بالمصطلحات المستعارة ويسوقون أفكارا مستهلكة، يستشهدون بمقولات بَطُلَ سِحْرُهَا مستلّة من متون نقاد ومؤدلجين انتهت فعاليتهم، يفعلون كل هذا والأرض تفور بالأحداث والضحايا، يكتفون بالفرجة عن بعد، يواصلون الاسترخاء في قناعاتهم المستتبة والدنيا نهب لحريق أو عرضة لمخاطر مروعة والحياة تنتظر منهم مواقف أو خلاصات تحفّز التقدم ونتائج تستقرى ما سيأتي.

يبدو أن معظم هؤلاء السادرين في التهويمات اللفظية من مثقفينا يؤثرون السلامة بالانسحاب من ميدان التأثر والتأثير واتخاذ المواقف، يخشون الفعل والمواجهة، ويتشبثون برموز تاريخية وحيثيات مندثرة وأيديولوجيات تهاوت، يتكئون على أفكار نحرتها التجربة، آخرون يديرون ظهورهم لإمكانات التطور ومديات الجدل؛ فيشيحون بوجوههم عن شؤون الراهن من ثقافتنا وإشكالاتها المتزايدة، يتمسكون بيقينات مجهضة عن وجود حقيقة واحدة في أفق الوجود وينسون أننا نحيا في زمن اللايقين وتعدد وجوه الأمور تبعا لزاوية النظر، فهم لا تهزهم فواجع الحاضر العربي ولا تحرك مخيّلاتهم متطلبات السعي نحو المستقبل، سلبيون حد الامّحاء وعاجزون حد التلاشي، هؤلاء هم الذين ينثرون بذار التراجع في حقول الحاضر، باعة التشاؤم والانكسار، سادة التيئيس وسدنة الخرافة والقبول بالقدر الذي أصابنا لأننا نستحقه وعلينا الدعاء في انتظار بزوغ المعجزات.

المثقفون على اختلاف مستوياتهم وعبر العصور كلها، هم أكثر الناس هجاء لعصرهم ومديحا لعصور سبقت وأقدرهم على إعلان الشكوى من الدنيا وذمّ الأحداث وصانعيها والتصدي لكل مبادر شجاع وتهشيم أحلام الآخرين وتسفيه مشاريعهم وتجاربهم، وتتحكم بهؤلاء فكرة متسلطة واحدة تتعاظم بتعاظم الوهم لديهم؛ وهي أنهم المظلومون المبعدون عن كل المرابح والمكاسب، فلا يحوزون أنصبة من أسهم الحياة، ويعلنون في كل مناسبة أنهم المنسيون الذين تتجاهلهم المؤسسات؛ فلا تستثمر خبراتهم في ترميم الأوضاع أو إعادة بنائها، يغدقون اللوم على زمان لم يوفهم حقا ولم يبذل لهم ما يستحقون من تقدير واعتبار، يقلبون الموازين لصالح أوهامهم ويصطادون حادثة من هنا وضحية من هناك ليعلّقوا على عاتقها محنة البلاد وانهيار اقتصادها وثقافتها وتعليمها وأوضاعها المجتمعية وقيمها، مكتفين بالشكوى والتحسر وهم يقفون على حافات السلامة ويعتصمون بما يقيهم من الضرر، يهتفون بالمغامرين المبادرين: تريّثوا ولا تورّطونا معكم فيما يؤدي إلى الهلاك، أنصتوا إلينا واستمعوا إلى حديث الخبرة ودقة التقدير، ثم نجدهم يفتشون عن ضحايا لهم ويتمتعون بدور الجلاد القامع وهم الذين كانوا ضحايا لجلادي الثقافة ورقبائها المتزمتين.

أبناء القاع الإيطالي

رهانات السرد الواقعي في رواية «صديقتي المذهلة»

مفيد نجم
كاتب من سوريا

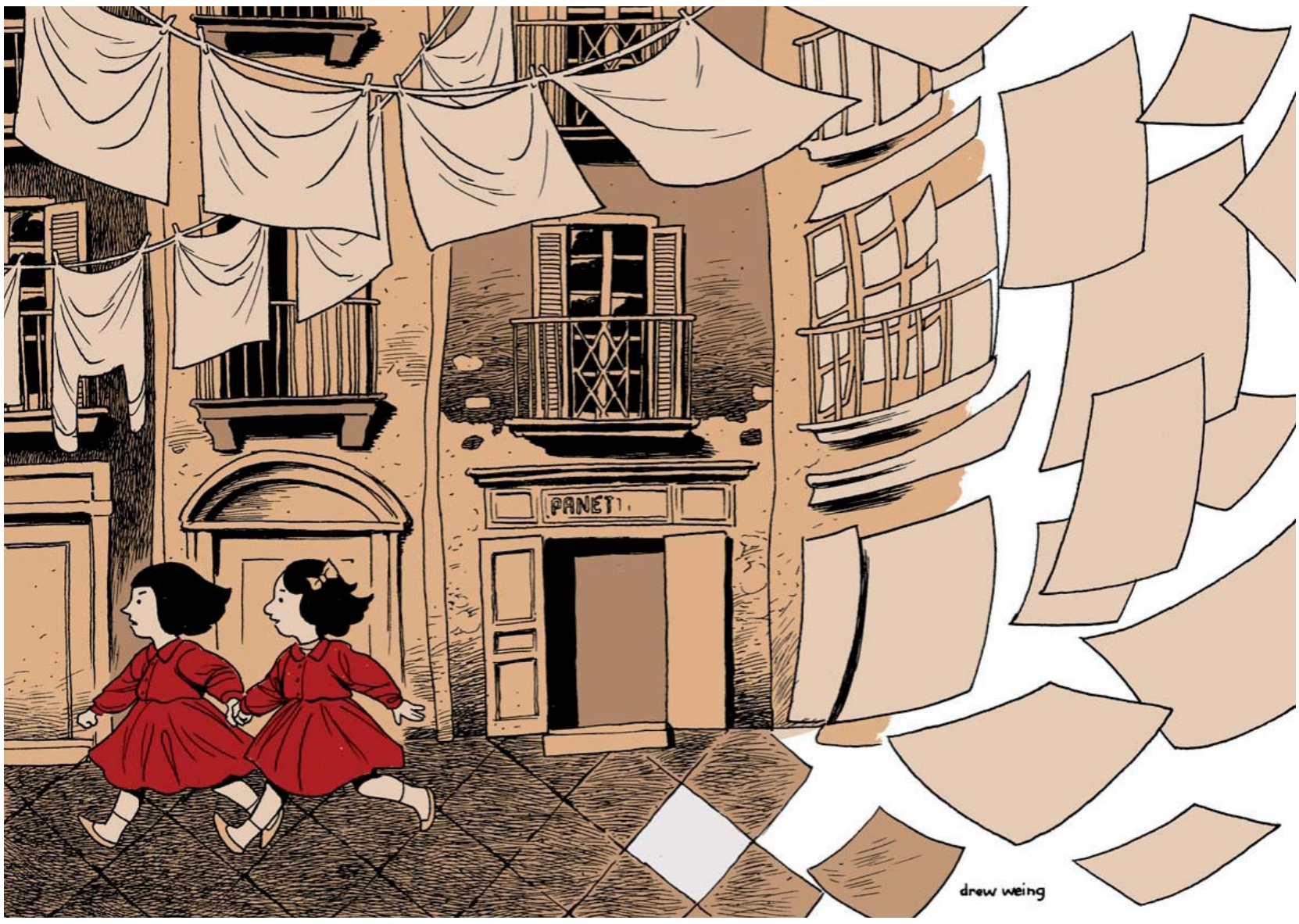

الكاتبة تلغي المسافة بين شخصية البطل والمتلقي

❏ تعيدنا رواية صديقتي المذهلة للكاتبة الإيطالية إيلينا فيرانتي الصادرة حديثا عن دار الآداب إلى عالم أحياء الهوامش العمالية الفقيرة على أطراف مدينة نابولي الإيطالية في خمسينات القرن الماضي، من خلال سيرة حياة صديقتين هما إيلينا وليلا اللتين نشأتا في ذلك الحي البائس وخبرتا حياة ساكنيه. وعلى عادة الروايات الواقعية التي تحاول أن تؤثر في أفق توقع القارئ تفتتح إيلينا فيرانتي روايتها بتنويه تنفي فيه وجود أيّ علاقة بين شخصياتها وأحداثها مع الشخصيات والأحداث في الواقع، وإذا حدث ذلك فهو محض صدفة لأن هذا العمل هو من نسج الخيال.

والحقيقة أن الرواية التقليدية لطالما استخدمت هذا الأسلوب للإيهام بواقعية الرواية وبالتالي إغراء القارئ بالقراءة، خاصة وأن هناك تطابقا في الاسم بين بطلة الرواية/الراوي وشخصية الكاتبة، هذا التطابق الذي تكون لجأت إليه الكاتبة لتعزيز هذا الإيهام عند المتلقي. ولا تكتفي الكاتبة بهذا الأسلوب في تقديم عملها بل نجدها تستخدم في أسلوب السرد طرائق تقليدية في التعبير كقولها "أذكر أننا" و"نسيت أن أقول لكم" و"اتضح لي تحديدا". وتكتمل هذه الإحالات في بنية الرواية من خلال الجدول الذي تصدّر به عملها على غرار كتّاب المسرح بأسماء عائلات ذلك الحي وأسماء أبنائهم وبناتهم، لكي يسهل على القارئ التعرف سلفا على هذه الشخصيات الكثيرة التي تتداخل مصائرها وعلاقاتها داخل العالم الروائي للكاتبة.

السرد الروائي

تتميز لغة السرد الروائي بتركيزها الواضح على سرد التفاصيل الخاصة بالمكان أو الأحداث والشخصيات، على غرار ما تتميز به الرواية الواقعية التقليدية، إضافة إلى استخدام الكاتبة للسرد الخطي التعاقبي والتصاعدي على الرغم من أن الكاتبة تبدأ السرد من نهاية الرواية، من لحظة اختفاء شخصية الرواية الثانية ليلا فجأة دون أن تترك لابنها العبثي أيّ أثر يدل على وجودها، فيتوجه إلى صديقتها إيلينا علها تعينه على معرفة مكانها، لكن صديقتها تدرك أن ليلا قررت أن تختفي نهائيا، فتحاول أن تستعيدها، ولكن من خلال استعادة حياتهما التي عاشتاها في ذلك الحي البائس بدءا من طفولتهما وحتى غياب أيّ أثر لصديقتها.

تظهر صيغة السرد بضمير المتكلم المفرد منذ العنوان الذي يجعل من شخصيتي بطلة الرواية وشخصية صديقتها ليلا المحور الذي تدور حوله أحداث الرواية، متتبّعة أثر هذه العلاقة على حياتها وخياراتها وحتى تفوّقها الدراسي، نظرا لما تتمتع به صديقتها من نباهة وذكاء رغم مظهرها الطفولي الدال على القسوة والانعزالية وانعدام المشاعر.

تلغي الكاتبة المسافة بين شخصية البطل/السارد والمتلقّي من خلال استخدام ضمير المتكلم الذي يكون فيه الخطاب موجها مباشرة إلى القارئ، وبقدر ما يضفي ذلك من حميمية على العلاقة، فإنه يجعل شخصية السارد تهيمن على السرد الحكائي وتجعله حاضرا في كل مكان، ما يوحي وكأن الرواية هي سرد لسيرة ذاتية لبطلة الرواية وكاتبتها، خاصة وان الكاتبة كما أسلفنا تستخدم التحفيز الواقعي، سواء من خلال استخدام التواريخ أو الأسماء الواقعية للأماكن أو محاولة إيجاد علاقة من نوع ما بين الرواية والواقع.

شخصيات الرواية

كما هو واضح من توزيع شخصيات الرواية على مجموعة كبيرة من العائلات التي تسكن ذلك الحي الفقير، فإن الرواية تحفل بعدد كبير من هذه الشخصيات التي هي في أغلبها شخصيات عمالية، لكنها جميعا تبقى شخصيات فرعية، في حين تستحوذ شخصية البطلة وصديقتها ليلا على بطولة هذا العمل. تشكل شخصية ليلا المذهلة أو الغريبة كما تصفها الكاتبة في العنوان وفي المتن السردي نقطة جذب وعنصر تحدّ في آن معا بالنسبة إلى بطلة الرواية، التي تحاول أن تسايرها في التحدي أو في الاهتمامات والتفوق الدراسي والقراءة وتعلم اللغة اللاتينية، ما يجعل وجود ليلا ضرورة بالنسبة إليها نظرا لما تشكله من حافز وتحريض لها على التفوق والقراءة. لكنّ مصائر هاتين الشخصيتين تنتهي بافتراقهما عندما يعجز أهل ليلا عن دفع أجور مدرستها فتنتقل للعمل في محل أحذية والدها، وهي تحلم بالثراء من خلال تصميم أحذية جديدة، إلا أن هذا الحلم ينضاف إلى خيباتها الأخرى التي تجعلها أكثر جمودا ويأسا.

وعلى الرغم من هذا الافتراق في المصائر، تظلّ ليلا حاجة كبيرة لبطلة الرواية تستمد منها المعرفة والقوة في وقت لا تظهر فيه ليلا أيّ مشاعر تجاهها، وإن كانت تحاول أن تتفوق عليها من خلال سؤالها الدائم لها عمّا تتعلمه في المدرسة.

في هذا العالم المعزول تتداخل مظاهر البؤس والعنف، سواء من خلال سلوك ساكنيه أو لغتهم اليومية "كان عالمنا هكذا يغص بالكلمات القاتلة.. الالتهاب، الكزاز، الحمى التيفية، الغاز، الحرب، المخرطة، الأنقاض، العمل، القصف، السل، وما زلت أنسب كل مخاوفي التي رافقتني طوال حياتي إلى تلك المفردات وتلك الحقبة".

وإذا كان وعي بطلة الرواية الذاتي والعام الاجتماعي يتأسس وسط هذه المظاهر والأوضاع القاسية، فإن انعكاس ذلك يظهر على سلوك وأفعال شخصيات الرواية، بل ويظهر من خلال وعي شخصياتها السياسي بالنسبة إلى الطبقة المتعلمة في هذا المجتمع.

تنتقل الرواية في سردها بين مستويات مختلفة من التجارب والتحولات الغريبة التي كان يعيشها سكان القاع في المجتمع الإيطالي أثناء الحقبة التي تلت الحرب العالمية الثانية، حيث كان الصراع يشتد بين الأفكار والعقائد، عند أنصار الشيوعية والملكية والفاشية بينما تظل الرواية تنشغل بشكل أساسي بتجربة الأنثى في هذا المجتمع الفقير وعلاقتها بجسدها منذ وعيها الأول بتحولات جسدها وظهور علامات الأنوثة، إضافة إلى علاقتها بالرجل وصراعها بين الحاجة العاطفية وأخلاقيات الواقع الاجتماعي.

انقسام اجتماعي

تهتم الرواية برصد حالة الانقسام الاجتماعي والطبقي في المجتمع الإيطالي آنذاك من خلال محاولات شباب الحي العمالي اختراق حدود المكان الخاص بحيّهم وطبقتهم الاجتماعية، والذهاب إلى الأحياء الراقية، حيث الاستقرار ومظاهر الثراء والجمال، لكن هيئتهم الفقيرة والنافرة في شوارع هذه الأحياء تجعلهم هدفا لسخرية وكراهية شبابها، الأمر الذي يؤدي إلى صدام عنيف ودام، وكأن ثمة حدودا مرسومة بين فئات المجتمع لا يجوز اختراقها.

التحول الوحيد والأساسي الذي يطال أبناء هذا الحي هو نجاح بعضهم في الالتحاق بالمدارس العليا والحصول على المعرفة، لكنّ الكاتبة المعنية أكثر بسيرة بطلتها تجعل الاهتمام بأثر هذا التحولات يأتي على هامش أحداث الرواية، كما هي حال سائر التحوّلات التي تطال الوضع الاجتماعي للعديد من عائلات الحي نتيجة انتشار الفساد والربا.

تنتمي هذه الرواية إلى الروايات الاجتماعية التي تركز على إبراز مظاهر هذه الحياة والعلاقات التي تحكمها، إضافة إلى التحولات التي تطرأ عليها مع دخول أبناء الجيل الجديد ممن تتوفر لهم الفرصة لدخول المدارس ومتابعة تعليمهم. ولا تتجاوز هذه الرواية في مقاربتها إلى هذا العالم الأسلوب الذي تتبعه هذه الروايات. لذلك يكون مفاجئا للقارئ التعليقات التي وضعها الناشر على غلاف الرواية الأخير، فهي فإما تعود إلى زمن صدورها، أو أن ثمة اختلافا في الذائقة الجمالية للقراءة، لأن الرواية العالمية حققت تطورا كبيرا في أساليبها وبناء شخصياتها، ورؤيتها الجمالية إلى العالم، تتجاوز القيمة السردية والجمالية لهذه الرواية، على الرغم من محاولة كاتبتها تقديم نموذج خاص لشخصيّاتي بطلتي الرواية وواقع الحياة الاجتماعي للطبقة العمالية المسحوقة في المجتمع الإيطالي في تلك الحقبة من الزمن.

رفّ الكتب

قراءة في أعمال جواد الأسدي

❏ يدرس الناقد المسرحي العراقي صميم حسب الله، الأستاذ في كلية الفنون الجميلة ببغداد، في كتابه "التوليد الدلالي للمخرج المؤلف في المسرح المعاصر، جواد الأسدي أنموذجاً"، الصادر عن الهيئة العربية للمسرح في الشارقة (2016) تجارب الكاتب والمخرج المسرحي العراقي جواد الأسدي، التي تركت بصمةً في المسرح العربي خلال العقود الأربعة الأخيرة، وأصبحت مشروعاً مسرحياً واضح الملامح جعلت من الأسدي واحدا من المخرجين البارزين في المسرح الحديث على الصعيد العربي. وركز المؤلف على ثلاثة تجارب للأسدي هي "ليالي أحمد بن ماجد" و"حمام بغدادي" و"نساء في الحرب"، قرأ من خلالها تحوّلات العلامة في تجارب "المخرج المؤلف" عالميا. كما تضمّن الكتاب، في مباحثه التمهيدية، عرضاً لتاريخ الدراما الإغريقية والرومانية والعصور الوسطى وعهد النهضة، ثم تناول المحور في بعده العراقي متطرقا إلى تجارب قاسم محمد وعقيل مهدي وسعدي يونس، ليخلص بعدها إلى جواد الأسدي أنموذجاً.

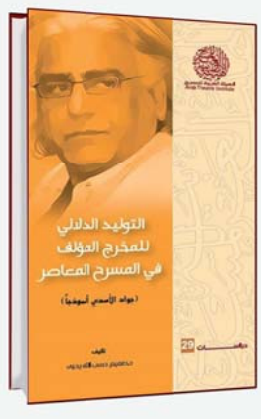

المسرح والتخييل الحر

❏ يضم كتاب "المسرح والتخييل الحر" لعواد علي، والصادر عن دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة (2016) فصلين، يتناول الفصل الأول تجارب مسرحية عربية: من السرد الحكائي إلى النص الدرامي، المسرح العربي وتكييف ألف ليلة وليلة، بيانات المسرح العربي: التأصيل والتأسيس، تجارب إخراجية جديدة في المسرح العربي، المسرح العربي وردود الفعل إزاء الكولونيالية: تجارب من المسرح العراقي، صورة أميركا في المسرح العربي، المسرح والديمقراطية: الرقابة وأنماط القمع والتدجين، الجسد في المسرح النسوي العربي، المسرح العربي ومقاربة القهر السياسي والاجتماعي، المخرج المسرحي العربي دراماتورجا، مسرح الكباريه السياسي في مواجهة الواقع، مسرح الرصيف السوري: علامة مضيئة في المسرح العربي، والمسرح ومثقفو عصر التنوير في العالم العربي. ويحتوي الفصل الثاني على مقاربات لقضايا مسرحية، مثل: تمثيلات الإنكار من الفلسفة إلى المسرَحَة.

نجيب حبيقة منظرا مسرحيا رائدا

❏ يحقق الباحث المسرحي والأكاديمي التونسي محمد المديوني في كتابه "حلقة موؤودة في تاريخ المسرح العربي"، الصادر عن الهيئة العربية للمسرح في الشارقة (2016)، مقال "فن التمثيل" للمنظر المسرحي اللبناني الرائد نجيب حبيقة (1869–1906)، في إطار الإعداد لدرس أنجزه سنة 1992، وسمه وقتها بـ"الحدث المسرحي في الثقافة العربية"، وكان شاغله فيه أن يقف مع طلبته على المفاصل التي قامت على أساسها الممارسة العربية لفن المسرح. ويتعامل المديوني مع مقال حبيقة هذا بوصفه نصّا من بين النصوص المؤسّسة للمسرح العربي لا يقل موقعُه أهمية عن موقع نص الخطبة التي قدّم بها مارون النقّاش عرض مسرحية "البخيل" سنة 1847. وما يدعوه إلى ذلك هو ما تضمنه المقال من مرجعيات نظرية متعددة لا يكاد يلمس مثلها في نصوص سابقيه ولا معاصريه.

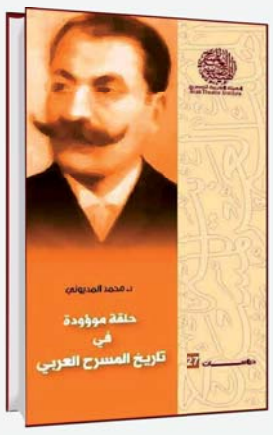

أورويل العربي كاتب الكوابيس

فوزي ذبيان: الرواية العربية المعاصرة تكتبها الكارثة

باتت الأجواء الكابوسية في الحاضر والمستقبل مهيمنة على الخطاب الروائي العربي في الفترة الأخيرة، خصوصا في كتابات الروائيين الشباب الذين عاصروا كل هذا الخراب في الراهن العربي ما جعل نظرتهم للمستقبل تحمل الكثير من السوداوية التي بدأها جورج أورويل في روايته "1984". "العرب" حاورت الروائي اللبناني فوزي ذبيان حول روايته "الديستوبية" الصادرة مؤخرا وحول عوالمه الروائية.

حنان عقيل
كاتبة من مصر

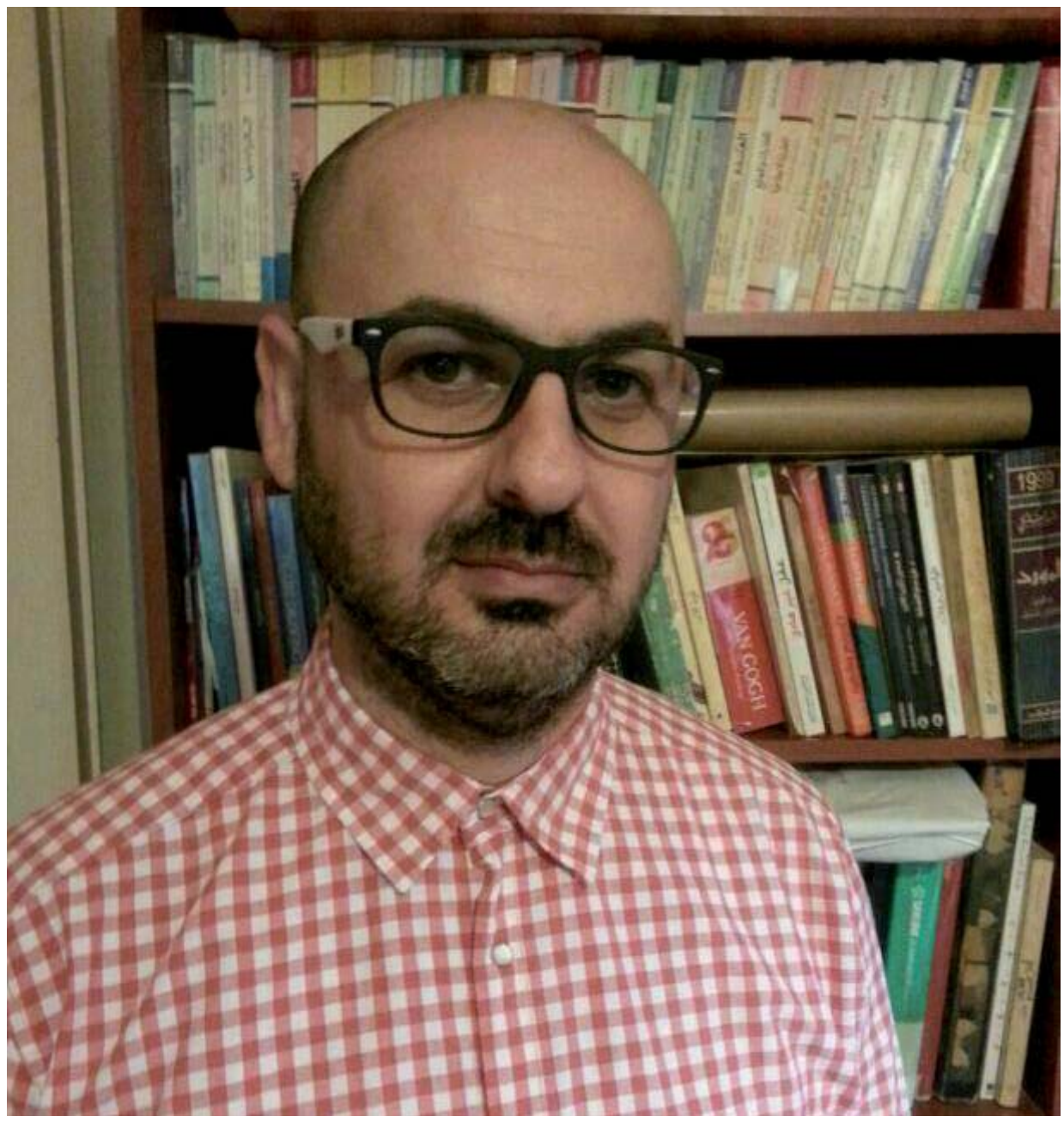

فوزي ذبيان: وظيفة الرقيب الداخلي القفز على الخطوط الحمراء

❏ في روايته الصادرة حديثًا عن دار الآداب اللبنانية بعنوان "أورويل في الضاحية الجنوبية" يعمد فوزي ذبيان إلى استلهام رواية "1984" للروائي جورج أورويل، وهنا يوضح ذبيان أن هناك جملة من العوامل دفعته لاستلهام أورويل "1984" قائلا "عندما أفكّر مليًا تستوقفني بشدة صورة الناس في مقاهي الضاحية وهم يحدقون في أمين عام حزب الله حسن نصرالله أثناء إطلالاته عبر الشاشات، فلطالما استدعت هذه الصورة في ذهني صورة الأخ الأكبر كما رسمها أورويل في رائعته الروائية، فضلا عن عناصر أخرى مثل التأسيس لمعجم لغوي يشكّل وعي الناس في يومياتها العادية يصار عادة إلى تمتينه عبر الضخ الإعلامي وهي ثيمة أساسية في كتاب أورويل، ثم تشويه الحقائق أو على الأقل تقديمها بما يتلاءم مع المنظومة كلية الحضور والتي عادة لا تتحمل الحد الأدنى من المغايرة أو الاختلاف".

ويتابع قائلا "إن 'أورويل في الضاحية الجنوبية' هو في بعض مراميه دعوة للتمعّن من قبل أهل الضاحية بالدرجة الأولى في آليات القولبة الاجتماعية بما يتلاءم مع سلطة الأمر الواقع وخطابها الحديدي، وهو ما يشكّل العنوان الأبرز لرواية 1984 التي كتبها جورج أورويل في أواخر أربعينات القرن الماضي".

خطاب الكارثة

تبدأ رواية "أورويل في الضاحية الجنوبية" بعبارة لجورج أورويل يقول فيها "إذا أردت أن ترى صورة المستقبل، تخيّل صورة حذاء ضخم يسحق رأس رجل.. وإلى الأبد"، وفي ثنايا الرواية تهيمن الرؤية السوداوية، فهل الواقع القاتم في الوطن العربي بات يفرض تلك الرؤية السوداوية على الأدب؟ يجيب ذبيان "عطفاً على قراءتي للكثير من الأعمال الروائية لكتّاب عرب استخلصت أن العنوان العريض للرواية العربية المعاصرة هو خطاب الكارثة.. خطاب النهايات الكارثية؛ فالرواية العربية اليوم هي رواية أبوكاليبتية الطابع. ولا يشكل هذا الخطاب ترفاً ذهنياً يقوم على التأمل المحض، فالرواية العربية تكتبها الكارثة بكل ما للكلمة من معنى. فليست بلادنا أرض الديانات كما تقول سردياتنا المؤسّسة، إنها بالأحرى أرض اللعنات التي يشكل سفك الدماء نصّها الأوّلي. نعم، كأن ثمة تواطؤا شيطانيا مع المقدّس يمحق بهذه البلاد طولا وعرضا حتى أصبح فعل الهجّ عن هذه الجغرافيا القلقة هو أقصى ما نتمناه".

عالم المهمشين

يلتقط ذبيان في روايته تفاصيل حياة المهمّشين في الضاحية الجنوبية من بيروت.. وهنا يلفت إلى أنه لا يمكن الفصل بين الخيال الروائي والمعاينة المباشرة للواقع. فبالنهاية هي رواية وليست عملاً وثائقيا، مضيفا "جزء من قدرتي على رصد هذه التفاصيل وتشريحها يعود إلى طبيعة الوظيفة التي مارستها لفترة طويلة من حياتي. فأنا بالأصل شرطيّ يشكل الشارع بتناقضاته وأهوائه وعالمه السفلي جزءا أساسيا من تكويني. فعالم النشّال وفتاة الليل وسائق السرفيس والمخمور والمياوم المسكين والحشاش والموقوف في النظارة شكّل وعيي منذ أن كنت في الثامنة عشرة من عمري. وقد ازدادت حساسيتي توترا تجاه هذا العالم الهامشي مع قراءة نصوص رفدت تجربتي المباشرة بإطار نظري عزز وعيي الفكري بعالم المهمشين. ولربما دخولي العالم الفلسفي لفالتر بنيامين بشكل خاص ساهم في تشذيب فكرة المهمش في ذهني وإن كان الشارع يبقى النص الأوفر دلالة من باقي النصوص".

يمكن استبصار شيء من المقاومة في رواية ذبيان الأخيرة "أورويل في الضاحية الجنوبية"، وهو ما يفضي إلى سؤال عمّا يعتقده الكاتب بشأن دور الرواية الراهن، وهنا يوضح ذبيان "سؤال لماذا تكتب؟ ربما يكون من أصعب الأسئلة التي توجّه إلى كاتب. لست أدري على وجه الدقة ماذا على الرواية أن تقدّم؟ الأمور متشعبة في ذهني عندما يتعلق الأمر بهذه المسائل. ربما للرواية، كنص مكتمل، طرقها الخاصة في تقديم نفسها وهي طرق حتى الكاتب لا يعيها. لا أحب إلصاق كلمة 'إصلاحي' بأيّ فعل إبداعي، فلهذه الكلمة تاريخ طويل من 'الشرشحة' في ثقافتنا العربية ولعله من الأفضل أن ننأى بالرواية عنها. أما عن 'المقاومة'، فأنا أجد نفسي في حالة فرار من هذه الكلمة بعد أن حُشرت لبنانيا على الأقل في سياق أيديولوجي فهي ذات صبغة دينية تجافي كل ما يمتّ إلى الحياة بصلة فضلا عن تبعيتها، بتصريح مباشر من قادتها، لمشروع لا يعنيني كعربي. فالمقاومة كما ترسبت في وعيي منذ ثمانينات القرن الماضي هي ثقافة لا أستطيع تبنّيها للأسف شأني في ذلك شأن مئات الألوف من اللبنانيين".

فيما يتعلق بالحد الفاصل بين ما هو ثقافي وسياسي ينوّه ذبيان بأن "الأمر يعتمد على تعريفنا للسياسة بالدرجة الأولى. فعندما يكون الفعل السياسي هو نمط من السفالة كما في الحالة اللبنانية على سبيل المثال لا الحصر، تكون الرواية واقعة غير سياسية بالمرة. فثمة من يرى، مثل حنة أرندت، إننا كبشر كائنات سياسية شئنا ذلك أم أبينا وبالتالي كل مجهود نقوم به هو في بعض مراميه سعي من أجل التأسيس لفعل سياسي سوي".

ويستطرد "من نافل القول إن الأمر لا يتعلق بالهذر الأيديولوجي العقيم. فعندما تكون السياسة وسيلة لتعزيز الكرامة الإنسانية وإبراز الطاقات الإبداعية في المجتمعات وليست مجرد خطط في الاقتصاد، نعم، لا بأس عندئذ من اعتبار الرواية فعلا سياسيا. فالسياسة هي واقعة عمومية أو أغورية إذا أردنا أن نلجأ إلى المعجم الإغريقي العريق في هذا الشأن، والرواية أيضا. فأنا لا أكتب للأحد إنما أكتب لكل الناس وهو ما يشكّل روحية النشاط السياسي بالمثل. لذا، قد تكون الرواية اليوم، ليس في دنيا العرب فقط وإنما في العالم أجمع، هي الفعل السياسي الوحيد وقد اعترى هذا العالم ما اعتراه من جنون ولامعنى. وما ينطبق على الرواية في هذا السياق ينطبق على غيرها من الفنون. قد يكون في هذا الكلام يوتوبية ما، فأن يكون الفن سبيلا للخلاص ليس بالفكرة الحديثة، إنما لمقارعة هذه الديستوبيا التي تلفّ العالم وليس العالم العربي فقط بصرف النظر عن تمظهراتها، فليكن الفن والرواية ضمنا بمثابة الـ"fire alarm" أو الصوت الذي يصدح في هذه البرية.

الواقعية السردية

يعمد ذبيان في روايته إلى استخدام اللغة المحلية العامية في الرواية وخصوصًا في الحوار بها وهنا يشير إلى أنه حاول قدر المستطاع تجنّب اللغة المحكية أثناء عمله على "أورويل في الضاحية الجنوبية"، حيث يقول "إنما ثمة عنف يمارسه من آن إلى آن الواقع المعيش على أناس الرواية -أيّ رواية- فإذا بالكاتب يخضع في سرده لهذا العنف الذي ليس من الضروري أن يأخذ معنى سلبيا في هذا السياق. فالواقعة السردية ليست واقعة مفصولة عن المجتمع ولغته، بالتالي، إنّ تسلّل المحكية، ولا سيما في الحوارات، هو ضرورة لا بد منها. ثمة تناص بين الواقع والفن الكتابي وهذا التناص يتعزز بشدة لصالح المحكية عندما يتم التطرق للواقع بعرائه الفج. فهذا العراء أقرب ما يكون عندئذ إلى نسيج العنكبوت الذي يحتل الأفق التخييلي للكاتب. وهذا لا يعني على الإطلاق إثقال النص باللهجة المحلية وإلا تحوّل إلى عبء على القراء الذين لا ينضوون ضمن الأفق اللساني لهذه المحلية".

ويضيف "لقد احتلت العامية اللبنانية حيزا في روايتي هذه لكني اجتهدت لتكون هذه العامية مكوّنا أساسيا في البناء السّردي وليست دخيلة عليه، وآمل أن أكون قد نجحت في هذا الأمر. فليس من باب المبالغة القول إن الواقع في بعض نواحيه أقوى من أن يُصار إلى تجنب فجاجته حتى في أكثر النصوص فصاحة، بل إن محايثة هذه الفجاجة اللغوية، عندما تكون جزءا من البنية الدلالية العامة للرواية، تزيد البعد الإنساني الذي يرمي إليه هذا العمل أو ذاك".

إمكانات المجابهة

يرى ذبيان أن الرقيب الداخلي لدى الكاتب يكمن عمله في حثّه على القفز فوق ما تواضع عليه المجتمع من خطوط حمراء، موضحًا "لا أرى أن ثمة ما على الأدب ألاّ يقاربه. فالكلمة هي قدس الأقداس وهي تختزن بتاريخها اللامنضبط كل إمكانات القول والمجابهة. بالتالي، فإن العلاقة بين هذا الرقيب والكلمة إنما هي علاقة جدلية، فالرقيب الداخلي يحث الكلمات للمضي إلى أقصى قدراتها القولية وهي تحثه للمضيّ إلى أقصى فضاء من الحرية يمكن أن يصل إليه. لا أستطيع أن أسوّغ لنفسي حشر الكلمات في أفق من الكتابة يتهيب هذا المقدس أو ذاك أو يرتدع من هذه الواقعة السياسية أو تلك. فيجب، كما قال مالارميه يوما، ترك المبادرة للكلمات وإلا وقعنا في فخ ما يُطلق عليه بالعامية اللبنانية 'بيّاع الحكي'. وأشك أن يكون هناك من يرضى لنفسه هذه المهنة".

ويتابع "تخبرنا الأسطورة الإغريقية عن آرغوس الذي كانت تهابه الآلهة لأنّه يملك مئة عين، ويوم قرر زيوس قتله خبّأته أفروديت في ذنب الطاووس. للكتابة هذه القدرة العجيبة على جعلنا مثل آرغوس. كأني أثناء انكبابي على فعل الكتابة أصير أقرب إلى كائن تتحفز حواسه في كل اتجاه. لست أدري أين قرأت يوما أن الكتابة ليست تصويرا للحياة بل إدراكا لها، وهو قول صحيح. فالضاحية الجنوبية بعد كتابتي عنها لم تعد في ذهني كما كانت، لقد صارت أجمل وصرت أحبها أكثر".

يختم ذبيان حديثه بالمشاريع التي يخطط لها قائلًا "كثيرة هي المشاريع التي في رأسي، وأمامي المئات من الملاحظات والصور الفوتوغرافية والتسجيلات الصوتية وغيرها، لكن ما أحاول التركيز عليه حاليا هو رواية بعنوان 'قبيلة قاف' وتحكي عن العالم الداخلي للدروز، وهي رواية أعتقد أنها سوف تأخذ من وقتي الكثير ولا بأس في هذا الصدد من الاستعانة مجددا بعيون صديقنا آرغوس".

التفاعل شرط الريادة والتميز

محمد حياوي
كاتب من العراق

❏ الفاعل في الأدب ليس كالمتقاعس عنه والمنزوي بصومعته مكتفياً بمنجزه الغابر، فالمواكبة والتواصل وتوضيح ما يلتبس على القرّاء والوسط الثقافي وإبداء الرأي بما يستجد من ظواهر، جميعها من متطلبات الأبوية إن جاز التعبير.

والذين كانوا أدباء شبابا فيما مضى كبروا الآن وصاروا أساتذة. إنّها سنّة الحياة واستمرارية الزمن وتواصل المراحل العمرية. لكن ما الذي يتطلبه الإخلاص للأدب في معنى الأستاذية؟.

أذكر عندما كنا أدباء شبابا تقودنا شهوتنا للنشر والانتشار، كان بعض أساتذتنا من الأجيال التي سبقتنا يحنون علينا ويصوّبون لنا وينظّمون اندفاعاتنا ويشيرون بأصابعهم للتجارب المتميزة من بين تجاربنا، ولم يعاملوننا كأنداد لهم في جميع الأحوال، بل كتجارب تتطور وتكتمل لتنضمّ لرهط الإبداع الآخذ بالنمو والتطور.

أذكر بحبّ من بين هؤلاء القاص والروائي الكبير خضير عبدالأمير والكاتب الراحل عبدالستار ناصر اللذين أشرفا على مجلة الطليعة الأدبية لفترة طويلة نسبياً حتّى تحولت آنذاك إلى حاضنة دافئة لإنضاج التجارب الجديدة وتفريخها، كما أذكر من بين هؤلاء الأساتذة أيضاً الدكتور محسن الموسوي وحاتم الصكر وباسم عبدالحميد حمودي وفؤاد التكرلي والكبير جبرا إبراهيم جبرا وعبدالرحمن مجيد الربيعي وجاسم عاصي وباقر جاسم محمد والراحلين كاظم الأحمدي ومحمود جنداري.

إن تقوقع الكاتب "الكبير" في صومعته لهو نوع من التعالي أو العزلة غير المبرّرة، المتضرر منها بالدرجة الأولى هو نفسه، فمنجزه السابق، مهما بلغ، لن يكون شفيعاً له في حال انعزاله وعدم مواكبته الحياة الثقافية والسياسية والإدلاء بدلوه في ما يستجد على الساحة الثقافية من تجارب ورؤى جديدة أو مختلفة.كما أن عدم الإدلاء بدلوه لن يثني أصحاب تلك التجارب عن المضي في مشاريعهم الإبداعية قدماً.

إن الأبوية في الأدب مثلاً أو الريادة أو الألوهية، سمّها ما شئت، ما عادت تتناسب ونمط الحياة المعاصرة، ذلك لأن انتشار وسائل التواصل السريعة قضت على عذرية البريد والمجلات الأدبية وتوزيعها، وما كان صالحاً قبل عقد أو عقدين من الزمان لم يعد صالحاً في زماننا هذا، وإذا كان البعض عازفاً عن المشاركة في الحياة الأدبية والثقافية بفاعلية لأسباب تتعلق بوضعه النفسي أو زهده، فإن هذا لا يمنعه من إبداء رأيه عبر مواقع التواصل الاجتماعي بالتعليق البسيط أو العابر، من دون الاضطرار لكتابة المقالات الطويلة أو المتابعات النقدية.

لكن أن يكون المرء "إلهاً" أدبياً أو حجة أو رئيساً، من دون أن يقدّم ما يبرر هذا التوصيف، لهو أمر محيّر وغامض في الحقيقة، لا يمكن أن يكون دافعه سوى الغيرة أو حسد التلامذة أو العجز عن مواكبة الحالة الجديدة للمنجز الأدبي.

إن المسؤولية الأدبية تتطلب منا دوام المتابعة ورصد التجارب الجديدة والتنويه والاحتفاء بها إن كانت تستحق الاحتفاء، أو التصويب النقدي إن كانت تتطلب ذلك.

فلقد أنجز البعض منا في ظرف سنة واحدة الكثير على صعيد تقديم أدب الشباب ودعمه واكتشاف مواهبه، ولعلّي أشير هنا من دون تردّد إلى تجربة جائزة بغداد للرواية التي أسفرت عن ترسيخ بعض الأسماء الجديدة، ومنها الروائي الشاب علي غدير الذي توجت روايته "سفستيكا" بجائزة بغداد للرواية وتمكنت من الوصول إلى القائمة القصيرة لجائزة البوكر العربية، وغيره الكثير من الروائيين الجدد.

وفي المحصلة فإن التواصل والتفاعل مع حالة الأدب الإنسانية ككلّ ومع ما يستجد من تجارب جديدة والاحتفاء بها وتنبيه جمهور القراء لها من أولى صفات المبدع الحقيقي الواثق من فنّه ومنجزه ومكانته الحقيقة.

نحن بشر أيضا

الأخوان ملص لاجئان بولنديان في مسرح باريسي

عمار المأمون
كاتب من سوريا

اعتمد الأخوان في العرض على الإطار العام فقط لنص «المهاجران» للبولندي سلافومير مروجيك

❏ لم يتوقف الأخوان السوريان أحمد ومحمد ملص عن العمل والإنتاج الفني منذ مغادرتهما لسوريا، سواء على الصعيد السينمائي أو المسرحي، فالعديد من أفلامهما عرضت في مهرجانات عالميّة، ونالت عددا من الجوائز، حالياً عاد الأخوان للعمل المسرحي، إذ يشهد مسرح "بيكسل" شمالي باريس عرض "اللاجئان" للأخوين ملص، ضمن مقاربة تراجو-كوميدية لوضعية اللاجئين في فرنسا والمعاناة والصعوبات التي يواجهونها في مدينة الأنوار.

اعتمد الأخوان في العرض على الإطار العام فقط لنص "المهاجران" للبولندي سلافومير مروجيك عبر دلالات المكان والحدث الذي يفتتح العرض، في حين أن الموضوعات وطبيعة الأداء المرتبط بشخصية "اللاجئين" كانت من اختيارهما، وأول ما يبرز في العرض هو استخدام اللغة الفرنسية بوصفها العقبة الأولى أمام المهاجرين الجدد، وخصوصاً أن "اللاجئين" يتحدثان الفرنسية فيما بينهما، فلا لغة تواصل سوى لغة "الآخر" الغريب، ولا يجمع بينهما سوى الحنين للعائلة، والصعوبات البيروقراطية والاجتماعية، إلى جانب الحلم بأن يكونا "فرنسيين".

هذه الموضوعات على اختلافها تلامس الجانب الحياتي والمعيشي للمهاجرين واللاجئين، بوصفهم خاضعين لهيمنة النظام البيروقراطي الفرنسي، ويتشاركون عوالم الوحدة التي تعمّق مأساتهم، والوهم بأن العالم لا بدّ أن يصبح أفضل، ولا بد لهم أن يروا الشمس حسب تعبيرهما.

العرض يصور جانبين من فرنسا، الأول المرتبط بالصورة النمطية المثاليّة وسعي "المهاجرين" لتقمص هذا المتخيّل، والآخر يمثل الجانب الأقل إشراقاً، المعاملات الورقية المعقّدة وصعوبة الحياة والتعامل مع "الآخر"، فهاتان المقاربتان تنطبقان على كافة "الغرباء" باختلاف مرجعياتهم، صيغة الضحية لا يمكن الفكاك منها، مهما كان البلد أو المكان الذي أتى منه هذا الغريب، فالجميع متساوون بوصفهم ضحايا الأنظمة القمعية التي تكتم أنفاسهم، وضحايا "النظام" الجديد وتقنيات الاندماج التي يستخدمها.

ما زال الأخوان ملص منذ بداية "مسرح الغرفة" في دمشق منذ عدة سنوات يعتمدان على تقنيات الإضحاك الجسدي والمفارقات اللغوية، فالمبالغة بالأداء أحياناً تحضر بوصفها بديلاً عن العامل اللغوي، فلا مهارة جسدية في الحركات الرياضية أو الرقص، وبالتالي الإبهار أو الاستعراض للقدرة الجسدية ليس الهدف، بل نراهما يلجآن للمقاربات الكاريكاتورية وتضخيم العيوب بوصفها عيوبا، لا لانتقادها، بل لخلق روتين الإضحاك والاعتماد على مرجعية المتلقي عن الشخصية النمطية المرتبط باللاجئ من جهة، وبالمؤدي المسرحي من جهة أخرى.

العرض يقدم الحلم الرومانسي المرتبط بباريس، الموسيقى والمسرح والسينما والنزهات في الشوارع والوقوع في الحب وغيره من التخيلات المرتبطة بالمدينة، كذلك يرسم الصورة النمطية والتعميم الذي يمتلكه الكثير من اللاجئين بأن الحياة في العاصمة الفرنسية شكلها كما الأفلام السينمائيّة، وأغلب الصعوبات التي يمر بها اللاجئون هي نتيجة هذا الاختلاف بين الواقع وبين الصورة المتخيّلة، وهنا تكمن معالم الرومانسية، حيث يتنامى الوهم المثالي، ويبقى الواقع عقبة في وجه الوصول إليه، لنرى الانعكاسات النفسية المرتبطة بهذا النوع من الفصام، موجات الغضب المفاجئة، ادّعاء القوة وعدم الحاجة للآخر، ثم فجأة، الانهيار العاطفي والرغبة في الوقوع في الحب، ليُطرح التساؤل، أمن الممكن أن تكون في باريس ولا تقع في الحب؟

لا يمكن إنكار شجاعة الأخوين ملص وتقديم عرض باللغة الفرنسية لجمهور فرنسي، والقدرة على "إضحاكهم"، عبر تلمّس معالم الثقافة الفرنسية والحياة اليومية في فرنسا، كالميل للعزلة لدى الفرنسيين، والبرمجة المسبقة لحياتهم اليومية التي ينطبق عليها مثل "ميترو، عمل ثم نوم" (Métro boulot, dodo) إلى جانب الإضرابات الكثيرة التي تشهدها وسائل النقل، فالكوميديا لم تكن فقط نتيجة وضعية "اللاجئ" والمفارقة بينه وبين "الفرنسي"، بل أيضاً عبر توجيه الانتقادات للمجتمع الفرنسي بصيغة مبالغ فيها، وتعكس بعض جوانب الصحة بالصورة النمطيّة، والتي لا يمكن سوى للغريب تلمّسها، في حين أن من يمارسها لا تتضح له، بوصفها تنتمي لمنظومته القيميّة.

هل هذا ما يهم باريس حقا

الحجاب كظاهرة ثقافية في مسرحية «ما يهمنا»

❏ يشهد مسرح "الإيشانجور" في باريس عرض "ما يهمنّا" (ce qui nous regard)، من إخراج مريام مرزوقي مع فرقتها التي تحمل اسم "الليلة الأخيرة"، أما النص فهو اقتباس وتوليف لعدة نصوص لكل من فيرجيني ديسبينتيس، آلان باديو، بيير باولو باسوليني، باتريك بوشيريون وماثيو ريبول، وفيه تطرح مرزوقي عددا من التساؤلات والمواقف المرتبطة بالحجاب، وأنواع هذا السلوك كظاهرة ثقافية، إلى جانب المقاربات المختلفة له، عبر مفهومي الذكورة والنسوية، وأشكال تغطية الرأس سواء التقليديّة منها أو تلك المرتبطة بالدين الإسلامي، لتجعل "الحجاب" رمزاً ثقافياً للمقاومة النسويّة في بعض الأحيان.

تتنوع التقنيات التي نراها على الخشبة أمامنا، إذ نرى الأداء المسرحي والفيديو والصور الثابتة إلى جانب حضور الموسيقى والرقص، فالعرض يبدأ بمقارنة بين صور لجدّتي الكاتبة تعلق عليهما بصوتها، إحداهن أوكرانيّة والأخرى تونسيّة وكلاهما محجبتان، وكل منهما تنتمي لمرجعية فكرية واجتماعية مختلفة، أما علاقتهما مع "غطاء الرأس" فتختلف، الأولى نسويّة ملحدة، والثانية تراه كتقليد شعبي وثقافي قد لا ينتمي للمرجعيّة الدينية، لتبدأ بعدها التساؤلات عن الحجاب والبرقع، ومدى صحة توصيفهما كدلالة على خضوع المرأة وتبعيّتها للرجل، مشيرة إلى التوظيف الثقافي والأيديولوجي لصور الحجاب، بوصفها أحياناً مفبركة ومصنّعة فيما يتعلق بصور الجهاديين ونسائهم، ومرجعيات هذه الصور التي تستخدم للتخويف فقط.

العرض يرى في الحجاب في بعض الأحيان وسيلة ثورية بوجه تسليع جسد الأنثى، لتتضاءل مرجعيته الدينيّة، أمام تعريفه كخيار شخصي بل وأداة تعبير نسويّة في بعض الأحيان بعيدة عن السياق الديني، إذ يذكّر العرض كيف قام الفرنسيون في الجزائر بفرض نزع الحجاب على السيدات، والقيام بحملات إعلامية في سبيل التخلص منه، ثم تحوّله إلى موقف شخصي لرفض سلطة الاستعمار، بل حتى أن العرض يراه أحيانا وسيلة للوقوف بوجه تعرية جسد المرأة الممنهج، وتحويلها إلى أيقونة جنسيّة، منتقداً صور مارلين مونرو وغيرها من رموز الإثارة بوصفها أيقونات جنسيّة.

العرض يتناول عدة سياقات لقضية الحجاب، إذ نشاهد فيديو لجمال عبدالناصر يسخر فيه من المرشد الأعلى للإخوان المسلمين الذي طلب منه فرض الحجاب على نساء مصر، كذلك نرى المشاهد الصغيرة التي تدور بين أب مهاجر إلى فرنسا وابنته التي قررت وضع الحجاب، أيضاً نتابع أداء فردياً لممثلة بوصفها مناصرة للنسويّة، ينتهي بها الأمر بالكشف عن جسدها العاري، والسخرية من الأشكال السلعية لجسد المرأة التي نجدها من حولنا في الإعلانات وشاشات التلفزيون.

فالسياقات المتعددة التي يتناولها العرض واختلاف أزمنتها ومرجعياتها، تخلق التشويش حول موقف الكاتبة من "الحجاب" وتكوين العرض نفسه. إذ نراه يدعو عبر الكليشة المتداولة دوماً إلى أن الحجاب لا يعني الإرهاب، ولا يعني أن المحجبة مقموعة، ووضعها للحجاب خيار فرديّ بحت، في حين يتجاهل الكثير من القضايا الجوهريّة المرتبطة بالحجاب كظاهرة دينيّة وخطاب سلطة وعنف.

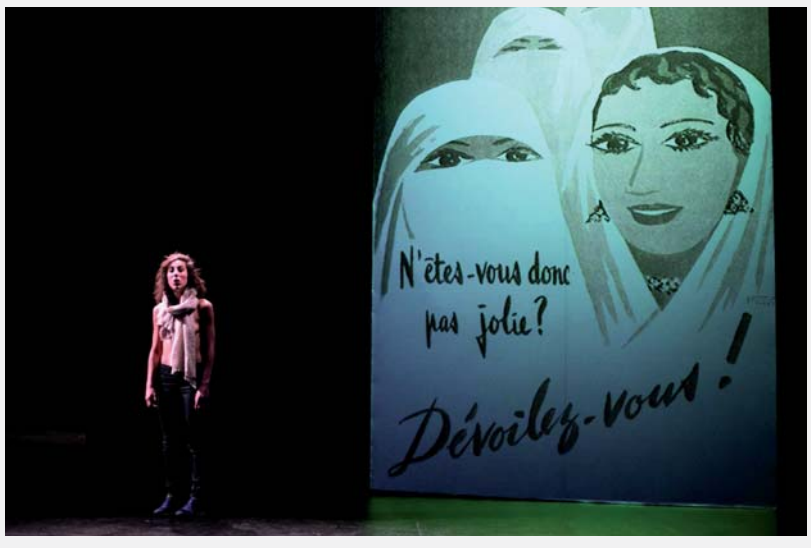

الكثير من الملاحظات يمكن توجيهها إلى مضمون العرض، وخصوصاً تعريفات الحجاب المقترحة، بالرغم من أنها تبدو مقنعة و"تحرريّة"، وتحاول إخراج المرأة المحجبة أو التي تغطّي شعرها من السياق المتداول في وسائل الإعلام، إلا أن العرض يتجاهل الصيغة الاجتماعية والدينية المرتبطة بالحجاب، فبالرغم من أنه خيار شخصي في بعض الأحيان، لكنّ التسليم به والمرجعية التي يمتلكها في بعض المجتمعات، لا يمكن إنكار أنها تضع كلا من الذكر والأنثى ضمن تعريفات تتجاوز الخيار الشخصي، فهو يجنس جسد المرأة بوصفها متاعاً للذة ولا بد من تغطيته، كما يحوّل الذكر إلى كائن شهواني فقط، وهو جوهر قضية الحجاب في المنطقة الإسلاميّة، نعم هو تقليد في بعض المناطق، لكن ارتباط هذا التقليد بالدوغما الدينيّة وتبنيه من قبلها، حتى لو لم يكن ينتمي للأصل المقدس، يجعل تبرير الخيار الشخصي واهياً أمام صيغة الدمغ التي يمارسها الخطاب المرتبط به.

نعم من الممكن أن تغطي الأوكرانية الملحدة رأسها كما في العرض، لكن المرأة في بعض المناطق العربيّة أو التي ينتشر فيها الإسلام حين تغطي شعرها، تتبنى أو يُفرض عليها خطاب متكامل يدين المرأة وينمذجها، مثل تقنية الاستهلاك المتمثلة بالعري تحوّل جسد المرأة إلى سلعة للّذة، والإخفاء أيضاً يمارس ذات الصيغة، بتحويل جسدها إلى صيغة إيكزوتيكيّة خفيّة.

* ع. م

> العرض يقدم الحلم الرومانسي المرتبط بباريس، الموسيقى والمسرح والسينما والنزهات في الشوارع والوقوع في الحب وغيره من التخيلات المرتبطة بالمدينة، كذلك يرسم الصورة النمطية والتعميم الذي يمتلكه الكثير من اللاجئين بأن الحياة في العاصمة الفرنسية شكلها كما الأفلام السينمائية

عبقري الإيقاع الشرقي يصمت

ستراك سركيسيان: النهر دائم الجريان يتوقف

شادي علاءالدين
كاتب من لبنان

❏ رحل عازف الطبلة الأبرز في لبنان والعالم العربي ستراك سركيسيان بعد نصف قرن من الإيقاع، كرسه نجما أوحد في مجاله.

نجح ستراك في أن يخلق للطبلة نجومية كانت ممتنعة قبله، فلم تكن هذه الآلة تحظى بالكثير من التقدير والاحترام، بل كانت تعاني من انتشار نظرة تبخيسية تعتبرها آلة بلا وزن ولا قيمة.

قلب ستراك معايير التعامل مع آلة الطبلة بأدائه المعجز الناتج عن التمرين اليومي الشاق، والنزعة الاختبارية والتجريبية التي حرصت على استخراج الإمكانيات الخفية الكامنة في قلب هذه الآلة وصبها في قالب خاص.

تحولت الطبلة مع ستراك إلى ضرورة لا غنى عنها للفرق الموسيقية بعد أن كان الإيقاع في التسجيلات مقتصرا على آلة الرق، وخلق حالة دفعت بكبار المطربين إلى التهافت على لبنان لتسجيل أغنياتهم بمرافقة آلته الفريدة وعزفه الاستثنائي.

دفع الناس إلى تذوق الإيقاع بطريقة جديدة، وفتح أبواب متعة إيقاعية سماعية كانت مستغلقة على الأذهان والأسماع قبله، واستطاع، وهو الداخل في عالم الفن من خارج باب التعليم الأكاديمي، أن يؤسس لمناهج أكاديمية خاصة تلاحق ما أسس له من خصوصية في استعمال الطبلة، وتنقله إلى الأجيال الجديدة.

كل الجسد يعزف

المؤلف الموسيقي والمغني زياد الأحمدية يعتبر أن ستراك كان يتميز "بأنه يعطي انطباعا بأنه يعزف بكل جسمه، وكان يقدم مشهدية مبهجة من خلال ابتسامته التي لا تفارق وجهه، والتي تضفي على الإيقاع الذي يقدمه حرارة وزخما. هذا الرجل كان يعزف برأسه وعيونه، وكان يشكل حالة فريدة في هذا المجال".

يلفت الأحمدية إلى أن ستراك كان يستعمل "طبلة خاصة وجهها مصنوع من الجلد وليس من مادة البلاستيك، وحين نسمع أيّا من التسجيلات القديمة يمكن تمييز صوت آلته لأنها تقدم صوتا فريدا".

يشير زياد إلى أن "حالة ستراك كانت حالة من تطوير الموهبة، فالرجل لم يدرس في معهد موسيقي، ولكنه طوّر موهبته وصقلها حتى صار علامة فريدة في مجال الإيقاع".

الاهتمام كان منصبا في حياة ستراك وفق الأحمدية على الاستمتاع بعزفه ولكن لم تنشأ محاولات جدية تحاول درس أسلوبه وقد يكون من المبكّر تلمّس ما أسّس له ستراك من خصوصية في مجال الإيقاع.

هناك التفاتات لستراك كما يؤكد الأحمدية من الناحية التقنية حيث يحاول البعض ملاحقة أسلوبه تقنيا للكشف عن خصائصه في ما يخص سرعة العزف. هذه المحاولات تبقى "محدودة وتأتي في إطار قد لا يكون مفيدا لأنها تهمل النظر إلى روح عزف ستراك، وربما سينتج عنها تدوين أكاديمي بارد يفصل بين التقنية وتلك الروح التي كان ستراك يمنحها لأيّ مقطوعة يؤديها".

«فكروني» بطبلة ستراك

يعتبر فريد بوسعيد أستاذ الطبلة في المعهد العالي للموسيقى أن ستراك "أسس حالة لا تتكرر وكل الأجيال التي عاصرته والتي ستأتي بعده تتمنى أن تكون على مثاله، فقد استطاع أن ينتج حالة استثنائية، ولكن أهميته لا تقف عند هذه الحدود فما لا يعرفه الكثيرون أن ستراك قدم عدة ألحان مميزة".

يضيف بوسعيد "منح ستراك الطبلة هوية شخصية وخاصة. المثال الأبرز على ذلك أن السيدة أم كلثوم كانت تستخدم الرق في أغانيها. كانت أحيانا تستخدم البنقز مع الرق، ولكن حين وصل إلى أسماع السيدة أم كلثوم ذلك الصيت الكبير الذي رافق اسم ستراك، واطّلعت على عزفه، استدعته وطلبت منه المشاركة في تسجيل أغنية فكّروني. صوت الإيقاع الواضح في لحن هذه الأغنية هو صوت طبلة ستراك المميزة".

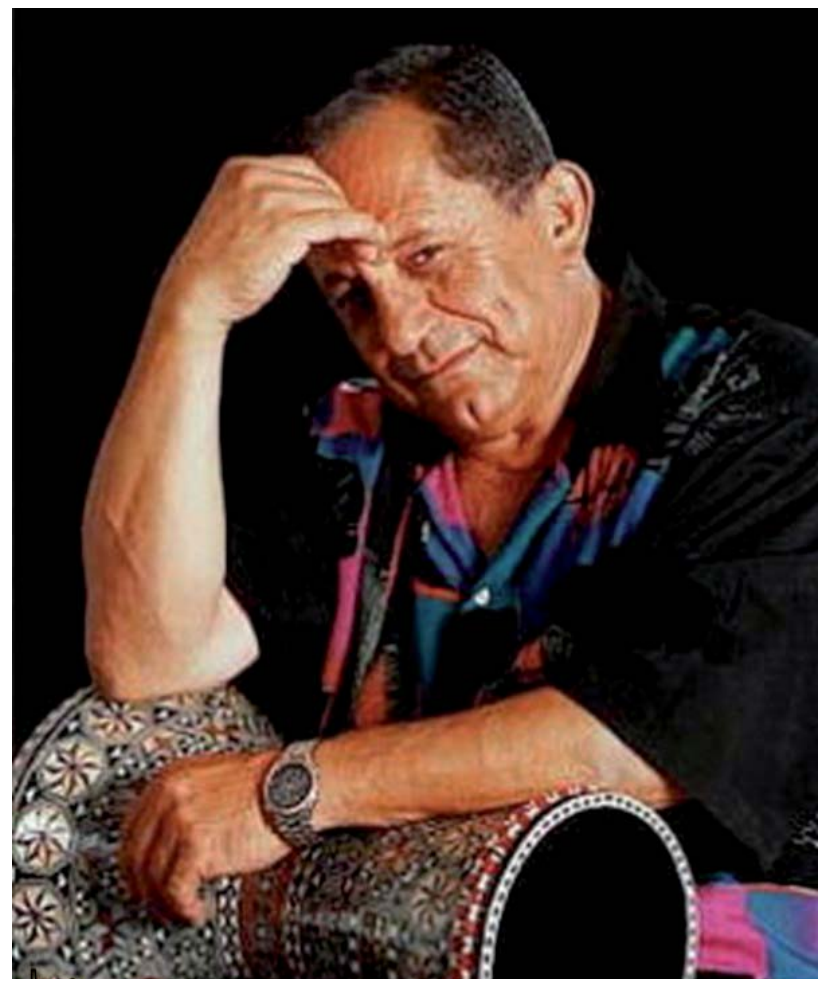

كبار المطربين العرب يتهافتون على بيروت لتسجيل الألحان مع آلته الإيقاعية

لم يكن ستراك أكاديميا ولكنه خلق كما يشير بوسعيد شبكة تأثير طالت الأكاديميين وغير الأكاديميين، والجدير بالذكر في هذا الصدد أن منهج الطبلة في الكونسرفاتوار اللبناني هو من وضع إيلي الفقيه الذي كان أحد تلاميذ ستراك وقد رافقه فترة طويلة وكان يعقد عليه آمالا كبيرة.

يلفت فريد بوسعيد إلى "سيادة عقلية عامة تنظر إلى آلة الإيقاع نظرة تبخيسية مقارنة بنظرة التقدير التي تحظى بها الآلات الوترية". ويعيد الأسباب إلى "وجود منظومة قيمية تعتبر الطبلة آلة رحلات وتجمعات ميدانية وتهييج جماهيري، وهذه النظرة خاطئة تماما فلا يمكن لأيّ أوركسترا أن تسير بدون إيقاع".

يؤكد أن "الإيقاع ينتشر في كل شيء ففي مشية الإنسان هناك إيقاع، ومن هنا فإن ضابط الإيقاع هو من يضبط أداء الفرقة الموسيقية وفي حال اختل أداؤه فإن أثر الخلل يطال كل أداء الفرقة".

يعبر بوسعيد عن أسفه لوجود منطق "يعتبر الطبلة آلة رخيصة" إذا صح التعبير. ويؤكد أن هذا المنطق ينم عن "جهل لأن كل آلة لها دورها وحضورها، ولولا ذلك ما كانت وجدت واستمرت".

خصوصية ستراك كما يشير بوسعيد تكمن في أنه "جعل العزف على الطبلة أسلوب حياة، فقد كان يتمرّن لساعات طويلة كل يوم. أخبرني ذات مرة أنه كان ينسى نفسه خلال التمرين لدرجة أن أصابعه تنزف دون أن يشعر بذلك، وهذا ما جعل صوت طبلته متفجّرا ولا مثيل له وكأنّه رصاص".

يختم بوسعيد حديثه قائلا "شخصية ستراك كانت قيادية وقد تناغمت شخصيته مع الصبر والتمرين الطويل، وأنتجت هذه الظاهرة الفنية الخاصة التي جعلت منه نجما أوحد في العزف على آلة الطبلة".

مفهوم جديد

يضيء أمين سر نقابة الموسيقيين المحترفين نقولا نخلة على محطات من سيرة وعمل ستراك وعلاقته معه. يقول في هذا الصدد "من حسن حظي أني دخلت في فرقة المطربة الكبيرة سميرة توفيق، وتعرفت على ستراك، وكان ذلك في العام 1988 وتوطدت العلاقة منذ ذلك الحين وبقينا سويا إلى أن وافته المنيّة".

يضيف نخلة "ستراك كان علامة فارقة في تاريخ الفن اللبناني فقد نجح في نقل الطبلة إلى مستوى جديد يختلف تماما عمّا كان سائدا في الزمن القديم، فقد أعطى للطبلة دورا فعالا وخاصا بعد أن كانت مهملة. منح الطبلة حركة ومعنى وجعلها قادرة على أن توصل رسالة".

يشير نخلة إلى أن ستراك "فجّر ثورة في عالم الإيقاع تجلى أثرها في الأغنية اللبنانية التي منحها طابعا خاصا نطلق عليه نحن الموسيقيين اسم 'الهنك اللبناني'. حضور ستراك دفع بكبار المطربين من أمثال محمد عبدالوهاب، وفريد الأطرش إلى القدوم إلى لبنان وتسجيل أغنياتهم في أستوديو بعلبك مع طبلة ستراك".

ميزة ستراك حسب نخلة أنه كان قادرا على تحويل كل ما يتأثر به إلى إيقاع، وقد رافقته هذه الميزة منذ انطلاقته الأولى واستمرت معه حتى لحظاته الأخيرة فقد كان "شخصا مرهفا حساسا يبكيه مشهد في فيلم أو في مسلسل وكان قادرا على التعبير عن شحنة الإحساس هذه عبر ترجمتها على آلته. من هنا حين أقول إن ستراك جعل الطبلة تنطق فإن ذلك ليس مبالغة على الإطلاق".

خاض ستراك تجربة التلحين للفنانة سميرة توفيق في الفترة الأخيرة ولكن هذه التجربة لم تكن هي التجربة الأوسع في تاريخه الفني، فستراك لديه أكثر من 45 تسجيلا بين أسطوانات وسي دي وهي تتضمن مؤلفاته الموسيقية.

لم يكتب ستراك منهجا أكاديميا لتعليم الطبلة وهو لم يتعلم العزف بشكل أكاديمي ومنهجي، ولكن المفارقة اللافتة التي يشير إليها نخلة "تكمن في أن من أخذوا عنه استفادوا من الحالة التي أسّسها لبلورة منهج أكاديمي لتعليم العزف على آلة الطبلة، يمكن اعتباره منهجا غير تقليدي، لأنه يضم خلاصة تجارب ستراك الذي لم يتوقف عند حدود أسلوبية محددة بل كان دائم الاختبار والتجريب".

يلفت نقولا إلى أن صعود نجومية ستراك "كان في السبعينات من القرن العشرين وهي الفترة التي يطلق عليها تسمية الزمن الجميل، لأنها شهدت وجود عدد كبير من كبار الفنانين من موسيقيين ومطربين".

ويؤكد أن نجاح ستراك في تلك الفترة وبروزه كنجم أوحد في مجاله "يدل على أنه استطاع أن يخلق حالة فريدة، وأن يفرض نفسه بقوة في زمن الكبار".

يشدد نخلة على أن الأجيال القادمة ستعرف أن ستراك "غير مفهوم النظر إلى آلة الطبلة، وشكل مفصلا في التعامل معها. سابقا لم تكن الطبلة تستعمل في التخت الشرقي بل الرق والآلات الفردية من قبيل القانون والعود والناي. لم يكن ما نشهده اليوم من توسع في استخدام الآلات وإدخال الإيقاع سائدا. يشهد لستراك أنه ساهم في إحداث هذا التغيير، وإدخال الطبلة في قلب التخت الشرقي وجعلها جزءا أساسيا منه".

يطلب نخلة في ختام حديثه الرحمة لروح ستراك مجددا التأكيد على أنه ظاهرة فريدة.

ستراك كان زمانا من البهجة الخاصة، وجزءا أساسيا من ذاكرتنا السمعية التي تتعرض لأشرس محاولات الإلغاء. إنه مفهوم الحميم والخاص المشترك والذي لم يعد البلد قادرا على تكوين علاقة صحية وطبيعية معه.

> تحولت الطبلة مع ستراك إلى ضرورة لا غنى عنها للفرق الموسيقية بعد أن كان الإيقاع في التسجيلات مقتصرا على آلة الرق

لغز المؤلفة الغامضة

هاني حجاج
كاتب من مصر

❏ الذين قرأوا لأطفالهم الترجمة العربية لسلسلة روايات هاري بوتر الصادرة عن دار نهضة مصر وضعوا الكثير من خيالهم لنقل المشاهد التي يفترض بها أن تكون ساحرة لأولادهم وبناتهم، والشباب الصغير لم يكن مغرما بها إلى هذا الحد، والذي لا يجيد الإنكليزية منهم ظن أن قسم الترجمة بالدار المذكورة قد أقدم على عملية استسهال كبيرة! وفي هذا ظلم كبير في الواقع.

صحيح أن الترجمة ليست رائعة الجمال ولم تنقل الجو الفانتازي الخاص بالمجموعة ولا روح الدعابة الأجنبي المميّز، لكنّها كانت أمينة ودقيقة. وفي ظروف ما شاءت التساهيل أن أقرأ المجموعة الكاملة باللّغتين العربية والإنكليزية ولم أحبّ أيّ رواية منها، بل شاهدت كافة الأفلام الخاصة بها وكالعادة كانت هناك قدرات بصرية وسمعية وعبقرية جرافيكية خطيرة، لكنّي لم أحبّها أبدا، وهي لا تعتمد على حبكة قوية بقدر ما تعتمد على سهولة الترتيب الفانتازي لمواقف كوميكس سهلة.

طبعا إذا كانت في يدك عصا سحرية والأمور كلها تبدأ في مدرسة للسحر يسهل أن يحدث أيّ شيء ويتطور أيّ موقف ويتم حلّ أيّ معضلة بمنتهى البساطة! طبعا فكّرت أنني رجل بالغ ولعل وجداني شاخ على ما يحبه الأطفال، ولكن كلنا نحب قراءة مجلة ميكي ونتابع بشغف كارتون ديزني توم وجيري مهما تقدم بنا العمر، وللتأكد حاولت استطلاع رأي بعض الأطفال والناشئة فعرفت أن المراهقين فقط تقريبا هم من يندفع للعرض الأول لهاري بوتر وشراء كتبه بدافع هرموني لا أكثر، ثم لا يبقى أيّ أثر لما قرأوه أو شاهدوه في النفس.

فلماذا هذا النجاح الساحق لجي كي رولينج مؤلفة السلسلة؟ الأفضل مبيعا وشراء حق التحويل لأفلام وعشرات الطبعات وملايين النسخ وحقوق الترجمة والأداء العلني. هذا لغز من ألغاز الكون في رأيي! أرزاق! ولكن بالفعل ثمة غموض يحيط بالمسألة. لقد بلغت ثروة رولينج من نجاح هاري بوتر وبيع 450 مليون نسخة وحقوق الترجمة لـ 74 لغة ما يزيد عن السبعمئة مليون جنيه إسترليني (وهو رقم أتمنى ألا أن يعرفه الكاتب الكبير محمود سالم مؤلف ألغاز المغامرون الخمسة والحمد لله أن كاتب الأطفال كامل الكيلاني قد توفاه الله وإلا أصابه الفالج!) ونحن لا نحسد المؤلفة رغم أن ما كتبته لا يستحق، لكننا نتساءل من هي؟ أول من شكّك في حقيقتها كانت مخرجة من النرويج اسمها "نينا جرونفيلد" في مقالة كتبتها لجريدة "أفتنبوستن"، ذلك أن الشهرة المفاجأة والثروة الغريبة أجمل من أن تكون حقيقة وتساءلت، هل يمكن أن تكون رولينج شخصية وهمية؟ وأجابت بل هم مجموعة من الكتّاب المستأجرين بالرغم من أن حقوق التأليف محفوظة لرولينج!

هذه الشكوك تثيرها من جديد رواية رولينج الأخيرة "ذا كاجوال فاكانسي" وترجم العنوان إلى "مقعد شاغر" و"عطلة عادية"، لكن الرواية التي انتظرها الجميع، لأنها أول أعمالها للكبار، أصابت الكل بخيبة أمل فادحة، فهي عبارة عن لغز بوليسي على طراز أجاثا كريستي، تدور أحداثه في الريف الإنجليزي (قرية خيالية) حيث يقتل المستشار البريطاني وتحوم الشبهات حول الكل، وبالرغم من أن هذا الجو يستطيع الكاتب الموهوب أن يخلق منه عالما مثيرا، لكن العمل كان مملا لدرجة أن القارئ سيحاول الانتحار في ربع الكتاب الأول! والأهم هو أنه سيعرف أن تشكيك عدة كاتبات لهن أسماء لها وزنها في حقيقة رولينج وفي حجم موهبتها الحقيقي ليس مجرد عاصفة من الغيرة ولا هو كيد نسوي ما ولا معركة "حريمي" تتقاذف الوسائد في معارك لفظية فارغة!

هل غشنا صبري موسى

وليد علاء الدين
شاعر من مصر مقيم في الإمارات

❏ ظلت فكرتي الشخصية عن الأديب المصري صبري موسى -إلى جانب صورته التي صنعها الإعلام- مبنية على روايته "فساد الأمكنة"، وإعداده الشيق لسيناريو فيلم "البوسطجي" عن رواية الأديب المصري يحيى حقي.

اليوم، أضيفت إلى صورتي عنه انطباعات من قراءة متأنية لمجموعاته القصصية الثلاث "وجهًا لظهر" 1966، و"مشروع قتل جارة" 1975، و"السيدة التي.. والرجل الذي لم!" 1999. التي يضمها المجلد الثالث من أعماله الكاملة الصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب 2014.

تغيرت فكرتي. لا أتحدث عن قيمة منتج صبري موسى الأدبي إنما عن صورتي الخاصة عن ذلك المنتج. ولا أتحدث عن صبري موسى إنما أتحدث عن صورته التي خلقها الإعلام. نحتاج إلى بذل جهد من أجل صياغة صورنا الخاصة عن البشر والكتابة والأشياء، أو لمواجهة الاستغراق في صور الآخرين عنهم.

بدت معظم القصص في المجموعات الثلاث مشاريع سيناريوهات مبدئية، انطلاقًا من أن منتج موسى صبري في مجال السيناريو يفوق عددًا منتجه في الرواية أو القصة القصيرة. هذه القصص تصلح أيضًا لوصفها بأنها مشاريع قصص قصيرة في انتظار كتابة.

لا بأس في أن تكون هذه ملامح مدرسة موسى صبري في القصة القصيرة. وليس ذنبه أنها تختلف كثيرًا عن نموذج روايته "فساد الأمكنة" الذي بنيت عليه تصوري، من ناحية رعاية الكتابة كناقل للفكرة وخالق للعالم.

موسى في معظم نصوص مجموعاته الثلاث (خاصة المتأخرة منها) مشغول بشكل شديد المباشرة بمحاولة الإمساك بأبعاد الفكرة البسيطة التي قرر أن يكتبها، وغير معنيّ كثيرًا بصياغتها ونحت عالمها، كأنما ترك هذه المهمة لصانع الفيلم أو التمثيلية الذي كُتبت من أجله الفكرة.

لم أجرؤ على وصف ذلك بالاستسهال، فالكثير من القصص لا تخلو من المتعة والدهشة، لذلك فضلت أن أصفها بأنها طريقة في الكتابة.

إلا أن ما صادفني في المجلد المذكور أعاد إليّ الجرأة في طرح احتمال الاستسهال الذي اقترحته عليّ بعض القصص. وسوف أطرحه كاحتمال إلى أن تتم مناقشة الفكرة.

لن أقف أمام معظم الأخطاء الطباعية والإملائية وأخطاء عدم المراجعة التي زخر بها المجلد، فقناعتي أن هذه النوعية من الأخطاء مسؤولية الناشر ولا ذنب يُذكر للكاتب فيها.

وكان لتكرار نشر ست قصص كاملة بين المجموعات الثلاث أن يدخل تحت هذا التصنيف، أو هو بالفعل ما خطر إلى ذهني في أوّل الأمر عندما انتبهت خلال القراءة إلى أنني قرأت هذا الكلام قبل قليل!

ورغم اختلاف عنواني النص المنشور مرتين (بعنوان سبتمبر في مجموعة وجهًا لظهر ص21، ثم بعنوان الذكريات في مجموعة مشروع قتل جارة ص157)، رغم ذلك؛ فقد عزوت الأمر إلى الأخطاء الفادحة التي لم يعد يدهشنا تكرارها في دور النشر المصرية الرسمية.

إلا أن تكرار نشر القصص بين المجموعات الثلاث مع تغيير العناوين نبهني إلى أنه فعل مقصود، ولا مصلحة لأحد في القيام به سوى الكاتب نفسه "القصص الأربع المعنونة: سبتمبر، وديسمبر، وأبريل، والطوق. من مجموعة وجهًا لظهر، أعيد نشرها بعناوين: الذكريات، وهابي كريسماس، ويحكى أن رجلًا، ورجب ووالده، في مجموعة مشروع قتل جارة. والقصتان: ذهاب وإياب، ومن حفر لزوجته، هي من مجموعة مشروع قتل جارة، أعيد نشرهما بعنواني: الأب والابن والحمار، ولا غبار، في مجموعة السيدة التي والرجل الذي لم".

لا أستخدم تلك الملاحظة للحكم على قيمة منتج صبري موسى القصصي، فكثير من قصص المجموعات الثلاث بارع ومميز، إنما أورد الأمر للنقاش. هل هو تلاعب غير جائز، غشّ، باعتبار الكتابة منتجًا تعاقديا بين القارئ والكاتب؟ هل هو حق الكاتب في إعادة تقديم منتجه نفسه تحت عنوان آخر لأسباب تخصه؟ هل يكون الأمر ألطف مثلًا لو أشار الكاتب إلى ذلك بوضوح؟ إنه مجرد سؤال للمناقشة.

الحزن والغضب والحب المفقود في فيلم أميركي

«مانشستر من البحر» دراما سينمائية تطرح معاناة الفرد والعائلة

في الفيلم الأميركي المتميز "مانشستر من البحر"، وهو ثالث الأفلام الروائية الطويلة للمخرج كنيث لونيرجان، هناك بحر، وليست هناك مانشستر، فاسم الفيلم هو اسم بلدة قريبة من بوسطن بولاية ماساشوسيتس الأميركية، تطل على البحر وبها شاطئ.

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

❑ لا يشعر الشاب لي تشاندلر (الذي يقوم بدوره كايسي أفليك) بطل الفيلم الأميركي "مانشستر من البحر" للمخرج كنيث لونيرجان، بالسعادة إلا وهو يشارك شقيقه جو وابن شقيقه المراهق باتريك، النزهة والعبث والمرح في البحر على القارب الذي يملكه جو، والذي أطلق عليه اسم والدته الراحلة.

والبحر هنا معادل للتحرر، للانطلاق بعيدا عن القيود والتعقيدات التي نجمت، سواء عن إهمال أو بتدبير القدر، الذي يلعب دورا بارزا في الفيلم.

كان من الممكن أن يسقط المخرج ببساطة في شباك الميلودراما بفعل السيناريو، لكنه ينجح ببراعة يحسد عليها، في الإفلات من فخ الميلودراما رغم الإغراء الكامن في السيناريو الذي كتبه المخرج نفسه، خاصة وأن موضوعه يدور حول ثنائيات مثل الموت والحياة، اللقاءات والافتراقات، الصراع بين الأجيال، العلاقة بين الكبار والصغار، الأقارب والغرباء، الحب الذي ينتهي بمأساة، وينتهي معه الشعور بالحياة الهانئة، والغضب الذي يؤدي إلى العنف وتدمير الذات.

> البحر في الفيلم معادل للتحرر، للانطلاق بعيدا عن القيود والتعقيدات التي نجمت، سواء عن إهمال أو بتدبير من القدر

ومع ذلك، يصنع لونيرجان من هذه المفردات التي تدور حول خمس شخصيات رئيسية مكتوبة ببراعة، مع اختلاف مساحاتها في السيناريو، فيلما واقعيا شديد الصدق، يترك تأثيره عليك دون أن يبتز مشاعرك، وينتهي نهاية مفتوحة على كل الاحتمالات، فالحياة تستمر رغم كل المعوقات، و"الأشياء تتغير" حسب التعبير البديع الذي نحته ديفيد ماميت في فيلم بالعنوان نفسه.

بطلنا الرئيسي هو لي الذي يؤدي أعمالا متفرقة، من طلاء المنازل إلى تسليك البالوعات وإصلاح المراحيض، وهو يعمل في مدينة بوسطن، لكن غضبه واضح وجلي منذ بداية الفيلم، فهو عاجز عن التكيّف مع المحيط الاجتماعي، مما يؤدي إلى وقوع مشكلات مع زبائنه الذين يتردد عليهم.

لي نموذج للشخص المنعزل، العدواني الذي يفتعل شجارا في حانة دون سبب واضح، ويرفض كل محاولة للتقرب منه من قبل "الجنس الآخر" رغم شبابه ووحدته، لكن براعة السيناريو أنه يكشف تدريجيا أسباب هذا الحزن والغضب والصمت، من خلال الانتقال المستمر بين الحاضر والماضي، سواء في لقطات سريعة خاطفة، أو عبر مشاهد كاملة، وتظهيرها في الفيلم في الوقت المناسب مع تطور الأحداث وتعقد الحبكة ودخول شخصيات أخرى إلى الحدث.

تنقلب حياة لي رأسا على عقب بعد وفاة شقيقه جو جراء نوبة قلبية، فيعود إلى بلدته الأصلية مانشستر التي غادرها منذ سنوات وآثر حياة العزلة، لأسباب سيكشف عنها الفيلم في نصفه الثاني.

يجد لي نفسه مسؤولا عن رعاية باتريك ابن شقيقه المتوفي بناء على وصية جو، ويركزّ الفيلم منذ تلك اللحظة على العلاقة المشدودة التي تنشأ بين شخصين شديدي الاختلاف يجمع بينهما رغم ذلك، الحزن. فالصبي باتريك لا يمكنه التأقلم بعد مع ذلك الغياب المفاجئ لوالده، وكان قد فقد منذ فترة والدته التي انفصلت عن والده بعد إصابته بالمرض لتغرق نفسها في الكحول، ثم تقلع وتتزوج رجلا كاثوليكيا يقنعها بأن تصبح مثله "مسيحية جيدة".

أما لي، فهو حزين على مأساته الشخصية التي أدت إلى فقدانه ولديه، ثم انفصال زوجته الحسناء راندي عنه بعد وقوع المأساة التي اعتبر هو السبب فيها، ثم تزوجت راندي من رجل آخر، لكنها ستعود بعد أن تنجب طفلا من زوجها الجديد، لتعترف لزوجها السابق لي بأنها غير سعيدة وأنها مازالت تحبه.

الماضي جزء من الحاضر

تجمع جنازة الشقيق المتوفي بين الشخصيات جميعا، لتفترق من جديد، ليظل باتريك عاجزا عن التأقلم مع الفقدان، فيهرب ليتخذ لنفسه أكثر من صديقة ويحاول الغرق في الجنس، رغم فشله المتكرر في مشاهد مضحكة تخفف من وطأة الكآبة التي تحلق فوق الشخصيات، ويحاول أيضا دفع لي إلى أن يحذو حذوه، لكن لي يظل حتى النهاية منكفئا على حزنه الخاص.

تتداعى مشاهد "الفلاش باك" في الفيلم من ذهن شخصية لي الذي يستدعيها بكل ما فيها من سعادة وشقاء في مقاطع متفرقة عبر الفيلم، بحيث تكشف من خلال الانتقالات المحسوبة جيدا، عن ماضي الشخصية وعلاقاتها بالبلدة والبشر والعائلة، وإذا كان المخرج-المؤلف قد نهج نهجا مختلفا، كأن يروي مثلا الأحداث كلها في اتجاه واحد من خلال السرد التقليدي، فإن الفيلم ربما فقد الكثير من جماله وتأثيره، وإن كان يتعين القول إن هذه "الوصفة" لا تصلح دائما لكل المواضيع.

يتميز الفيلم بتصويره الذي يتماثل كثيرا مع موضوعه؛ فالمخرج لا يستغرق كثيرا في القتامة الداخلية، بل كثيرا ما يخرج بالكاميرا إلى البحر، حيث تحلق السحب الداكنة لتلقي بهمومها فوق الصور في لقطات الميناء بوجه خاص، أو يتوقف بالكاميرا أمام الطبيعة الصامتة، أو يذهب للكشف عن جانب آخر من شخصية باتريك وهو يتدرب على لعبة هوكي (التزلج على الجليد)، ويختلق المشكلات مع أقرانه، وإلى المقابر حيث يوجد جثمان جو بجوار الجد والجدة، ولا تنقطع اللقطات الليلية البديعة بجوار الماء، لسيارة لي التي تذهب وتعود لأخذ باتريك.

أداء تمثيلي من الطراز الأول

ويتغير مزاج الفيلم أحيانا ويكاد يخرج عن أسلوبه ويجنح إلى الكاريكاتورية، عندما نرى لي يجلس أمام والدة ساندي صديقة باتريك، وهي تحاول إغراءه والتودد إليه بينما هو صامت لا يستجيب، في انتظار أن ينتهي باتريك من مضاجعة ساندي في غرفة علوية!

دراما عائلية

الفيلم يقدم دراما عائلية عن الحب والفقدان والرغبة في التمسك الفطري بالحياة في مواجهة الموت، وكما ينجح، بواقعيته وبساطته، في التعامل مع الشخصيات في مرحها وشقائها، في التسلل إلى مشاعرنا، فإنه في الوقت ذاته يقدم أداء تمثيليا من الطراز الأول.

إن أداء كايسي أفليك في دور لي هو أفضل أداء له حتى الآن، إنه يمثل بنظراته وإيماءات خفية من عينيه وخلجات وجهه، دون حاجة للحوار، ودون أن يحرك يديه في توتر وعصبية، بل ينتقل في التعبير من الغضب إلى الحزن، ومن الصدمة إلى الرفض إلى القبول بالأمر الواقع، من خلال الأداء "الخافت" الذي يخفي أكثر مما يكشف. إنه الأداء الداخلي الذي يعكس المشاعر أكثر مما يكشف النوايا، فنحن لا نعرف كيف سيتصرف لي في الموقف الذي يواجهه، وعلاقته بالصبي باتريك منسوجة جيدا في السيناريو، كما تلعب الكيمياء بينه وبين الممثل لوكاس هيدجز، دورا أساسيا في تكثيف تلك المشاهد البديعة التي تجمع بينهما.

وجدير بالذكر أن الممثل الصغير هيدجز يتمتع بخبرة تمثيلية كبيرة، فهو رغم صغر سنه (20 سنة)، فإنه ظل يقوم بالتمثيل منذ 2007 في 12 فيلما إلى جانب مسلسل تلفزيوني، أي أنه يتمتع بخبرة لا بأس بها، وقد سبق أن عمل مع مخرجين مرموقين مثل ويس أندرسون في فيلم "فندق بودابست الكبير"، وتيري غيليام في "المعادل صفر"، وجيسون ريتمان في "عيد العمال".

لسنا بالطبع هنا أمام "تحفة" سينمائية رفيعة، فالفيلم يعاني من بعض الاستطرادات والتكرار مما أدى إلى بلوغه ساعتين و17 دقيقة، وكان يمكن أن ينضبط أكثر لو بقي في حدود الساعتين أو أقل قليلا، لكنه يبقى رغم ذلك، عملا جيدا نجح في استعادة روح أفلام أميركية حول مشكلات الفرد والعائلة، سبق أن قدمتها السينما الأميركية في الماضي.

«مزوارة» فيلم مغربي يواجه الاغتصاب بالرمز

قصة مستوحاة من قصيدة زجلية لأبوبكر الفرجي

في العرض ما قبل الأول للفيلم المغربي "مزوارة" الذي أخرجه يوسف الخروفي وكتب السيناريو له الصحافي محمد بلغازي عن قصة مستوحاة من قصيدة زجلية باللسان المغربي الدارج للشاعر المغربي أبوبكر الفرجي، والتي تحكي لحظة اغتصاب ظالم لطفلة في عمر الزهور، وتحويل الفيلم السينمائي إلى ترس واق يحاصر الظاهرة العدوانية في المغرب بشكل خاص، وفي العالم عامة، مساندا الدولة والمجتمع المدني على مواجهة ذئاب الجنس الشاذين.

يوسف حمادي
كاتب من المغرب

❑ يطرح الفيلم المغربي الجديد "مزوارة" لمخرجه يوسف الخروفي قضية الاغتصاب التي يذهب ضحيتها أطفال صغار أبرياء لا ذنب لهم، كانوا ضحايا لحظة غدر إجرامي ساقتهم إليها الثقة في شخص "ذئب بشري" ميال إلى العنف العدواني، جسده بكل إتقان الممثل الشاب عمر زاهد.

واستطاع الشاعر الزجال أبوبكر الفرجي أن يرسم لوحة قاتمة ودامية، بقصيدته الحزينة "مزوارة"، الأمر الذي منح هامشا فسيحا للكاتب الصحفي محمد بلغازي لرسم الصورة في شكل سيناريو مكتوب باتزان، لينسجما معا في عمل إبداعي أبرزا من خلاله وبشكل رمزي الأثر السلبي للاغتصاب في المجتمع المغربي وغيره من المجتمعات، وأن الضحية، وإن نال مغتصبها جزاءه أمام العدالة، فإنها تعيش مدى الحياة بجرح غائر في الذاكرة والوجدان لا يبرأ.

"إن الاغتصاب لحظة ظلم وإهانة قاتلة"، يصرّح كاتب السيناريو محمد بلغازي لـ"العرب"، ويضيف "من الصعب جدا تحديد أقسى أنواع الاغتصاب داخل منظومة التفاعل المجتمعي للظاهرة التي تتخذ عدة أشكال ومضامين في مسارات المجتمعات، ليبقى الاغتصاب الجسدي هو الطاغي والطافي على سطح المجتمعات، خاصة وأنه مرتبط بغريزة الفعل الجنسي إجهازا على الجسد تحرضه نزعة عدوانية تسكن عمق المُغتصب".

ومع ذلك، تعاملت عدسة الكاميرا السينمائية التي صورت فيلم "مزوارة" مع الظاهرة بحسّ فني أكثر مما هو تسجيلي تصويري محض، وشحنت لحظات التصوير ولقطاته بإيحاء ورمزية استطاع عبرها مخرج الفيلم يوسف الخروفي أن يلامس بحسه الفني جمالية التأثير على المشهد احتراما ورفقا بالمشاهدين، بدل تصوير الفعل المادي في مشهده الحي الموغل في الحزن والصراع، موظفا أدوات فنية جمالية، أبرزها اعتماده خيال الظل الذي أعطى لمشهد الاغتصاب بعدا رمزيا لم يخلّف تأثيرا كبيرا على المشاهدين.

مخرج الفيلم يوسف الخروفي يرى أن فلمه "مزوارة" مرّ من مزوارة الواقع إلى مزوارة السرد، ومن مزوارة القصيدة الزجلية إلى مزوارة الصورة، وبعدها إلى مرحلة الكتابة السينوغرافية ثم الإنتاج الفيلمي، وأنه كما يقول "كان فيلما سافر بنا عبر مراحل التعب والإجهاد والرغبة في ترجمة الكلمة إلى صورة، فالكلمة المنطوقة لها حمولة تشكيلية تجسد صورة ما، وهي نفسها الصورة التي طاردتها عدسة الكاميرا".

ويشرح المخرج السينمائي المغربي لـ"العرب" دلالة الكلمة التي عنونت الفيلم "إن كلمة مزوارة، كاسم يطلق على بعض السيدات في البوادي المغربية، هو لقب بعمق عقيدي ضارب في الثقافة الشعبية المغربية، خصوصا منها تلك المرتبطة بثقافة الفرح والاستقرار، وتحديدا الزفاف، فهي تسمية تواجه الشر وتجلب الحظ السعيد".

وهو نفس التحليل الذي أكده لـ"العرب" الشاعر الزجال أبوبكر الفرجي، كاتب القصيدة التي استوحى منها السيناريست المادة التصويرية للفيلم، فمزوارة في نظر الشاعر هي "تلك المرأة الناجحة في حياتها الزوجية التي لم تختلف قط مع زوجها، والتي مكثت في بيت الزوجية وولدت ونجحت في تربية أبنائها، بل أكثر من ذلك لم تختلف مع زوجها ولم تطلق".

ويخلص الزجال فرجي في تصريحه للعرب إلى أن "مزوارة هي تلك السيدة الناجحة في حياتها الزوجية، حتى أنّها تدعى، محترمة مكرّمة، إلى مناسبات الأعراس لتضع الحنّاء في كف العروس تبرّكا، اعتقادا أن ذلك سيطيل زواجها ويجنبها الفشل والطلاق عدوّ المرأة في البادية التي لا شغل لها سوى بيت الزوجية".

الشاعر الفرجي في لحظة تعبيرية للفيلم

عدسة الكاميرا السينمائية التي صورت فيلم «مزوارة» تعاملت مع الظاهرة بحس فني أكثر مما هو تسجيلي تصويري محض

أهرامات الحضارة الكوشية كنز سياحي منسي

السودان يلاحق آثاره المنهوبة في متاحف العالم

أكبر موقع للأهرامات في العالم

قد يظن البعض أن مصر هي البلد الوحيد الذي يحتوي على أهرامات ورغم ضخامة وروعة تصميم هذه الآثار، إلا أن الحقيقة التاريخية تؤكد أن هناك أهرامات كثيرة في عدة دول، ولكن بطرازات مختلفة.

❑ **الخرطوم** – قال محمد أبوزيد مصطفى، وزير السياحة والآثار والحياة البرية في السودان، إن الحكومة ستلاحق الآثار السودانية المنهوبة والمسروقة في متاحف العالم، وستعمل على استردادها عبر الوسائل الدبلوماسية والقانونية، مؤكدا أن بلاده تملك أكبر موقع للآثار في العالم.

وسينظّم متحف اللوفر في باريس العام المقبل معرضا مخصصا للآثار السودانية بالتركيز على مقتنيات الملك السوداني تهراقا، الذي حكم من السودان حتى فلسطين، قبل أكثر من 33 آلاف سنة.

> أهرامات السودان هي الأقرب لطراز الأهرامات المصرية، ويرجع هذا لتشابه الحضارة المصرية القديمة مع الحضارة الكوشية

وكشف مصطفى أن السودان سينتهز المناسبة لتجديد مطالبه باسترداد آثاره.

من جهة أخرى، توقع الوزير أن يبلغ عدد السياح مليون سائح بعد أن كان عددهم في العام الماضي 800 ألف سائح أنفقوا في السودان أكثر من مليار دولار.

كما أكد مصطفى أن السودان يملك أكبر موقع للأهرامات في العالم في منطقة واحدة؛ 120 هرما في البجراوية، وهو من الميزات النسبية التي أسهمت في تسجيل الموقع ضمن التراث الثقافي العالمي.

ولدى السودان 9 محميات طبيعية تضم غابات وحيوانات نادرة الوجود، ويملك عددا كبيرا من الحيوانات التي لا توجد في كثير من بلدان العالم.

يذكر أن أهرامات السودان هي الأقرب لطراز الأهرامات المصرية، ويرجع هذا لتشابه الحضارة المصرية القديمة مع الحضارة الكوشية. بل تمتلك السودان أهرامات أكثر من مصر، وإن كانت أقل حجما.

وفي شمال العاصمة السودانية الخرطوم على طريق ضيق مهدته الحكومة الصينية توجد قرية صلب، وهي قرية قديمة مليئة بالمقابر والأهرامات، ويوجد بها معبد صلب، وهو أفضل المعابد المتبقية في السودان من حيث حالته.

على الضفة الغربية لنهر النيل؛ لا يوجد سور واحد يمنع الدخول. ولا يوجد حارس أمن واحد على بوابة الدخول، الآثار متناثرة في كل زاوية: الأعمدة الشاهقة، والأقواس، والجدران المنحوتة.

معبد صلب، بناه الفرعون أمنحتب الثالث في القرن الـ14 قبل الميلاد، إهداءً للإله المصري آمون، ولم يزره سوى الملك الطفل توت عنخ آمون. ونقش اسمه على أحد الأسود التي كانت تحرس مدخل المعبد، لكنّه لم يعد متواجداً في الموقع الأثري لأنّه يوجد الآن في المتحف البريطاني. وفي منتصف المعبد، توجد أسماء علماء الآثار الفكتوريين الأوائل الذين اكتشفوا هذا الموقع منقوشةً على الجدران العالية، وهو ما يدل على مستوى ارتفاع الرمال وقت الاكتشاف عام 1844.

الغاية من بناء المعبد

في الفترة من عام 3100 إلى 2890 قبل الميلاد، أرسل الفراعنة المصريون جيوشهم إلى الجنوب على امتداد نهر النيل بحثاً عن الذهب، والغرانيت من أجل تماثيلهم، وريش النعام، والعبيد.

واستمرت جيوش الفراعنة في التقدم جنوباً حتى وصلت إلى جبل البركل (جبل صغير شمال الخرطوم)، حيث قاموا ببناء القلاع والمعابد بعدها على طول الطريق لإثبات سيطرتهم على النوبيين.

وأصبحت المنطقة المحتلة تُعرف فيما بعد بمملكة كوش، وتبنّى الكوشيون جميع جوانب الثقافة المصرية، من الآلهة وحتى الصور الرمزية. لكن النوبيين حصلوا على حريتهم بعد انهيار المملكة المصرية الحديثة عام 1070 قبل الميلاد.

وعلى الرغم من ذلك، تعمقت جذور ديانة آمون في المنطقة، وهو ما دفع ألارا ملك كوش بعد 300 عام أن يقود نهضة ثقافية مصرية، بما في ذلك بناء أهراماتهم الخاصة.

ونتيجة اعتقادهم بأنّهم الأبناء الشرعيون للإله آمون، قام بعنخي حفيد ألارا باحتلال الشمال لإعادة بناء الأهرامات العظيمة. وظل "الفراعنة السود" يحكمون مصر لقرابة الـ100 عام. وفي أوج فترة حكمهم، تحت قيادة طهارقة الملك الكوشي الشهير، امتدت أراضيهم لتشمل ليبيا وفلسطين. وكان تاج الملك يحمل اثنتين من أفاعي الكوبرا: واحدة لبلاد النوبة، والأخرى لمصر.

ويقع آخر المقابر العظيمة لملوك الفراعنة السود في مروي، المدينة القديمة على الضفة الشرقية لنهر النيل. وتبعد تسع ساعات بالسيارة عن مدينة صلب، لكنها تستحق عناءً السفر، فهناك يوجد أكثر من 200 هرم مجتمعة في ثلاثة مواقع أثرية.

في الشمال، يوجد 43 هرماً مدرجة ضمن قائمة اليونسكو لمواقع التراث العالمي، ومنتشرة بطول سلسلة من التلال.

وتوجد على الحجارة هناك رسومات لزرافة ونخيل وغزال، مما يدل على أن هذه المنطقة في الماضي كانت مساحات خضراء، وسمحت التربة الطمية الخصبة للكوشيين بزراعة الشعير والذرة.

وعلى بقية الأحجار هناك رسوم رديئة تركها جنود الجنرال البريطاني هربرت كتشنر. حيث مر جنود كتشنر بهذا الموقع الأثري في طريقهم لمعركة كرري الدموية، التي خاضوها انتقاماً لموت الجنرال تشارلز جورج غوردون، الذي قُتل خلال ثورة سودانية ضد الحكم البريطاني عام 1898.

انهيار كوش

بحلول عام 300 ميلادية، بدأت مملكة كوش في الانهيار، إذ أدّى نقص الزراعة وتزايد الغزوات القادمة من إثيوبيا وروما إلى نهاية عصر حكمهم. وتبع ذلك دخول المسيحية والإسلام، الأمر الذي جعل الصلوات للإله المصري آمون تُمحى من الذاكرة. وربما تكون عوامل الزمن قد تركت آثارها على الأحجار الخارجية.

وجهات سياحية

مدن أوروبية للسفر مع العائلة

❑ يعتبر السفر خصوصاً في فصلي الربيع والصيف، من أكثر النشاطات رواجاً بين الأفراد والعائلات. وعلى الرغم من الأماكن الكثيرة التي يمكن للأفراد أن يتّجهوا إليها، فإن الأهل كثيراً ما يجدون صعوبة في إيجاد وجهة تناسب أطفالهم، خارج الوجهات المعتادة مثل ديزني لاند، واستوديوهات باراماونت بكتشورز. لكن بعض الوجهات الأوروبية توفر البديل المناسب.

◄ برشلونة-إسبانيا

تتميز برشلونة بكثرة الألوان في أبنيتها وواجهاتها، كما تكثر فيها الأماكن التي تجذب الأطفال، أبرزها منتزه "بارك دي لا سيوتاديلا" الذي يحتوي على نافورة مياه فريدة ومحمية حيوانات ومنتزه "بارك غويل" وهو من أعمال غاودي، وأحد أشهر الأماكن السياحية في المدينة، وهو مبني من أحجار فسيفساء بألوان كثيرة وتحيط به حدائق طبيعية وغابات.

كما يمكن أن تأخذ طفلك في جولة في عمق البحار للتعرّف على الأسماك والحيوانات البحرية عبر زيارة "أكواريوم برشلونة". أمّا المكان المخصّص للعب في برشلونة، فهو مدينة ألعاب هضبة "تيبيدابو" التي يمكن الوصول إليها عبر التيليفريك، ومشاهدة المدينة منها من على ارتفاع عال.

ولا ننسى أيضاً وجود شواطئ طويلة في المدينة يمكن أخذ الأطفال عبرها للاستمتاع بوقتهم وممارسة السباحة أو اللعب.

◄ سوميرسيت وبارنز-إنكلترا

يقع مركز وتلاند في منطقة بارنز في جنوب غرب لندن، وهو مجموعة واحات من المياه تمّ بناء جسور صغيرة فوقها كي تمكّن الزائرين من زيارتها.

يعرف هذا المركز بوجود 180 نوعاً من الطيور فيه، ويصبح من الممكن رؤيتها بشكل كثيف في فصلي الربيع والصيف بعد أن تتفتّح أزهار الأشجار وتكثر الحشرات.

ويمكن للأطفال أن يطعموا الطيور عبر رمي فتات الخبز في هذا الوقت من السنة.

على بعد 3 ساعات في السيارة من هذا المركز، تمكن زيارة مغاور "ووكي هول" في منطقة سوميرسيت التي تضاء مصاعد الكهف فيها بألوان كثيرة.

وما يميّز هذه المغاور، هو إمكانية المشاركة بـ200 نشاط ومعرض داخلها، منها زيارة متحف المهرّجين ووادي للديناصورات.

◄ أمستردام-هولندا

تشتهر العاصمة الهولندية أمستردام بإمكانية التنقل فيها على الدراجة الهوائية، إلا أنّنا ننصحكم بعدم التنقل بهذه الطريقة في وسط المدينة المزدحم، بل انتقلوا إلى المناطق الريفية لتقضية وقت ممتع في الطبيعة، خصوصاً أنّ هولندا معروفة بكثرة المزارع.

ويمكن أيضاً زيارة حديقة "فوندلبارك" وهي أكثر الحدائق شهرةً في العاصمة الهولندية.

كما يمكن أخذ الأطفال لزيارة المتحف البحري الوطني لاستكشاف البحار والمخلوقات التي تعيش فيها.

أخبار من العالم

أميركية تزور 196 دولة في 18 شهرا

❑ لا يبدو أن رحلات كيسى دي بيكول (27 عاماً) قد حطمت، وحسب الرقم القياسي الخاص، بزيارة جميع دول العالم في أقصر فترة زمنية، بل إنها أول امرأة تسجل ذلك الرقم القياسي، بحسب مجلة فوربس. سافرت دي بيكول إلى دول العالم الـ196 جميعها في 18 شهراً و26 يوماً فقط. وكان الرقم القياسي السابق في موسوعة غينيس قد تم تسجيله في ثلاثة أعوام وثلاثة أشهر.

وقال موقع غينيس إن الأميركي ييلي ليو قد سجل الرقم القياسي السابق كأسرع رحالة منفرد خلال الفترة من سبتمبر 2007 حتى ديسمبر عام 2010، وقد زار 194 دولة ذات سيادة مسجلة لدى الأمم المتحدة في ذلك الوقت.

وقالت دي بيكول في صفحتها على فيسبوك، إن هدفها هو "إلهام العالم من خلال سفرياتها والتواصل مع مواطني العالم"، وأوضحت أنها تحمل راية السلام العالمي من خلال سفرها كـ"مواطنة عالمية".

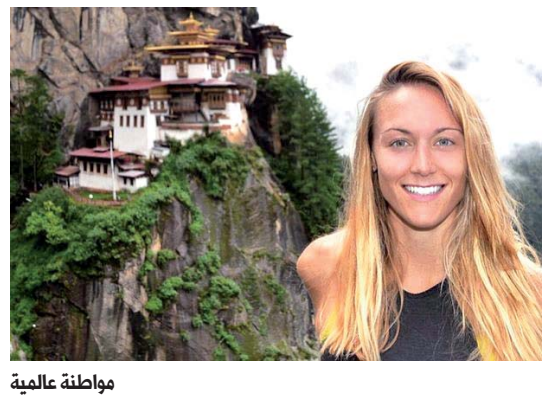

مواطنة عالمية

معطف يحمل الأمتعة أثناء السفر

المعطف الحقيبة

❑ كشفت شركة جوس بروموشنز النقاب عن معطف ثوري جديد للاستخدام أثناء السفر يتّسع لأمتعة كثيرة قد يصل وزنها إلى 15 كيلوغراما، وذلك لأن الكثير من شركات الطيران تمنع حمل أمتعة يتجاوز وزنها 10 كيلوغرامات على متن الطائرة.

وقال ناطق باسم الشركة "يمكن لهذا المعطف أن يخفي جهازي لابتوب، وجهاز آي باد، وزوجين من الأحذية، وبنطالي جينز، وخمسة قمصان، وكاميرا".

وأضاف الناطق "لا يحتاج المسافر إلا أن يدسّ أمتعته في جيوب المعطف الطويل لدى وصوله إلى نقطة التفتيش، وعندما يصعد إلى الطائرة يمكن للمسافر أن يحول المعطف إلى حقيبة. وقال مصمم المنتج آندي بينكي لصحيفة ديلي ميل البريطانية "هذا المعطف يمكّن المسافر من حمل كل ما يحتاجه لقضاء إجازته، دون أن يقلق من فقدان الأمتعة في المطار، ودون أن يضطر لدفع أجور الوزن الزائد".

وتطمح الشركة المصممة إلى جمع الأموال الكافية لإنتاج هذا المعطف وطرحه في الأسواق في أقرب فرصة.

في روسيا.. أجواء القرن الـ20 في رحلة بالقطار

❑ تخطط شركة "أر جي دي تور" هذا العام لإطلاق رحلات بالقطار البخاري الذي يعود للقرن الماضي، من مدينة يكاترينبورغ إلى مدينة فيرخوتوريي في روسيا.

وأكد المكتب الصحافي للشركة القابضة مع "السكك الحديدية الروسية" والمتخصصة في مجال السياحة وتنظيم حركة السياح، أن هذه الرحلات ستتيح للسياح العودة إلى أجواء القرن الماضي.

وفي الوقت الراهن، تعمل الشركة على تطوير الطرق والبرامج السياحية.

وقال المكتب "ستسير الرحلة في قطار يعود إلى القرن العشرين، وقاطرات تعود لتسعينات القرن الماضي، ليعيش السيّاح في مثل تلك الأجواء.. جميع البرامج التعليمية والثقافية والتاريخية معدة للعائلات التي لديها أطفال، وسيشرح المرشد السياحي خلال طريق الرحلة معلومات حول تاريخ السكك الحديدية والمنطقة".

رحلة عبر الزمن

القلق الرقمي يصيب مستخدمي الإنترنت بالنوموفوبيا

الإدمان على الهواتف الذكية يصعّب من مهمة تغيير السلوكيات

تتزايد مشكلة إهدار الوقت في تصفح المواقع والمنصات الاجتماعية على الإنترنت وخاصة عبر الهواتف الذكية، لكن خبراء التكنولوجيا يقولون إن الابتعاد عن وسائل الاتصال الحديثة مؤقتا قد يساعد هؤلاء المدمنين على اكتساب سلوكيات جديدة في حياتهم.

رياض بوعزة
كاتب وصحافي تونسي

❏ من الطبيعي أن يمسك الأشخاص بهواتفهم الذكية ويلتقطون صورا لما حولهم أو لأنفسهم أو أن يتفقدوها ليبقوا على اطلاع متواصل على الأحداث عبر المواقع المتنوعة في الإنترنت، لكن الأمر يصبح خاضعا للنقاش في حال قضى هؤلاء معظم أوقاتهم ممسكين بهواتفهم وهم في حالة قلق من أن يفوتهم شيء.

ويتصاعد القلق أكثر حينما يزور هؤلاء أماكن لا توجد فيها خدمة الإنترنت اللاسلكي (واي. فاي) ولا تعمل التطبيقات والخدمات الموجودة على الهاتف الذكي وهو ما يعني أنهم لن يستطيعوا متابعة الشبكات الاجتماعية ولا حتى مطالعة البريد الإلكتروني.

ويقول المختصون إن مثل هؤلاء الأشخاص موجودون بكثرة حول العالم وهم يقعون دون إدراك فيما يعرف بالنوموفوبيا، التي تعرف على أنها رهاب الابتعاد عن الهواتف الذكية والتواصل عبر الإنترنت.

وينجم هذا السلوك، الذي ليس له تفسير علمي، عن مشكلة تتعلق بالاستخدام المفرط للهواتف الذكية أو مجرد التفكير بضياعها أو حتى نسيانها وكذلك الهلع من الوجود خارج نطاق تغطية الشبكة ومن ثم عدم القدرة على الاتصال أو استقبال الاتصالات.

القلق التكنولوجي

يعتقد خبراء التكنولوجيا أن الهوس بمواقع التواصل الاجتماعي ومتابعة الأحداث عبر الإنترنت وتلقّي الرسائل الإلكترونية من أهمّ العوامل التي تؤدي إلى إصابة الناس بالقلق الرقمي نظرا لأنهم يرون أنفسهم بعيدا عن الدائرة الافتراضية التي يجب أن يكونوا فيها.

وأظهرت دراسة أجراها مختصون في شركة ديلويت أن إدمان استخدام الهواتف الذكية بلغ مستويات قياسية العام الماضي.

وذكرت الشركة أن عدد مستخدمي موقع فيسبوك بلغ حوالي 1.86 مليار مستخدم.

وبحسب مركز بيو للأبحاث، فإن قرابة 24 بالمئة من مستخدمي الإنترنت يستخدمون موقع تويتر، في حين يستخدم 29 بالمئة منهم موقع لينكد إن الشهير.

وتقول شركة فيسبوك إن مستخدمي موقعها يقضون 50 دقيقة يوميا في المتوسط في تصفحه، وهو أمر قد يعيقك عن العمل إن كنت بصدد تنفيذ مهام عديدة في الوقت نفسه، لكن حتى لو تخلى البعض عن المناقشات على فيسبوك أثناء العمل، أو عدم الانشغال مثلا بالهواتف الذكية على مائدة الطعام سيشعر الكثيرون بالقلق عند محاولة التخلي عن هذه العادات "السيئة".

التخلي عن تكنولوجيا التواصل مستحيل

ويرى ستيفان هوفمان، أستاذ علم النفس بجامعة بوسطن، أن البعض قد تنتابهم حالة من القلق عند الابتعاد عن الشبكات الاجتماعية ويشعرون برغبة ملحة في العودة إليها. ويمكن إطلاق على هذا النوع من السلوك اسم "القلق الرقمي"، بحسب ما ذكر موقع "بي. بي. بي فيوتشر".

ويؤكد الخبير في دراسة المشاعر الإنسانية أن وجود مشاعر سلبية على المدى البعيد تجاه الاستخدام الشخصي لوسائل التواصل الاجتماعي وكذلك الفشل في التوقف عن التعلق بها قد يعززان مشاعر الاكتئاب وقد تزيد حالات الخوف لديهم بسبب إحساسهم بفكرة فقدان الاتصال بالعالم.

تغيير السلوكيات

يتمنّى الكثيرون لو يقضون وقتا أقل على الإنترنت ولكن بمجرد أن يبتعدوا عن الهواتف الذكية تظهر عليهم علامات القلق.

واكتشف باحثون من الأكاديمية المجرية للعلوم، وجامعة أوتفوس لوراند في بودابست، خلال دراسة قاموا بها على مجموعة من المستخدمين أن ثلاثة أرباع الذين ابتعدوا عن هواتفهم الذكية لفترة وجيزة ظهرت عليهم سلوكيات مختلفة.

ويشير الباحثون أن الأعراض التي ظهرت على هؤلاء تعرف في علم النفس باسم إعادة توجيه الانفعالات، وهي أعراض تظهر على المرء عندما تتجاذبه انفعالات ودوافع مختلطة، والتي تتمثل في كثرة الحركة أو حك الرأس، على سبيل المثال.

وترى كريستينا كروك مؤلفة كتاب "متعة إضاعة الفرص"، أن إحدى الطرق الفعالة لمقاومة القلق التكنولوجي تكمن أساسا في تحديد الأسباب التي تدفع إلى تغيير نمط استخدام الشبكات الاجتماعية.

وتقول إن الذين يجدون سببا يتوافق مع معتقداتهم الشخصية، فإن ذلك قد يُسهم بشكل كبير في إبعادهم عن وسائل التواصل الاجتماعي، مثلا، والتفكير في البقاء فترة أطول مع العائلة أو مع الأصدقاء.

ويبدو أن التعرف على الفوائد التي سيجنيها هؤلاء من وراء التخلي عن الشبكات الاجتماعية سيسهم في الحد من كمية المخاوف والهواجس التي قد تخالج البعض منهم بسبب الابتعاد عن تلك الوسائل.

وهناك أسباب عدة تمنع الناس من الابتعاد عن مواقع التواصل الاجتماعي، فالبعض يخشون أن تفوتهم الدعوات لحضور الحفلات أو فرص الدردشة مع الأصدقاء والمعارف، بينما يخاف آخرون من فكرة التخلّي عن الصورة التي قضوا وقتا طويلا في رسمها لأنفسهم على الشبكات الاجتماعية.

وهناك آخرون لا يفارقون تلك المنصات الاجتماعية لأنهم يعتقدون أن عليهم إثبات وجودهم عليها لتحقيق النجاح في عملهم. لكن إن حدّدوا بوضوح الأسباب التي دفعتهم للمشاركة هناك، وإلى أيّ مدى يستفيدون بالفعل من البقاء على الإنترنت، ربما سيستطيعون اتخاذ القرار الصائب.

> الاستخدام المفرط للهواتف الذكية وكذلك الهلع من الوجود خارج نطاق تغطية الشبكة يعقد على مدمني الإنترنت التخلي عن نمط حياتهم الرقمي

صراع الابتعاد

يؤكد المختصون أن التوقف عن استخدام المنصات الاجتماعية بشكل كلّي قد يجعل البعض يشعرون برغبة شديدة في معرفة الفرص التي تفوتهم على هذه المواقع. لكن الابتعاد عنها لفترات قصيرة لتقليل التوتر الناتج عن الإفراط في استخدامها قد يساعد في اكتساب سلوك جديد.

وتقول كروك إن الابتعاد عن وسائل الاتصال التكنولوجية لفترات أثبت بالتجارب أنه يقلل من القلق، لأن الشخص إذا وضع لنفسه حدودا واضحة، فلا مكان للاختيارات الفردية.

ويفيد استخدام تطبيقات تمنع اتصال هاتفك بالإنترنت، أو حذف البعض من التطبيقات من الهاتف الذكي في التحكم في استخدامك للشبكات الاجتماعية، وفي الوقت نفسه سيحد ذلك من القلق الناتج عن الابتعاد عنها.

وينصح الخبراء مستخدمي المنصات الاجتماعية الذين يرغبون في قضاء وقت أقل على الإنترنت بأن يبدأوا بالبحث عن الأسباب التي تدفعهم إلى استخدام الإنترنت، والتعرف على المواقع التي يفرطون في زيارتها، ومطالعتها، لكي يتسنى لهم مقاومة دوافعهم.

جديد التكنولوجيا

❏ أعلنت شركة تويتر الأميركية عن توفيرها خدمة بريسكوب للبث المباشر لجميع المستخدمين وذلك بعد أربعة أشهر من إطلاقها بشكل بطيء. وتعتبر الخدمة الجديدة بمثابة أحدث أسلحة منصة بث الفيديو المباشر لمنافسة مقدمي الخدمة الآخرين ضمن معركتهم المستمرة لتقديم أفضل خدمات بث المحتوى المرئي المباشر.

وتتيح الخدمة للعلامات التجارية والمؤسسات الإعلامية والمبدعين الآخرين وغيرهم إمكانية بث مقاطع فيديو حية تم إنتاجها بشكل احترافي وبجودة عالية من خلال كاميرات خارجية وأجهزة إكس بوكس وان ونظارات الواقع الافتراضي وأجهزة الكمبيوتر أو كاميرات الويب.

❏ أطلقت شركة غوغل الأميركية تحديثا جديدا لتطبيق لوحة المفاتيح خاصتها على نظام التشغيل آي. أو. إس يجلب معه عددا من المزايا، أبرزها دعم ميزة الكتابة بالإملاء، إضافة إلى دعم لغات جديدة.

وتدمج لوحة المفاتيح جي. بورد، التي تم إطلاقها أول مرة لنظام آي. أو. إس في مايو الماضي، أساسا محرك البحث الخاص بغوغل مع لوحة المفاتيح، بما يسمح للمستخدمين البحث عن الصور المتحركة جي. آي. أف والرموز التعبيرية، إضافة إلى البحث عن المعلومات مثل مواقع المطاعم، وكل ذلك دون الحاجة إلى مغادرة المحادثة.

وكان عملاق التكنولوجيا قد جلب لوحة المفاتيح جي. بورد إلى نظام التشغيل التابع لها أندرويد في ديسمبر الماضي، ليحل محل تطبيق لوحة المفاتيح الافتراضي ضمن أندرويد.

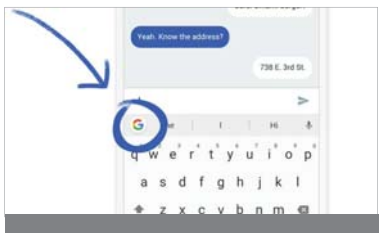

❏ بإمكان المستخدم حاليا استعمال تطبيق التراسل الفوري المشفر "Threema" عن طريق الكمبيوترات المكتبية أيضا على غرار تطبيق واتس آب الشهير، حيث يتم اتصال الهاتف الذكي بالمتصفح عن طريق اتصال مشفر.

وللقيام بتلك العملية، يتعين على المستخدم استدعاء موقع التطبيق في الإنترنت ثم إجراء مسح ضوئي لكود الاستجابة السريعة كيو آر بواسطة الهاتف الذكي، وبعد القيام بذلك يتمكن المستخدم من الوصول بشكل كامل إلى حوارات الدردشة وكذلك جهات الاتصال ومحتويات الميديا المخزنة على الهاتف الذكي.

❏ كشفت شركة أي. إم. دي عن عائلة معالجات كمبيوتر سطح المكتب الأحدث "Ryzen 7"، وذلك ضمن حدث أقامته الشركة في مدينة سان فرانسيسكو الأميركية مؤخرا، وهي فئة المعالجات التي يقال إنه بإمكانها منافسة معالجات إنتل.

وتعرضت الشركة المصنعة للرقائق لمشاكل جراء عائلة معالجاتها لكمبيوترات سطح المكتب الحالية، بحيث هبط استعمالها إلى حد كبير لتصل إلى أجهزة الكمبيوترات منخفضة العتاد.

وتقول الشركة إن "Ryzen 7" سيحسن الأداء بشكل كبير من حيث عدد التعليمات التي يمكن للمعالج التعامل معها في آن واحد، وبنسبة تصل إلى أكثر من 500 بالمئة.

أخبار متفرقة

باحثون مغاربة يخترعون مأوى ذكيا للسيارات

❏ قامت مجموعة من الباحثين المغاربة بابتكار مأوى ذكيّ للسيارات والذي سيحول السير العشوائي في المدن إلى نظام ذكي يسمى "سمارتي بارك" يساهم في إيجاد حلول لمستعملي الطريق مستقبلا من أجل ركن مركباتهم دون عناء وبأقل وقت.

وقدم مختبر البحث والتنمية والتطوير التكنولوجي "سمارتي لاب" التابع للمدرسة المغربية لعلوم المهندس قبل أيام، الاختراع الذي سيمثل المغرب في نهائي كأس العالم للابتكارات في مجال المدن الذكية وإنترنت الأشياء الذي سيقام الشهر المقبل في مدينة برشلونة الإسبانية.

أول روبوت لتعقب المجرمين في الصين

❏ بدأ أول روبوت شرطي صيني أداء مهامه في مقاطعة هنان الصينية، وقد أوكلت إليه مهمة مراقبة قاعة الانتظار في محطة السكك الحديدية بمدينة تشنغشو.

ويتحرك الروبوت على عجلات وقد زوّد بأجهزة الاستشعار التي تعمل باللمس وبوسعه أداء مهام الدورية بشكل مستقل والتعرف على وجوه الناس ومسحها إلكترونيا والإجابة على أسئلة المسافرين.

وإلى جانب تعقب المجرمين، بمقدور الروبوت "E-Patrol Robot Sheriff"، الذي لا يتجاوز طوله قامة إنسان، قياس درجة الحرارة والإنذار عن خطر نشوب الحريق.

طائرة هجينة دون طيار تغوص في البحار

❏ قام فريق من العلماء في جامعة راتغار الأميركية بتصميم طائرة هجينة من دون طيار، بمقدورها التحليق والغوص والنزول إلى قعر البحر، في إطار مسابقة علمية أطلق عليها اسم "Shell Ocean Discovery XPRIZE".

وأطلق الباحثون الأميركيون على هذه الطائرة اسم "Naviater"، وقد تم تزويدها بثماني مراوح، وبوسعها الإبحار في أعماق البحر بسهولة والصعود إلى سطحه والإقلاع منه دون مشاكل.

وتتيح الطائرة اكتشاف الأماكن التي يمكن لشركات النفط على سبيل المثال اكتشاف الوقود الأحفوري في قاع البحر أو المحيطات.

كاميرا تساعد على تفادي حوادث السير

❏ تعتبر كاميرا "DashCam" أفضل رفيق في السفر، والتي تساعدك على تجنب حوادث السير، ويمكن وضعها على لوحة القيادة في السيارة.

وتقوم هذه الكاميرا بتصوير مقاطع فيديو عالية الجودة، وتتيح لك إمكانية الحصول على تسجيل للوقت الذي قضيته على الطريق.

وتقوم الكاميرا بالتقاط الصور بدقة 1920×1080 بكسل وهي تتضمن بطاقة تخزين مايكرو أس. دي بحجم 8 غيغابايت التي يمكن تخزين عدد كبير من الصور أو الفيديوهات عليها.

الانتقال من تمارين اللياقة المنخفضة إلى المتوسطة يطيل العمر

تمارين المشي والركض من أكثر الرياضات المعززة للياقة

تحسين مستوى اللياقة والتدرج من التمارين البسيطة إلى المكثفة والعمل دائما على رفع درجة النشاط والطاقة كلها من الأمور التي تساعد على تقوية الجسم والعضلات في قدرتهما على التحمل والمقاومة وتجعلهما أكثر مناعة أمام الوهن والمرض.

المواظبة على التمارين تساعد في رفع درجة التحمل

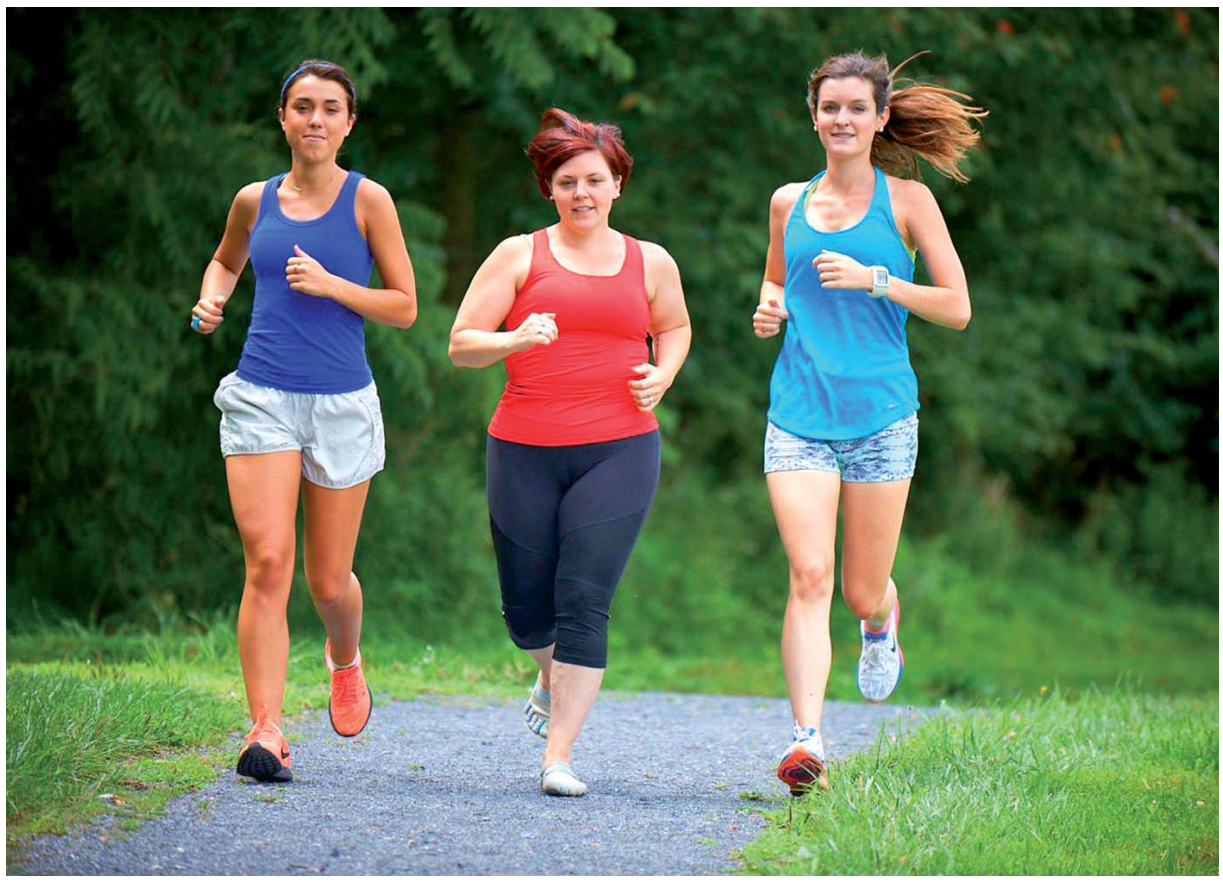

❑ **لندن** – أظهرت دراسة جديدة أن تحسين اللياقة البدنية والانتقال من تمارين اللياقة المنخفضة إلى المتوسطة قد يطيل العمر.

وقال الباحثون الذين أعدوا الدراسة إن المرضى الذين بدأوا بمستويات منخفضة من التمارين الرياضية ثم طوروها إلى مستوى متوسط أو مرتفع انخفضت احتمالات مواجهتهم لخطر الموت أثناء فترة الدراسة بنسبة 40 بالمئة تقريبا.

وقال كلينتون براونر قائد فريق البحث لرويترز عبر البريد الإلكتروني إن "القدرة على التمارين تقاس أثناء اختبار جهد التمرين ويتم ذلك عادة على جهاز الركض أو الدراجة الثابتة. والشخص الذي لديه قدرة أعلى على التمرين يستطيع تحقيق وتيرة سير أسرع أو يصعد عددا أكبر من درجات السلم قبل أن يشعر بالتعب".

وقال براونر وهو باحث في معهد إيدث وبنسون فورد للقلب والأوعية الدموية التابع لمستشفى هنري فورد في ديترويت "القدرة على أداء الحد الأقصى من التمارين هي قدرتنا على العمل. وتعتمد على صحة القلب والرئتين والدم والعضلات. والأهم من ذلك تعني القدرة الأعلى على أداء التمارين أن الفرد يمكنه القيام بأنشطة الحياة اليومية مثل العمل في أنحاء المنزل على نحو أسهل وأقل تعبا مقارنة بالشخص صاحب القدرة المنخفضة على أداء التمارين".

> تحسين اللياقة البدنية في متناول أيدينا لأن لياقتنا تتأثر بمستوى نشاطنا البدني لذلك ينبغي رفع مقدار الحركة اليومية

وبالرغم من أن هناك قدرا كبيرا من المعلومات التي تدعم العلاقة بين اللياقة البدنية والنتائج المترتبة مثل الوفاة المبكرة إلا أنه لا توجد سوى دراسات قليلة تقيّم ما إذا كانت التغييرات في اللياقة متصلة بالنتائج، ولم تشمل أيّ منها النساء.

ولسد هذه الفجوة حلل براونر وزملاؤه بيانات من مشروع هنري فورد إكسرسايز تيستنج الذي شارك فيه بالغون من ديترويت وميشيغان خضعوا لاختبارات جهد تمارين بدنية على جهاز الركض خلال الفترة بين عامي 1991 و2009.

وفحص فريق البحث بيانات أكثر من عشرة آلاف مريض خضعوا لاختبار جهد التمارين مرتين على الأقل في كل عام على حدة. وبعد متوسط متابعة 8.6 عام توفي 9.5 بالمئة من الرجال و7.4 بالمئة من النساء.

ومقارنة بالنساء اللائي حافظن على مستويات لياقة منخفضة في الاختبارين فإن النساء اللائي طورن مستويات التمارين المنخفضة إلى مستويات متوسطة أو مرتفعة في الاختبار الثاني انخفضت احتمالات مواجهتهن لخطر الموت 37 بالمئة.

أما الرجال الذين طوروا مستويات التمارين المنخفضة إلى مستويات متوسطة أو مرتفعة انخفضت احتمالات مواجهة خطر الموت 44 بالمئة مقارنة بالرجال الذين ظلوا عند فئة ممارسة تمارين لياقة منخفضة.

وقال براونر إن انخفاض اللياقة عامل خطورة مهم في الوفاة المبكرة كما أن تحسين مستوى اللياقة مهم للصحة.

وأضاف "تحسين اللياقة البدنية في متناول أيدينا لأن لياقتنا تتأثر بمستوى نشاطنا البدني. ولتحسين اللياقة ينبغي على الناس أن يحسّنوا مستواهم الحالي أو مقدار النشاط البدني وهو ما يمكن تحقيقه بأفضل ما يكون عن طريق المواظبة على تمارين مثل برامج المشي أو الركض".

واكتشف باحثون من خلال دراسة أجراها علماء من مستشفى "هنرى فورد" بمدينة ديترويت بولاية ميشيغان الأميركية، أن الرياضة المنتظمة أيّا كان نوعها تطيل العمر.

ونقل الموقع البريطاني "ديلى ميل" الدراسة التي أجريت على أكثر من 2061 من كبار السن ممن كانوا يمارسون الرياضية.

وقال مايكل بلاها أستاذ مساعد في الطب في جامعة "جونز هوبكنز" وأحد الباحثين القائمين على الدراسة، "كنا نعرف من قبل أن الرياضة مفيدة لكل أجزاء الجسم ولكن الآن بالأدلة اليقينية نستطيع القول إن الرياضة المنتظمة تطيل العمر بنسبة تصل إلى 40 بالمئة".

وركز العلماء خلال بحثهم على السجلات الطبية للأشخاص الذين قاموا باختبارات روتينية قبل إصابتهم بالأزمات القلبية الشديدة، ومتابعة أوزانهم ومعدل الحرق الخاص بأجسامهم ونمط الحياة الخاص بهم من نظام غذائي وممارسة للرياضة، ووجدوا أن الأشخاص المتسمين باللياقة البدنية ومعدلات الحرق العالية تصل فرصتهم في طول العمر والحماية من الموت إلى 40 بالمئة.

وأشار مايكل بلاها إلى أن النوبات القلبية تعد من أكثر الحالات المرضية التي تسبب الوفاة سريعا، ومحاربتها بالرياضة هو الطريق الأمثل الذي يخلصنا من أسباب حدوثها ونتائجها.

ودعمت دراسة أخرى، أجريت في تايوان، هذه التجربة وأثبتت أن ممارسة التمارين الرياضية المعتدلة لمدة 15 دقيقة يوميا تزيد العمر ثلاث سنوات.

وقال الباحث تشي بانغ ون من المعاهد الوطنية للبحوث الصحية في تايوان، والذي أشرف على الدراسة، إن "تخصيص 15 دقيقة يوميا لممارسة تمارين رياضية معتدلة مثل المشي السريع سيعود بالفائدة على أيّ شخص". وأضاف أن "هذا يناسب الرجال والنساء والصغار والكبار والمدخنين والأصحاء والمرضى". ولفت إلى أن هذه هي النصيحة المثالية التي يعطيها جميع الأطباء لمرضاهم.

وتابع ون وزملاؤه أكثر من 416 ألف شخص لمدة 13 عاما وعكفوا على تحليل سجلاتهم الصحية وتسجيل مستويات النشاط البدني في كل عام.

وبعد الأخذ في الاعتبار الاختلافات في العمر والوزن والجنس ومجموعة من المؤشرات الصحية، وجد الباحثون أن 15 دقيقة فقط من التمارين الرياضية المعتدلة يوميا أدت إلى زيادة العمر المتوقع ثلاث سنوات مقارنة بأولئك الذين لم يمارسوا الرياضة.

وكان الباحثون ربطوا أيضا بين ممارسة التمارين الرياضية يوميا وانخفاض معدل الإصابة بمرض السرطان.

وختم ون بالقول إنه "عاجلا أو آجلا ستموت لكن مقارنة بالمجموعة التي لا تمارس التمارين الرياضية فإن المجموعة التي مارست الرياضة لمدة قصيرة انخفض لديها معدل الوفاة بالسرطان بنسبة 10 بالمئة".

تدريبات التاي تشي تقلل خطر سقوط كبار السن

❑ **واشنطن** – تشير دراسة حديثة إلى أن كبار السن الذين يمارسون رياضة "التاي تشي" الصينية قد يكونون أقل عرضة للسقوط من أقرانهم الذين لا يمارسون هذا النوع من التمرينات التي تجمع بين التنفس العميق والحركات البطيئة الرشيقة.

وفحص الباحثون بيانات من 18 تجربة نشرت في السابق على العلاقة بين "التاي تشي" والوقاية من السقوط أجريت على 3824 مشاركا في الخامسة والستين من العمر أو ما يزيد.

ووجد تحليل البيانات أن تمرينات "التاي تشي" مرتبطة بتراجع نسبته 20 بالمئة لخطر السقوط مرة واحدة على الأقل وبتراجع بنسبة 31 بالمئة في عدد مرات السقوط.

وقال جان ميشيل بريسمي، خبير العلاج الطبيعي في مركز علوم الصحة في جامعة تكساس تك والمركز الطبي للجامعة في لابوك، "هذه نتيجة مهمة إلى حد كبير لأن 'التاي تشي' نشاط يمكن تعلّمه بسهولة ويمكن للناس ممارسته بشكل مستقل في البيت أو في أماكن عملهم أو في مراكز التقاعد سواء كانوا فرادى أو ضمن مجموعات".

وأضاف بريسمي "وعليه فإنّ هذه التمرينات مهمة من حيث التكلفة والحفاظ على الاستقلالية والصحّة لأن الناس لا يضطرون إلى الذهاب إلى صالة الألعاب الرياضية أو إلى منشأة خاصة لأن بمقدورهم ممارستها في أيّ مكان".

وأشار الباحثون من خلال موقع "بي. إم. جيه أوبن" الإلكتروني إلى أن "ما يصل إلى 40 بالمئة ممن تزيد أعمارهم على 65 عاما وحوالي نصف من تزيد أعمارهم على 80 عاما يسقطون سنويا في أنحاء العالم. وغالبا ما يكون السقوط مصحوبا بتراجع كبير في القدرة على الحركة والاعتماد على النفس ونوعية الحياة وهو سبب رئيسي للوفاة لدى كبار السن".

وقام تسي قوان هوانغ من جامعة قوانغتشو الرياضية في الصين وزملاؤه بتحليل البيانات من التجارب المنشورة التي تم فيها تكليف عينة عشوائية من المسنين إما بتلقي دروس "التاي تشي" أو بالمشاركة في مجموعة لم تمارس هذه التمرينات. وقال تشين تشين وانغ مدير مركز الطب التكميلي والتكاملي في مركز تافتس الطبي في بوسطن إن "نتائج الدراسة تؤكد ما توصلت إليه بحوث سابقة تظهر أن ممارسة 'التاي تشي' يمكنها تحسين التوازن ومرونة وقوة تمديد الركبة وتقلل من خطر السقوط".

وقال وانغ "هناك العديد من المكونات المهمة منها التمرين وأساليب التنفس وتنبيه الجسد وتركيز الاهتمام والتركيز الكامل للذهن والتوازن وأداء الوظائف والتصور والاسترخاء".

وأضاف "كذلك تؤثر هذه المكونات إيجابيا على الصحة بتحسين الكفاءة الذاتية والوظائف النفسية الاجتماعية والاكتئاب ويمكنها مساعدة المرضى على تعزيز الثقة التي تساعد أيضا على التوازن والتنسيق لتجنب السقوط".

وقال روم لوتشي من الجامعة التكنولوجية في سيدني ومركز الأبحاث الاسترالي في الطب التكميلي والتكاملي إن "الطبيعة المعقدة لتتابع تدريبات 'التاي تشي' يمكنها أيضا أن تدعم وظائف الإدراك لأنها تتطلب جهدا مستمرا للتنسيق بين حركات متعددة في وقت واحد".

وتساعد تمارين التاي تشي كبار السن على تحمل الجهد حتى في حال الإصابة بأمراض الشيخوخة أو تراجع أداء القلب مع التقدم في السن أو عند المعاناة من قصور مزمن في القلب. يشار إلى أن تمارين "التاي تشي" تزيد فعالية التمارين البدنية لدى المرضى الذين يعانون من قصور مزمن في القلب. وأخضع الباحثون 50 شخصا ممن يعانون من قصور مزمن في القلب لممارسة تمارين "التاي تشي" لمدة ساعة مرتين أسبوعيا على مدى 12 أسبوعا، وفي مقابل هؤلاء المرضى تابع فريق مؤلف من 50 مريضا آخر يعانون أيضا من قصور مزمن في القلب هذه التمارين التي يوصى بها عادة والتي تقضي بالمشي لمدة ست دقائق مرتين أسبوعيا.

وعند الانتهاء من الدراسة، لم يتم تسجيل أيّ فرق بين الفريقين، إلا أن المشاركين في الدراسة والذين تابعوا التمارين المستوحاة من فن "التاي تشي" أحرزوا تحسنا أكبر في ما يتعلق بنوعية الحياة والعافية.

وأبدى هؤلاء المشاركون ثقة أكبر في ممارسة بعض التمارين المرتبطة بـ"التاي تشي" بأنفسهم، حسب ما لاحظ الباحثون.

وقالت غلوريا بيه الأستاذة في كلية الطب بجامعة هارفارد "إن تمارين 'التاي تشي' ليست خطيرة، وهي تستطيع تحسين مزاج ونوعية حياة المرضى الواهنين الذين يعانون من قصور مزمن في القلب".

ولفتت الدراسة إلى أن المصابين بقصور مزمن في القلب يعتبرون أنهم أضعف من أن يتمكنوا من القيام بتمارين رياضية. ولغاية أواخر ثمانينات القرن الماضي، كانت التوصية الطبية تتركز حول تفادي الجهد الجسدي، حسب ما ذكرت الدراسة. وأشار الباحثون إلى أن النتائج الأولية لهذه الدراسة تدعو إلى الاعتقاد بأن تمارين "التاي تشي" قد تفيد مرضى من أمثال هؤلاء، ولكن هذه النتائج لم يتم التأكد منها في دراسات سريرية.

> «التاي تشي» نشاط يمكن تعلمه بسهولة وبالإمكان ممارسته في البيت أو في أماكن العمل أو في مراكز التقاعد

رياضة تجمع بين التنفس العميق والحركات البطيئة

المرأة وجائزة نوبل: مشكلة الإنجازات الأنثوية غير المرئية

تجاهل متعمد لإبداعات النساء يمتد من الشرق إلى الغرب

ألفريد نوبل لم يضع معايير ثابتة يتم على أساسها اختيار الفائزين بجائزته، بل اكتفى بالتنصيص على أن توزع عائدات ثروته على شخصيات أسدت خدمات للبشرية، ولكن الصورة النمطية للمرأة تجعلها الأقل حظا في الفوز بجائزته.

يمينة حمدي
صحافية تونسية

❏ حققت النساء في جميع أنحاء العالم العديد من النجاحات في الميادين الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعلمية والسياسية، لكن إحدى الفروق المهمة، التي ما تزال موجودة بينهن وبين أقرانهن من الرجال، هو إنجازاتهن غير المرئية من قبل اللجان التي تقوم باختيار الفائزين بجائزة نوبل.

وعلى الرغم من أنه لا يوجد في تاريخ الجائزة ما يشير إلى أن ألفريد نوبل قد وضع قوالب جاهزة أو معايير ثابتة، يتم على أساسها اختيار الفائزين، بل اكتفى في وصيته بالتنصيص على أن توزّع عائدات ثروته الطائلة على شخصيات أسدت خدمات للبشرية، إلا أن نسبة الذكور الحاصلين على الجائزة يعكس تجاهلا متعمدا لإنجازات النساء، وتبقى هناك قصة واحدة تنبغي الاشادة بها، وهي رفض بيير كوري زوج ماري كوري وشريكها في الأبحاث حول المواد المشعة في العام 1903 استلام جائزة نوبل احتجاجا على عدم ترشيح زوجته للجائزة، فقرر حينها مجلس الجائزة قبولها في ترشيح متأخر وأصبحت أول امرأة تفوز بجائزة نوبل.

وتعتبر ماري أيضًا المرأة الوحيدة التي تفوز بالجائزة مرتين، حيث فازت أيضا بجائزة نوبل للكيمياء في العام 1911.

إلا أنه ومنذ انطلاق الجائزة في العام 1901 وإلى يومنا هذا، لم تتقلص الفجوة بين الجنسين المتوّجين بجائزة نوبل في مختلف تصنيفاتها، وظل الرجال على مدار أكثر من قرن محتكرين لها، وحتى العام 2016، مُنحت الجائزة إلى 825 رجلًا فيما لم تفز بها سوى 48 امرأة فقط.

وفي تاريخ الجائزة فازت 16 امرأة بجائزة نوبل للسلام و14 في مجال الأدب و12 في مجال الطب أو علم وظائف الأعضاء و4 في مجال الكيمياء واثنتان في مجال الفيزياء وفازت واحدة وهي إلينور أوستروم بجائزة نوبل التذكارية في العلوم الاقتصادية.

وشهد العام 2009 أكثر فوز للنساء بجوائز نوبل، فقد توجت حينها خمس نساء بالجوائز.

أما على مستوى العالم العربي فلم تحصل سوى إمرأة وحيدة على جائزة نوبل للسلام، وهي الصحفية اليمنية توكل عبدالسلام كرمان.

ويرى البعض أن عدد النساء المبدعات واللاتي حققن اكتشافات علمية أو قدمن خدمات للانسانية يحسب على الأصابع، وفي ظل وجود الآلاف من الرجال الذين يحققون إنجازات متشابهة، فإن العدد القليل من النساء المتوّجات بجائزة نوبل، لا يعكس تحيزا ضد المرأة وإنما هو نتاج طبيعي لواقع ما زال الرجال يحتلون فيه مركز الريادة في جميع الميادين، فما رد الأدبيات والمبدعات العربيات عن هذا القول؟

هيمنة ذكورية

أكدت أمينة شفيق الكاتبة الصحافية والناشطة الحقوقية المصرية في تصريح لـ"العرب" أن ازدياد عدد النساء الحاصلات على جائزة نوبل في العقود الأخيرة، لا ينفي الفجوة الجندرية الكبيرة بين الجنسين، ففكر التفوق الذكوري ما زال مسيطرا على أغلبية العقول وفي معظم المجتمعات، فغالبا ما ينظر للمرأة باستصغار وعلى أنها ناقصة عقل، وليس باستطاعتها ابتكار النظريات وتقديم الحلول والبراهين في جميع النواحي العلمية.

وترى الكاتبة أن البيئة المتخلّفة هي السبب الرئيسي في تغييب المرأة عن مثل هذه الجوائز، فمنذ قرون متواصلة والقيود المجتمعية العقيمة تلزم المرأة بالبقاء في المنزل، وتحرمها من التعليم والعمل في المجالات التنافسية، موضحة أن العالم لم يعترف بأيّ حقوق للمرأة لا في الشرق ولا في الغرب، وعندما انطلقت الجائزة في العام 1901، كانت المرأة وقتها تحارب من أجل الحصول على حقها في التعليم المحرومة منه في بلدان كثيرة من العالم، ثم انشغلت بإثبات حقها في الخروج للعمل، ثم كفاحها للحصول على أجر مساو مع الرجل، وكثيرا ما كانت تبحث عن وظيفة مضمونة بساعات محددة، حتى تتمكن من التركيز على اهتمامات أخرى وعلى الشؤون المنزلية والإنجاب وتربية الأبناء.

وقالت شفيق "مثلت الأعراف والقوانين المستبدة حاجزا كبيرا في طريق الإسهام الإبداعي الحقيقي للمرأة ممّا جعلها دائما في حالة خصام مع نفسها ومع مجتمعها".

ورجحت الكاتبة أنه حتى وإن تغلبت المرأة على مختلف الحواجز والقيود التي تواجهها في مجتمعها، وأصبحت عالمة ومخترعة في الفيزياء والكيمياء والطب، فإنه في الغالب لا يتم تسليط الضوء على إنجازاتها، ولا يتم الاعتماد عليها في تطوير وبناء مجتمعها، وكل ذلك من أجل اغتيالها معنويا، وهذا في حد ذاته يؤكد أن معظم المجتمعات كانت ولا تزال تعتبر المرأة أقل كفاءة من الرجل في النواحي العلمية.

فيما ترى الروائية التونسية هند الزيادي أن جائزة نوبل للآداب ليست مقياسا للجودة الأدبية، بل تبقى مجرّد معيار نسبيّ، يخضع في بعض الأحيان إلى اعتبارات أخرى غير الأدب، وبالتّالي فليس غريبا أن تبقى أسماء روائية كبرى خارج دائرة المتوّجين سواء تعلق الأمر بالنساء أو حتى بالرجال، مشيرة إلى أن المعيار الجندري في جائزة نوبل ليس له وزن، لكن هذا لا يعني بالنسبة إليها أن المراة الكاتبة قد تخلصت من وصمة جنسها وصارت تعامل معاملة متساوية مع زميلها الكاتب، ولذلك فمن الصواب بمكان الاعتراف بوجود كوكتيل من المعوّقات التي تحول أولا دون تميّز الأقلام النسائية، وبالتالي تحول دون تقدّم هذه الأسماء للمنافسة على الجوائز، بدءا من عالم النشر نفسه، ووصولا إلى عملية الإبداع التي لم تكن يوما يسيرة أو هيّنة على المرأة، وخاصة في ظل مجتمعات مازالت لم تتخلص من عباءتها الذكورية، وتحمّل المرأة المبدعة أعباء أكثر من طاقتها، وتطالبها بالتميّز في جميع الميادين المحسوبة على جنسها.

وتعتقد الزيادي أن المجتمع الذكوري هو الذي ينتج النّقاد الذين يقصون المرأة الكاتبة، ولا يلقون بالا إلى إبداعاتها مهما كان محتواها عميقا. وعللت رأيها قائلة "صفة الإبداع لا تخلع على المرء، سواء كان رجلا أو امرأة، بل تفتك بالكتابة المتواصلة وتطوير القدرات ومصارعة معوّقات الإبداع، وهذا في حد ذاته جائزة أكبر من نوبل".

نظرة دونية

الدكتورة ميرفت إسماعيل أستاذة العلوم الزراعية بالمركز القومي للبحوث العلمية في مصر، ترى أن تحرر المرأة من بعض القيود المجتمعية، لم يعفها من مواجهة التمييز في المجالات العلمية التنافسية، خاصة مجالات العلوم والتكنولوجيا، فالمناهج التعليمية ترسّخ لثقافة مجتمعية تجعل من المرأة عورة وناقصة عقل ودين، ولا يكل خطباء الدين من ليّ عنقها بتلك المقولات، ممّا يقتل في نفسها كل أحاسيس الإبداع.

وقالت "للأسف يترسّخ في العقل الباطن لدى الطالبات هذا الشعور على مدار أعمارهن، ويفقدن الثقة في أنفسهن وقدرتهن على النجاح في المواد العلمية ويفاقم ذلك الشعور عدم وجود دعم كاف من أسرهن في توجههن، بسبب انعدام العدالة بين الذكر والأنثى".

وأشارت الباحثة إلى وجود العديد من النساء الحاصلات على درجات علمية من جامعات عالمية مصنفة في المراكز المتقدمة، إلا أنهن يصطدمن بتحديات مجتمعية وثقافية لا حصر لها، ونادرا ما يجدن فرص التوظيف، فقط لكونهن نساء، والانطباع السائد عنهن أنهن سيهملن عملهن لأن أكثرهن سينشغل بمتطلبات أسرهن.

وأكدت الدكتورة منى الطوبجي الباحثة في مجال العلوم الطبية بمصر أن لديها نظرة متشائمة مما لاقته من عثرات على مدار رحلتها البحثية، وترى أنه بمجرد دخول المرأة للمجال البحثي ستتعثر خطواتها بسبب ما يُلقى في طريقها من معوقات، وكأنها ستدخل الانتخابات لتستفيد لا لتفيد.

وأوضحت لـ"العرب" أن معظم الباحثات لا يحصلن على فرص متساوية في مصر مثل الرجال، فهم لهم طرقهم وأساليبهم في الوصول إلى رجال الأعمال الذين ينتدبونهم، فيما يضيّقون الخناق على النساء، مشيرة أنه يتم تجاهل النساء حتى في مجال المشاركة بالمؤتمرات العلمية، ولا توجه إليهن دعوات للمشاركة من قبل الجهات المختصة.

ووصفت الطوبجي ذلك بـ"مصيبة المصائب"، مشبّهة ما تواجهه المرأة من صعوبات وعقبات في مرحلة البحث العلمي "بالنحت في الصخر"، إلا أنه وبمجرد أن تطأ قدمها أول درجة في سلم الاختراعات، تجد نفسها تحت وطأة تحديات أشد فتكا بها، لانعدام الجهات القادرة على تمويل أفكارها، وعندئذ عليها أن تتدبر أمورها بنفسها وتنفق على اختراعها من مالها الخاص، وفق تصريحها.

وقالت في هذا الشأن "عندما تتغلب المرأة على كل المعوقات وتحصل على براءة الاختراع ويتم الاعتراف بها، تدخل إلى عرين المراكز البحثية العلمية والمتخصصة التي ترفض أن تتبنى اختراعها وتتحجج بصعوبة تطبيقه على أرض الواقع لعدم وجود تمويل، إلا أن الأمر مختلف بالنسبة إلى الرجال، وكل هذا يصيب المخترعة بالإحباط ويعود بها إلى الدائرة المغلقة التي كانت تعتقد أنها خرجت منها".

وأضافت "أما إذا استطاعت المرأة الخروج من تلك الدائرة من خلال أيّ ثغرة، وتم تطبيق اختراعها والاعتراف بها كعالمة ومخترعة، فإنه حتما سيتم تجاهلها واغتيالها معنويا من جانب دولتها الأم، التي لن تعترف باختراعها ولن تتبناه، مثلما حدث مع العديد من المخترعات اللاتي تبنتهن دول أخرى كالصين والولايات المتحدة".

إبداعات نسوية كثيرة وتتويجات قليلة

عقلية ميسوجينية

وألقت سامية خضر أستاذة علم الاجتماع بجامعة عين شمس، باللوم على طرق تنشئة الأسرة العربية للمرأة في صغرها، مشيرة، إلى أن الأهل غالبا ما يلقون على مسامع الفتات التعبير المتوارث "أنت بنت"، من أجل تنبيهها إلى الكثير من المحاذير والخطوط الحمراء التي يجب عليها ألا تتجاوزها، فمثلا عليها ألا تلعب بالحصان بل العروسة، ولا تشتري المناظير والتلسكوب بل أدوات المطبخ، ولا تستبدل اللغات بالرياضيات والعلوم لأنها صعبة عليها، فيرسخون في ذهنها فكرة عدم خوض معترك الأبحاث والاختراعات، مما يجعلها تبتعد عن هذه المجالات العلمية خوفا من التضحية بأنوثتها ودفن جمالها خلف نظارات "مقعرة".

> 16 امرأة فزن بنوبل للسلام
> 14 امرأة فزن بنوبل للآداب
> 12 امرأة فزن بنوبل للطب
> 4 نساء فزن بنوبل للكيمياء
> امرأتان فازتا بنوبل للفيزياء
> امرأة واحدة فازت بنوبل للاقتصاد

وأوضحت أن النظرة السوداوية للمخترعات تكرّسها الصورة النمطية التي دائما ما تظهر بها المخترعة في المسلسلات والأفلام، فهي من وجهة نظرها دائما جادة ولديها جفاف عاطفي ومنغلقة على نفسها، وليس لديها الوقت لتهتم بمظهرها، وإذا ما طالبت بالمساواة مع الرجل في المجال البحثي فإنها ستصبح في المنظور المجتمعي امرأة "مسترجلة" و"عانس".

وأشارت الشاعرة المغربية فتيحة النوحو في حديث لـ"العرب"، أن الهيمنة الذكورية لا تقتصر فقط على جائزة نوبل، بل تنسحب على جميع الجوائز الإبداعية بمختلف أصنافها.

وتحدثت النوحو عن تاريخ كامل من الهيمنة الذكورية، يمتد عبر مختلف عصور الثقافة الإنسانية قائلة "هناك تغييب مقصود لمساهمة المرأة في الفعل الأدبي والفني، وهذا الإقصاء الناتج عن ميسوجينية أو كراهية النساء، لا يمارسه الرجال في خلوة، بل بحضور المرأة وبمباركتها في أحيان كثيرة، وفي ظل صمتها في أحيان أخرى".

وأضافت "هناك لوبيات في المشهد الأدبي أو ما يمكن تسميته بجماعات فرض وليس ضغط تمارس سطوتها بطريقة غير مباشرة، فالتقليد أن اللجنة المنظمة لجائزة نوبل، تعهد لمؤسسات ثقافية وأدبية لترشيح أسماء للجائزة، وهذا ما يعتبر ظاهريا حيادا، ولكننا ندرك جميعا ما يسود في الغرف المغلقة للمؤسسات والاتحادات من محاباة وتمييز وتقريب لأسماء واستبعاد لأخرى".

وتساءلت مستنكرة "كم من عربي حصل على نوبل؟ أتوقع أن يبقى نجيب محفوظ الاستثناء، وتبقى الجائزة في مهب الأهواء".

النساء عاجزات عن التخلي عن دور ربة البيت

حنان الشيخ
روائية لبنانية

❏ أعتقد أن الرجال أكثر حظوة في الظفر بجائزة نوبل، لأن النساء في مختلف دول العالم، من بلاد الإسكيمو إلى أوروبا ما زلن عاجزات عن التخلّي عن دور ربة البيت، فرغم الدرجات العلمية التي حصلن عليها والميادين المختلفة التي اقتحمنها، فإن معظم المهام المنزلية ما زالت منوطة بعهدتهن، ويقضين ساعات طويلة في الطبخ والتنظيف والعناية بالأطفال والتسوّق، وحتى بعد أن يصبحن جدات، فإنهن يبقين دائما على استعداد للتضحية بكل شيء من أجل صحة ورفاه الأبناء والأحفاد.

المرأة أشبه بالعصفورة التي تبني عشها قشة قشة، وتسعى جاهدة للمحافظة على زوجها وعلى صغارها، وما تبديه المرأة من حرص على أسرتها، يجعلها عاجزة عن تكريس نفس الجهد الذي يكرّسه الرجل في وظيفته وأبحاثه العلمية.

ولكن رغم الإجهاد والمسؤولية الأسرية الكبيرة الملقاة على عاتق المرأة عموما، فإنها لم تترك مجالا إلا واقتحمته ونجحت فيه عن جدارة، سواء كان ذلك في العلوم الطبيعية أو الطب أو الهندسة أو التكنولوجيا، وحتى في التخصصات الحديثة والنادرة، إلا أن التمييز بينها وبين الرجل يظل قائما في مختلف الدول حتى المتقدمة منها، والصعوبات التي تواجه المرأة هي نفسها في كل مكان من العالم، وتمنعها أحيانا من الترقي في السلم الإداري، ومن تقلد المناصب العليا.

وأنا ككاتبة لا أرى أيّ اختلافات متأصلة في القدرات الأكاديمية بين الجنسين، ولكنّ الفارق الكبير في تتويج الرجال بجائزة نوبل أكثر من النساء متجذر في القوانين والأعراف الاجتماعية، التي لا تزال تفضّل الرجال على النساء بوجه عام.

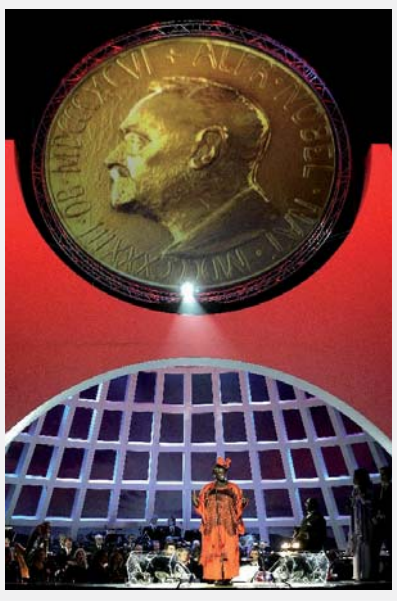

أضواء نوبل خافتة على إبداعات المرأة

الزوج المخلوع يواجهه رفض المجتمع

شخصية الشرقي تتأرجح بين مطرقة الطلاق وسندان الخلع

نظرة غير موضوعية تتحكم في مصير الرجل المخلوع ومستقبله

عندما تصل المرأة إلى طريق مسدود مع زوجها ويصعب عليها تحمل الحياة معه تلجأ إلى طلب الطلاق، وعندما يتعنت الرجل في تنفيذ رغبتها في الانفصال، يكون الخلع هو وسيلتها الوحيدة للحصول على حريتها والتخلص من حياتها الزوجية، وهنا لا تتأثر المرأة فقط بعد الانفصال لكن التأثير يلحق الرجل أيضا. فالرجل المخلوع يواجهه رفض كبير من المجتمع، ولا يكون من السهل عليه الارتباط مرة أخرى، حتى وإن لم يكن هو السبب وراء فشل العلاقة الزوجية الأولى، لكن نظرة المجتمع له تجعله غير مرغوب من قبل النساء لأنه مخلوع.

❏ **القاهرة – هل تقبلين الزواج من رجل مخلوع؟ سؤال تجيب عليه غالبية الفتيات بالرفض، كونهن ينظرن إليه على أنه كان سيء المعاملة لزوجته ويتصف بسوء المعاشرة وله الكثير من السلبيات، مما جعلها تلجأ إلى الخلع. وفي دراسة أجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة، وُجد أن نسبة النساء اللائي يرفضن الزواج من الرجل المخلوع تصل إلى أكثر من 61 بالمئة، حيث أنهن يعتقدن أن هذا الرجل يفقد اعتباره وجزءا كبيرا من رجولته بمجرد الخلع، لأنه لم يطلّق زوجته بإرادته وأجبرها على الحياة معه رغما عنها، لذلك فهو يجد صعوبة كبيرة في تقبله من قبل نساء أخريات باعتباره رجلا مخلوعا.**

وأظهرت الدراسة أن المصريات يرفضن الزواج من الزوج المخلوع، لأنه لم يكن صاحب القرار في الانفصال عن زوجته ولكنه أجبر على ذلك بعد أن اختارت الزوجة الطلاق منه، وجاء الرفض في الدراسة من كافة أنواع النساء من عذارى ومطلقات وأرامل وفتيات يعشن في سنّ العنوسة.

وأثبتت الدراسة أن 89 بالمئة من النساء يرفضن الارتباط بزوج مخلوع، ولم يقتصر هذا الأمر على المدن فقط بل وُجد في القرى أيضا، معتبرات أن الزوج المخلوع فقد جزءا كبيرا من شخصيته المجتمعية.

يشار إلى أن قانون الخلع الصادر في مصر سنة 2000 جاء لينصف الزوجة التي تريد الانفصال عن زوجها وضد تعنّت هذا الأخير في الاستجابة لرغبتها، معتبرا أن الطلاق حكر عليه وهو صاحب القرار الفصل.

وأوضحت سهير كامل، المشرفة على الدراسة، أن الفتيات يعتبرن الرجل المخلوع نموذجا غريبا لا يمكن الاعتماد عليه في حياة زوجية جديدة بسبب فشله في تجربته الأولى، لافتة إلى أنه على الرغم من تدنّي نظرة المجتمع للمرأة المطلقة التي لم تستطع تحمل زوجها، فإنها لم تصل إلى نفس الدرجة التي ينظر بها إلى الرجل المخلوع الذي رفضته زوجته.

وأشارت إلى أن نسبة كبيرة من أفراد أسرة الزوجة يجدون صعوبة في أن يتعايشوا مع زوج ابنتهم وقد خلعته زوجته الأولى، بينما يقبلون زواجها من مطلق، حيث وصلت هذه النسبة إلى 45 بالمئة و59 بالمئة، ووُجد أن أغلب الرجال المخلوعين لا يتقدمون لخطبة فتاة أخرى حتى لا يقابلون بالرفض والانتقاد من قبل الفتاة وأهلها.

وتعددت الأسباب التي ذكرتها المشاركات في الدراسة لرفضهن الارتباط بالرجل المخلوع، ومنها عدم احتمال الحياة مع رجل مخلوع ونظرة المجتمع للرجل الذي رفضت زوجته العيش معه والتساؤل حول الأسباب التي جعلت زوجته ترفض العيش معه.

وكشفت إحصائية أعدتها محكمة الأسرة المصرية، إلى أن 60 بالمئة من الرجال المخلوعين يخشون نظرة المجتمع لهم، و40 بالمئة من النساء يرفضن الارتباط برجل مرّ بتجربة الوقوف أمام محاكم الأسرة، و68 بالمئة من السيدات اللائي أقمن دعاوى ضد أزواجهن يرين أنهم يفتقدون لكل سمات الرجولة لذلك لم يستطعن الحياة معهم.

حول ذلك يقول أحمد مصطفى، أستاذ علم النفس الاجتماعي بالجامعة الأميركية في القاهرة "المشكلة تتمثل في ثقافة المجتمعات الشرقية التي أنشأت الولد على أنه الآمر الناهي في العلاقة الزوجية وبدونه تنفلت زمام الأمور، لذلك ينظر المجتمع إلى الرجل المطلّق على أنه قويّ الشخصية مسيطر لأنه طلق زوجته ولم تستطع التحكم فيه، أما الرجل المخلوع فهو ضعيف وفقد جزءا كبيرا من رجولته بسبب أن زوجته خلعته ولم تستطع العيش معه، فهو بذلك فقد جزءا كبيرا من هيبته، حتى ولو كان هو المظلوم في العلاقة".

وأكد مصطفى أن الإحصائيات تؤكد تراجع نسبة إقدام الرجل المخلوع على الارتباط والزواج مرة أخرى بسبب نظرة المجتمع له على الرغم من كونها نظرة غير موضوعية إلا أنها تتحكم في مصيره ومستقبله، فكلمة مخلوع في المدلول النفسي معناها المنبوذ والمرفوض.

ويلفت مصطفى إلى أن هناك العديد من الأسباب التي تقود المرأة إلى خلع زوجها، ولا تكون جميعها وصمة عار على الرجل، فبعض النساء يستخدمن أسبابا غير حقيقية وملتوية من أجل الحصول على حريّتهن، أو لوجود علاقة مع رجل آخر، وهنا تكون المرأة هي المذنبة، لذلك لا يجب رفض الرجل المخلوع لمجرد أن زوجته خلعته، لكن يجب الحكم من خلال شخصيته وطباعه وكيفية تعامله مع الآخرين، واعتبار أن الزواج الأول علاقة فاشلة لم تنجح في الاستمرار، كما على الرجل أن يحسّن من شخصيته ويعرف العوامل السلبية التي أدت إلى تخلص زوجته منه من خلال الخلع لكي يستطيع الدخول في علاقة عاطفية أخرى.

وعن نظرة المجتمع للرجل المخلوع، توضح رائدة حسين، أخصائية الصحة النفسية في مصر، أن نظرة المجتمع للرجل المخلوع من شأنها أن تؤثر بشكل سلبي على نفسيته، ففي كثير من الأحيان يكون الرجل المخلوع مظلوما، لذلك لا بد أن يثق المجتمع بهذه الشريحة، لأنه لا يوجد أيّ دافع لرفض هذا الرجل خاصة إذا كان مستقيما من ناحية الأخلاق، فلا بد من معرفة الأسباب التي أدت إلى الخلع في البداية، ثم الحكم عليه، وهل هذه الأسباب تمنعه من الارتباط مرة أخرى أم لا.

وأشارت حسين إلى أن رفض الرجل المخلوع من شأنه أن يصيبه بالعزلة والانطواء بسبب أنه غير مرغوب فيه من قبل الفتيات ومن قبل زوجته الأولى التي لم تستطع العيش معه، مؤكدة أنه لا يجب الحكم على هذا الرجل لمجرد أنه مخلوع وإطلاق العنان للخيال لكي يأخذنا إلى أشياء وهمية، فالرجل المخلوع ليس منتهيَ الصلاحية كما يصوّر للبعض، لكنه فشل في تجربته العاطفية مثله مثل أيّ شخص آخر.

وأكد مختصون في علم الاجتماع أن آثار الخلع لا تقل وطأة عن الآثار السلبية للطلاق على الحالة النفسية للأطفال خاصة في سن المراهقة، ونبهوا إلى عدم التباهي أمام الأبناء بالفوز بالخلع، والسعي إلى توضيح الأسباب التي أدت إليه دون المساس بصورة الشريك والحط من قيمته، حتى لا يفقد صورته ودوره الأساسي في حياتهم.

> الرجل المخلوع ليس منتهي الصلاحية كما يصور للبعض، لكنه فشل في تجربته العاطفية مثله مثل أي شخص آخر

طبق اليوم

أصابع الدجاج والباذنجان بالفرن

*** المقادير:**

- 10 أصابع دجاج مقرمشة ومقلية.
- 2 حبات باذنجان كبيرة بشكل طولي.
- نصف كوب جبنة موزاريلا مبشورة.
- 3 ملاعق بارميزان مبشور.

ثلث كوب جبنة شيدر مبشورة.

- كوب طماطم مفرومة.
- ملاعق كبيرة معجون طماطم.
- ملح وفلفل أسود.
- ملعقة صغيرة أعشاب إيطالية.
- نصف ملعقة صغيرة أوريغانو.
- ربع ملعقة صغيرة مجروش الفلفل الأحمر الحار.
- ملاعق كبيرة زيت زيتون.
- 2 فصوص ثوم مهروس..

*** طريقة الإعداد:**

- يقطع الباذنجان شرائح طويلة ويرش بالملح ويوضع جانبا مدة 15 دقيقة. ثم تجفف شرائح الباذنجان بمناديل المطبخ وتقلى بزيت خفيف ساخن في مقلاة واسعة حتى تطرى ولكن نصف نضج. ويلف كل أصبع من الدجاج بالباذنجان على هيئة رول ويوضع جانبا.
- في قدر صغير يوضع زيت الزيتون والثوم ويقلب ثم يضاف معجون الطماطم. تضاف الطماطم المفرومة والأعشاب والأوريغانو والفلفل الأسود والملح والفلفل المجروش وتترك الصلصة حتى تغلي. ويتم إحضار صحن عميق مناسب للفرن وللتقديم على السفرة.
- توزع الصلصة في الصحن ثم تصف رولات الباذنجان وتوزع الأجبان على الوجه. ويخبز في فرن ساخن وعلى حرارة 180 لمدة 25–20 دقيقة وتقدم أصابع الدجاج والباذنجان ساخنة مع الخبز أو الأرز.

موضة

تصاميم بمثابة جسر بين ثقافتين

❏ وقف المصمم اللبناني ربيع كيروز وسط الحضور يراقب مجموعته التي عرضت في افتتاح أسبوع الموضة بباريس مؤخرا، وتميزت المجموعة بأنوثة كبيرة وطغت عليها المعاطف الواسعة والسترات الطويلة والقصيرة والفساتين الطويلة والسراويل القصيرة والقمصان الطويلة شرقية التصاميم.

اشتهر ربيع كيروز، الذي قدمت راقصات من أوبرا باريس مجموعته الأخيرة في عرض راقص، بتصاميمه التي تمزج بين الخياطة المتقنة والذوق المرهف.

استوحى كيروز تصاميمه من لباس العمل وأكد قائلا "ما من أسلوب أرقى من ذاك الذي يرتدي فيه العامل ثيابه"، موضحا "عندما ترون لحّاما يرتدي مريلته ويعمل، تجدون الجمال في الشكل والفعل. وعندما تلتقون به من دون مريلته، لا تنظرون إليه بالطريقة عينها. والأمر سيان بالنسبة إلى الطبيب وقميصه الأبيض الطويل".

وأضاف "هناك طابع عملي جدا وواق، فالشخص يتحول إلى إنسان آخر عندما يرتدي بزة العمل. وأحب جدا هذا الطابع الواقعي".

ينتقل كيروز بين باريس وبيروت معتبرا تصاميمه بمثابة جسر بين ثقافتين، حيث قال موضحا إن "الملابس الشرقية مريحة إلى درجة أكبر، ويشعر المرء براحة داخلها، في حين أن الملابس الغربية هي أكثر تماشيا مع أسلوب العيش في المدن وهي أكثر عملية".

ينتظرون الثواب ممن ربوهم على العقاب

سماح بن عبادة
صحافية من تونس

❏ ينتظر الوالدان الكثير من أبنائهما بدءا بالشكر والاعتراف بمكانتهما في حياتهم وصولا إلى الاعتناء بهما كبارا في السن. وفي زحمة المشاغل ومتطلبات الحياة اليومية وبسبب ثقافتهم التربوية العرجاء والتي تقوم على العقاب والمحاسبة والصرامة –في أغلب الأحيان– يغفل الأولياء عن تلقين أبنائهم معاني الامتنان والشكر والاعتراف بالجميل. فكيف ينتظرون الثواب ممّن تربى على العقاب فقط؟

يتقلد أغلب الآباء والأمهات في الأسر التقليدية ثوب الصرامة والحزم مع أبنائهم ويتعمدون معاملتهم بقسوة وحزم وشدة لأنه في ثقافتهم ووعيهم هكذا تكون التربية السليمة. هكذا تربوا وهكذا يربون أبناءهم. يعاقبون الابن والبنت عندما يخطئان ويحاسبونهما على كل خطوة يخطوانها ويرسمون لهما الحدود التي لا يجب تجاوزها في كل شيء. وعندما يأتي الأبناء سلوكا جيدا أو يبادرون بفعل ما يسرهم حتى لو كان ذلك على حساب رغبتهم فإنهم يعتبرون ذلك عاديا ولا يبدون شكرهم وثناءهم عليهم.

ثقافتنا العربية التربوية تقوم في أغلب الأحيان على العقاب وتهمل الثواب. تركّز على التقريع واللوم وتتناسى الثناء والشكر. من هذه الزاوية أراها عرجاء. فنحن في أسرنا التونسية نادرا ما نرى الأب أو الأم يشكران ابنهما لأنه أطاعهما في أمر حتى لو كان بسيطا. نفس الشيء فيما بينهما فعندما تقدم الزوجة لزوجها طعامه مثلا لا يقول لها شكرا. بينما نسمع بشكل متواتر أكثر اللوم والتقريع وحتى الشتم في أرجاء بيوتنا.

وعندما تجالس أسرا من ثقافة أخرى تلفت انتباهك هذه السلوكيات فترى الزوجة تطلب من زوجها بلطف "من فضلك ناولني كأس الماء" يبتسم هو ويقدمه إليها بسرور وأمام الأبناء تقول هي "شكرا لك" فيجيبها "عفوا عزيزتي". تبدو للبعض هذه مسألة تافهة لا تستدعي الاهتمام ولكنها تمرّر طريقة التصرف بشكل ضمني للأبناء الذين بالطبع يحذون حذو والديهم. فيكررون نفس عبارات الشكر عندما يقدم إليهم ما يطلبون. يزرع في داخلهم هذا السلوك بما فيه من لطف في التعامل وجمالية في الردود. فتراهم يقولون ماما من فضلك ناوليني كذا ثم يشكرونها على ذلك. وبالمقابل يرحبون بطلبها شيئا منهم ويطيعونها بابتسامة وسرور.

هذه الردود والتصرفات البسيطة تحمل تداعيات تربوية كبرى فالطفل الذي يشكر والديه والمحيطين به حتى على واجبهم أكيد أنه سوف يقدم أكثر من الشكر عندما يلقى ما هو أكثر من الواجب، عندما يتعلم الشكر يتعلم الامتنان والاعتراف بالجميل بشكل أوتوماتيكي. عندما نثني على تصرفاته ونشكره ونمدحه ننمي في داخله الثقة بالنفس والحب للسلوكيات الجيدة والمحببة لدى عائلته. هذا ليس رأيي الخاص بل هذا ما تؤكده بحوث ودراسات المختصين في التربية وفي علم النفس.

عندنا توجه الأوامر بجفاف لا تقدم في شكل طلب فلا نقول من فضلك أو إن سمحت أو شكرا، ولا نثني على الطفل وهو ما نجد صداه في وعينا الجماعي وفي ثقافتنا. في مقولات مثل: لا نقول للمحسن أحسنت (لأنه واجبه أو أمر مفروغ منه) لكن نقول للمسيء أسأت. هذا ما يطبقه الوالدان مع أبنائهما ببساطة فيتجاهلان الشكر ويعلان اللوم والتقريع ثم العقاب. وتجد الآباء والأمهات اليوم، والذين على ما يبدو يكتسبون مستوى ثقافيا جيدا يناقشون طرق العقاب الأقل تأثيرا على الطفل لكن لا تسمعهم يتحدّثون حول طرق المكافأة والثواب.

وما يلفت الانتباه أكثر في طرق تربيتنا لأبنائنا أننا لا نعاملهم فقط بحزم وشدة بل نلقنهم القسوة وخاصة الذكور. فكثيرا ما يردد الوالدان على مسامع الابن: لا تبك فأنت رجل، ودافع عن نفسك وكن عنيفا مع من يعنّفك أو يحاول ذلك فأنت رجل.. وغيرها من التوصيات التي لا تعلّمه إلا القسوة والعنف.. وتبين له أن البكاء ضعف وأن الرجل لا يجب أن يبكي لأنه قويّ دائما. جلّ النصائح والدعوات المقدمة للطفل الذكر تربّي فيه القسوة وتلقنه أن الحنان ورهافة الإحساس والبكاء جميعها تقصي رجولته لأنها مدخل الضعف.

وعندما نربط انتظارات الوالدين من أبنائهما بطرق التربية اللامتوازنة التي تحدثنا عن جوانب منها، وحين نتناولها من زاوية الفعل والنتيجة تقفز العديد من التساؤلات أمامنا من بينها كيف ننتظر الشكر والبر والامتنان من أبناء ربيناهم على العقاب بدون ثواب وعلى القسوة كأبرز دلالات الرجولة؟ كيف نريد أن تكون لديهم شخصيات متوازنة ونحن ربيناهم بتربية أحادية الاتجاه تعترف فقط بالأخطاء؟ ثم هل يمكن أن يصبح هؤلاء شبانا وكهولا يتعاملون بلطف وعدالة مع عائلاتهم والمحيطين بهم؟

إنريكي قائد العملاق الكاتالوني يصارع المجهول

صمت ميسي وضجيج ألفيس يضعان برشلونة على حافة الهاوية

يمر فريق برشلونة الإسباني بفترة عدم توازن سواء على مستوى النتائج أو على مستوى الاستقرار الفني والإداري، وذلك بعد تنامي الشائعات حول رحيل المدير الفني للنادي في نهاية الموسم الحالي وكذلك هجوم داني ألفيس اللاعب السابق للنادي الكاتالوني ضد إدارته.

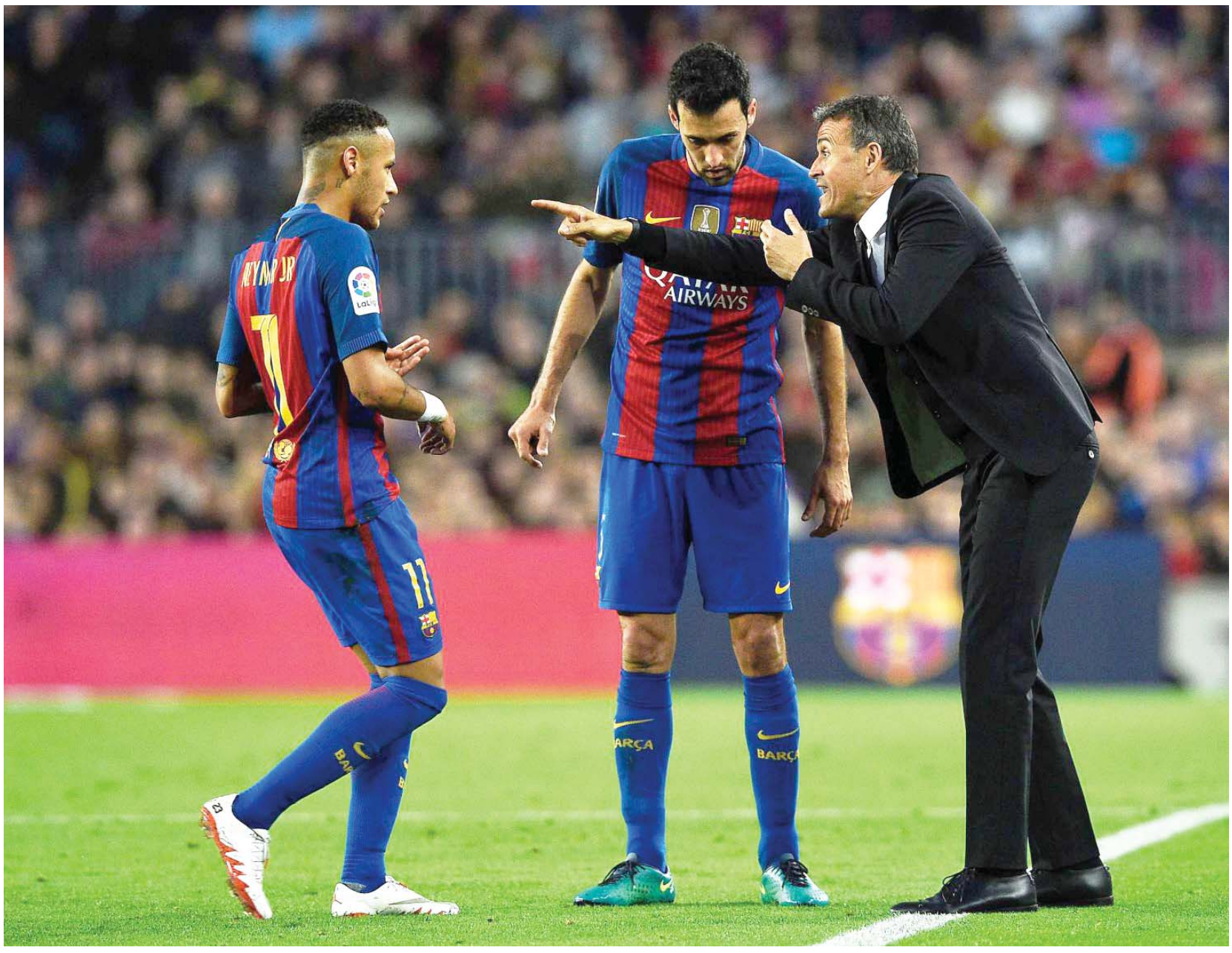

أبواب الرحيل عن تدريب برشلونة تفتح على مصراعيها أمام إنريكي

❏ **مدريد – ظهرت دلائل وعلامات الشعور بالإحباط وخيبة الأمل على نادي برشلونة الإسباني، فها هو ليونيل ميسي لا يحتفل بتسجيل هدف حاسم، كما أصبحت مدرجات ملعب "الكامب نو" تضج بصافرات الاستهجان ضد اللاعبين، فكل هذه الأحداث التي وقعت لسان الحال فيها يغني عن المقال، فقد بات برشلونة مطالبا بالظهور بشكل إيجابي على الأقل من الناحية المعنوية عقب هزيمته المذلة برباعية نظيفة أمام باريس سان جيرمان في بطولة دوري أبطال أوروبا، ولكن ما حدث في مباراته أمام ليجانيس جاء على عكس المنتظر.**

ففي واقع الأمر ظهر ليجانيس المتواضع، الذي صعد هذا الموسم إلى دوري الأضواء والذي وجد نفسه في الوقت الراهن غارقا في صراع الإفلات من الهبوط، بشكل أفضل من برشلونة على ملعب "الكامب نو" وسنحت له فرص أكثر خطورة من تلك التي سنحت لأصحاب الأرض الذين أفلتوا من السقوط في فخ التعادل بركلة جزاء تصدى لها ميسي بنجاح قبل دقيقتين فقط من انتهاء المباراة.

لم يظهر اللاعب الأرجنتيني أيّ إيماءة تعبّر عن فرحته باقتناص نقاط المباراة الثلاث، وهو نفس حال المدافع جيرارد بيكيه، الذي اعتاد في مواقف مشابهة إظهار فرحة عارمة، ولكنّه بقي هذه المرة في مكانه على مقاعد البدلاء بملامح جامدة، كما لو كان أحد عناصر الفريق المنافس.

وأزالت تلك المباراة بكل صدق النقاب عن الوضع الحالي للفريق الكاتالوني، الذي بات لا يحكم سيطرته على مجريات اللعب في المباريات، وتوارى وسط ملعبه عن الأنظار وأصبح بلا فاعلية، بالإضافة إلى غياب التواصل بين الخطوط وتهديد المنافسين لمرماه بكل سهولة، ليبقى طوق النجاة الوحيد له مرتبطا بما قد يتفتق ذهن مهاجميه للقيام به، وهو ما أضحى قليلا في الفترة الأخيرة.

وحضر اللقاء 63 ألفا وهو أقل عدد يحضر مباراة لبرشلونة في "الكامب نو"، الذي يتسع لـ100 ألف شخص. وشن الحاضرون طوال المباراة هجوما كبيرا على اللاعب البرتغالي أندريه غوميش، ولم يتركوا فرصة إلا وأطلقوا في مواجهته وابلا من صافرات الاستهجان، الأمر، الذي طال أيضا مدرب الفريق لويس إنريكي.

فجوة كبيرة

كشفت هذه الصافرات الفجوة الكبيرة، التي أصابت غرفة ملابس برشلونة وبدأت رقعتها في الاتساع مع كل مباراة، حيث أكد الألماني مارك أندريه تيرشتيغين، حارس مرمى برشلونة أنه لا يستطيع أن يتفهم صافرات الاستهجان، فيما طالب لويس إنريكي الجماهير بتوجيه هذه الصافرات له وليس للاعبين.

وتزامنت كل هذه التوترات مع المقابلة الصحافية الصادمة للاعب البرازيلي داني ألفيس، نجم برشلونة السابق، مع صحيفة "إيه بي سي" الإسبانية، والتي قال خلالها "من يقودون برشلونة حاليا ليست لديهم أيّ فكرة عن كيفية التعامل مع لاعبيهم".

وجاء الدور على خوان لا بورتا، الرئيس السابق للنادي الإسباني والعدو اللدود للإدارة الحالية، ليصطاد في الماء العكر، مستغلا الفترة السيئة، التي يمر بها النادي، حيث قال عبر مواقع التواصل الاجتماعي "الفريق يعاني والجماهير منقسمة ولاماسيا (قطاع الناشئين في برشلونة) مفككة".

وبالنظر إلى ما قاله ألفيس عن الإدارة في برشلونة وعن سوء أدائها في التعامل مع اللاعبين، يبقى صمت ميسي خارج الملعب أيضا أمرا ذا معنى، فلا أحد يعرف شيئا عن مسألة تجديد تعاقده، وكل يوم يمرّ تتزايد الشكوك في نفوس أنصار النادي الكاتالوني حول هذا الموضوع.

وفي نفس الوقت تتحدث العديد من وسائل الإعلام عن توتر في العلاقة بين لويس إنريكي ولاعبي الفريق، كما ادعت وسائل الإعلام أيضا أن النادي يبحث عن مدرب يخلفه، بل وتم ترشيح بعض المدربين أيضا لهذه المهمة من بينهم الأرجنتيني خورخي سامباولي مدرب إشبيلية وأرنستو فالفيردي مدرب أتلتيكو بيلباو.

وقد أبدى مسؤولو نادي برشلونة دهشتهم من الهجوم الشديد الذي تعرضوا له من لاعب الفريق ألفيس. ونقلت صحف كاتالونية على لسان مسؤول بنادي برشلونة أن الإدارة لا تفهم سبب التصريحات اللاذعة لألفيس، مضيفا "لا تشكل أيّ إزعاج لنا أو ضرر علينا، ولا تعني شيئا بالنسبة إلينا".

كما برر مسؤول النادي الكاتالوني سبب هجوم اللاعب البرازيلي، ملمّحا "قد يكون ألفيس لم يتوقع أو يتقبل أن نقول له لا". وكان داني ألفيس وصف طاقم إدارة برشلونة بأنهم أشخاص كاذبون، ولا يجيدون التعامل مع نجوم الفريق في الفترة الأخيرة، وأنهم عرضوا عليه تجديد عقده فقط عندما تعرض النادي لعقوبة من الاتحاد الدولي لكرة القدم بمنعه من التعاقدات لمدة عام كامل.

كما أشارت الصحف إلى أن إدارة برشلونة في دهشة من تصريحات ألفيس، خاصة أن اللاعب ذاته تصافح مع جوسيب ماريا بارتوميو رئيس البارسا بحرارة شديدة خلال حفل الاتحاد الدولي، الشهر الماضي في زيوريخ.

يضاف كل ما سبق إلى المشكلات الأخرى، التي تعاني منها إدارة النادي، فقد أصبح لزاما على برشلونة رسميا أن يقف بين صفوف المتهمين في قضية صفقة ضم نيمار، إلى جانب قضية شركة "دي أي إس" البرازيلية، التي كانت تمتلك حقوق رعاية اللاعب، والتي اتهمت النادي الكاتالوني بتزوير القيمة المالية للصفقة.

وتحت وطأة هذه الظروف يستعد برشلونة لمباراته المقبلة في الدوري الإسباني أمام أتلتيكو مدريد، بالإضافة إلى حاجاته لإعادة شحن معنوياته من أجل عودة إعجازية أمام باريس سان جرمان في مباراة الإياب لدور الستة عشر لبطولة دوري أبطال أوروبا. ولكن من أجل هذا الغرض يجب أن تتغير الكثير من الأشياء وأن تتوافر أجواء أكثر إيجابية، فبرشلونة في الوقت الراهن هو مجرد فريق يعاني من الإحباط ويحتاج إلى اللجوء إلى أسلوب العلاج بالصدمة.

أسباب الأزمة

تواصل الصحف ووسائل الإعلام الإسبانية كشف أسباب الأزمة التي يعيشها فريق برشلونة هذا الموسم، وفجرتها الخسارة الثقيلة أمام باريس سان جرمان برباعية نظيفة في ذهاب دور الـ16 لدوري أبطال أوروبا. وأوضحت صحيفة "دياريو غول" الإسبانية أن أحد عوامل نكسة برشلونة، هو افتقاده للاعب وسط لديه حلول مهارية، ودور في نقل الهجمة للأمام، خاصة مع الإصابات المتتالية لأندريس إنييستا منذ رحيل معاونه في الوسط تشافي هرنانديز منذ موسمين. وأضافت الصحيفة، أن أندريه غوميز لم ينجح في سدّ الفراغ الفني الذي خلفه رحيل تشافي أو تعويض إنييستا في حالة إصابته. وأشارت أيضا إلى أن ثلاثي الهجوم ليونيل ميسي ونيمار ولويس سواريز، لن يفعلوا كل شيء بمفردهم، بل إنهم بحاجة لمساندة قوية في خط الوسط، بضم لاعب يحمل مواصفات الحمض النووي للفريق الكاتالوني.

ورشح تقرير الصحيفة خمسة لاعبين ينقذون البارسا، يأتي على رأسهم ساؤول نيغويز لاعب أتلتيكو مدريد، إلى جانب تياغو ألكانتارا الذي يتألق حاليا بقميص بايرن ميونيخ الألماني بعدما فرط برشلونة فيه. وتشمل قائمة المرشحين كذلك، فيليب كوتينيو نجم ليفربول الإنكليزي، الذي يحظى بتأييد شديد من نيمار زميله بمنتخب البرازيل، إضافة إلى كل من إيسكو الذي اقترب من الرحيل عن صفوف ريال مدريد، وكذلك الإيطالي ماركو فيراتي لاعب باريس سان جرمان.

وذكرت تقارير صحافية إسبانية، أن هيكتور بيليرين، ظهير فريق أرسنال الإنكليزي، أقرب المرشحين لتدعيم الجهة اليمنى في برشلونة، للموسم المقبل. وقالت صحيفة "موندو ديبورتيفو" الإسبانية، إن برشلونة أخطأ عندما رفض استثمار أمواله في ظهير أيمن الصيف الماضي، مفضلا الاعتماد على سيرغي روبيرتو في هذا المركز، إلى جانب أليكس فيدال. وأضافت الصحيفة "إدارة البارسا تسعى لتصحيح هذا الخطأ، ومن ضمن الأسماء المطروحة نجد البرتغالي جواو كانسيلو، وهو جيد جدا هجوميا إلا أن لديه أوجه قصور كبيرة فيما يتعلق بالشق الدفاعي".

وتابعت "مارتن مونتويا انتزع المركز الأساسي بتشكيلة الخفافيش من كانسيلو في الفترة الأخيرة، لذلك فإن بيليرين (21 عاما) هو المرشح الأنسب فنيا لبرشلونة". وأردفت "بيليرين يملك الجودة، والقدرة الهجومية والدفاعية، كما أنه تطوّر في هذا الشق في السنوات الأخيرة، وبالرغم من صغر سنه إلا أنه يتمتع بخبرة كبيرة ويلعب لأحد فرق النخبة (أرسنال) في دوري تنافسي مثل الدوري الإنكليزي". وتابعت "بيليرين لعب في ناشئي برشلونة ولديه الحامض النووي لبرشلونة، ولكن المشكلة التي تواجه البارسا هي تجديد هيكتور لعقده مع الجانرز حتى 2023".

وواصلت "بالتالي سيكلف انتقال بيليرين إلى "الكامب نو"، خزائن برشلونة الكثير من المال، البارسا يدرك أن اللاعب يرغب في العودة ولكن يجب أن يضمن الحصول على راتب أعلى مما يتقاضاه في أرسنال".

وأنهت الصحيفة تقريرها بالقول "الخبر الجيد أن معلمه أرسين فينغر يبدو في أيامه الأخيرة مع أرسنال، وإذا رحل فينغر سيكون بيليرين أقرب للرحيل عن الغانرز والعودة إلى برشلونة".

وعلق الفرنسي زين الدين زيدان، مدرب ريال مدريد، على الحالة، التي يمر بها الغريم التقليدي برشلونة، خلال الأيام الماضية. وتعرض البلوغرانا، لخسارة تاريخية، أمام باريس سان جيرمان الفرنسي، برباعية دون رد، وهي الهزيمة التي هزت أركان النادي الكاتالوني.

ويحتاج البلوغرانا لمعجزة خلال مواجهة الإياب التي سيحتضنها ملعب "الكامب نو" يوم 8 من الشهر المقبل، حيث يتعين عليه الفوز بخمسة أهداف نظيفة من أجل بلوغ دور الثمانية. وقال زيدان "لا أعتقد أن برشلونة في أزمة".

نفق مظلم

ما يعمّق من أزمة عملاق كاتالونيا هو عدم توصل الأرجنتيني ليونيل ميسي، نجم فريق برشلونة، لاتفاق مع إدارة النادي من أجل تجديد تعاقده، والذي ينتهي صيف 2018، وإلى حد الآن وصلت المفاوضات بين الطرفين إلى نفق مظلم.

ووفقا لصحف إسبانية، فإن والد ميسي ووكيل أعماله خورخي، عاد إلى الأرجنتين دون أن يحدث أي تقدم ولو لخطوة واحدة، نحو تمديد عقد نجله مع النادي الكاتالوني.

وأضافت الصحف "الأمور ستكون أصعب وأطول مما يعتقد الكثيرون، ومع مرور كل يوم الأمر سيكون أكثر تكلفة لمصلحة اللاعب".

يذكر أن جوسيب بارتوميو رئيس نادي برشلونة، أكد في أكثر من مناسبة رغبته في الإبقاء على البرغوث الأرجنتيني حتى الاعتزال داخل جدران النادي الكاتالوني.

وأشارت عدة تقارير صحافية، إلى أن ميسي يرغب في رحيل لويس إنريكي المدير الفني للفريق، بالإضافة إلى عدد من اللاعبين من أجل تمديد عقده، كوسيلة ضغط على إدارة برشلونة.

> **النجم الأرجنتيني ميسي يرغب في رحيل لويس إنريكي المدير الفني للفريق، بالإضافة إلى عدد من اللاعبين من أجل تمديد عقده، كوسيلة ضغط على إدارة برشلونة**

تشيلسي يسحق سوانزي سيتي بثلاثية بنكهة إسبانية

سندرلاند يواصل نزيف النقاط متذيلا ترتيب الدوري الإنكليزي

عزز فريق تشيلسي موقعه في صدارة الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم بفضل فوزه على ضيفه سوانزي سيتي 3/1 السبت، في المرحلة السادسة والعشرين من المسابقة.

«البلوز» يغرد وحيدا

❑ **لندن** – حقق تشيلسي، السبت، على ملعب ستامفورد بريدج فوزا بنكهة إسبانية على ضيفه سوانزي سيتي 3/1، حيث جاءت الأهداف الثلاثة للفريق بتوقيع سيسك فابريغاس وبيدرو رودريغيز وديغو كوستا في الدقائق 19 و72 و84، فيما تكفل الإسباني الآخر فيرناندو يورينتي بتسجيل الهدف الوحيد لسوانزي في الوقت بدل الضائع من الشوط الأول.

ورفع الفوز رصيد "البلوز" في الصدارة إلى 63 نقطة وتجمد رصيد سوانزي عند 24 نقطة في المركز الخامس عشر.

وجاءت أول فرصة لتشيلسي بعد مرور خمس دقائق عبر تسديدة قوية من بيدرو رودريغيز، لكن الكرة مرت من فوق العارضة.

وكادت الدقيقة 12 تشهد هدف السبق لتشيلسي بعد هجمة مرتدة سريعة انتهت عند دييغو كوستا الذي مرر إلى إدين هازارد ليراوغ النجم البلجيكي اثنين من مدافعي سوانزي، قبل أن يعيد الكرة على خط منطقة الجزاء إلى فابريغاس الذي سدد بقوة، ولكن الكرة ارتطمت بأقدام المدافعين وخرجت إلى ضربة ركنية.

وتقدم سيسك فابريغاس بهدف لتشليسي في الدقيقة 19 بعد مجهود جماعي رائع بين هازارد وكوستا وبيدرو، قبل أن يمرر الأخير الكرة لفابريغاس داخل منطقة الجزاء ليسدد في أقصى الزاوية اليمنى للحارس لوكاس فابيانسكي.

> أهداف المباراة الأربعة أتت كلها من أقدام إسبانية، حيث سجل لـ«البلوز» كل من سيسك فابريغاس وبيدرو رودريغيز وديغو كوستا، في حين تكفل الإسباني الآخر فيرناندو يورينتي بتسجيل الهدف الوحيد لسوانزي

وكان فابريغاس قريبا جدا من تسجيل الهدف الثاني له ولفريقه في الدقيقة 27 عبر تسديدة قوية من داخل منطقة الجزاء، ولكن فابيانسكي تصدى للكرة ببراعة.

وحاول جيلفي سيجوردسون أن يجرب حظه بتسديدة بعيدة المدى، ولكن الكرة وصلت سهلة في أحضان الحارس تيبو كورتوا.

وقبل دقيقتين من نهاية الشوط الأول كان بيدرو قريبا جدا من تسجيل الهدف الثاني لتشيلسي بعدما قطع مشوارا ماراثونيا وراوغ أكثر من مدافع قبل أن يسدد كرة قوية من داخل منطقة الجزاء، ولكن ألفي ماوسون نجح في إبعاد الكرة.

وعلى عكس سير اللعب تماما خطف سوانزي هدف التعادل في الوقت بدل الضائع من الشوط الأول عن طريق فيرناندو يورينتي عبر ضربة رأس، مستغلا ضربة حرة نفذها سيجوردسون من منتصف الملعب.

ومع بداية الشوط الثاني استأنف تشيلسي نشاطه الهجومي الذي كاد يسفر عن هدف في الدقيقة الأولى عن طريق هازارد عبر تسديدة صاروخية من على خط منطقة الجزاء، ولكن فابيانسكي أنقذ مرماه من هدف مؤكد.

وضاعت فرصة أخرى محققة لتشيلسي في الدقيقة 51 بعد مجهود رائع من هازارد قبل أن يمرر إلى فابريغاس على خط منطقة الجزاء ليسدد نجم الوسط الإسباني كرة قوية، ولكن العارضة وقفت له بالمرصاد.

وطالب لاعبو سوانزي بضربة جزاء بعدما لمست الكرة يد سيزار إزبيليكويتا، لكن الحكم أمر باستمرار اللعب.

ونجح بيدرو في تسجيل الهدف الثاني لتشيلسي في الدقيقة 72 بعدما تلقى تمريرة من فابريغاس على بعد 25 مترا من المرمى، ليسدد كرة قوية ارتطمت بأرض الملعب ومرت من بين أيدي فابيانسكي إلى داخل الشباك.

وقبل ست دقائق من نهاية المباراة سجل دييغو كوستا الهدف الثالث لتشيلسي بعدما تلقى تمريرة أمام المرمى مباشرة من هازارد، ليسدد بشكل مباشر إلى داخل الشباك.

ومرت الدقائق الأخيرة وسط مزيد من المحاولات من جانب تشيلسي تقابلها محاولات على استحياء من سوانزي، لكن دون أن ينجح أيّ منهما في هز الشباك.

وفي باقي المباريات فاز إيفرتون على ضيفه سندرلاند 2/صفر، ووست بروميتش البيون على ضيفه بورنموث 1/2 وكريستال بالاس على ضيفه ميدلسبره 1/صفر وتعادل هال سيتي مع بيرنلي 1/1.

وقاد لاعب الوسط السنغالي إدريسا جاي والبلجيكي الدولي روميلو لوكاكو فريقهما إيفرتون للفوز على ضيفه سندرلاند بهدفين نظيفين في الدقيقتين 40 و80.

ورفع الفوز رصيد إيفرتون إلى 44 نقطة في المركز السابع، وظل سندرلاند في المركز العشرين الأخير برصيد 19 نقطة. ونجح وست بروميتش ألبيون في تحويل تأخره بهدف أمام ضيفه بورنموث إلى الفوز 2/1.

وتقدم جوشوا كينغ بهدف لبورنموث من ضربة جزاء في الدقيقة الخامسة، ثم تعادل كريج داوسون لوست بروميتش في الدقيقة العاشرة قبل أن يتكفل جاريث مكاولي بهدف الفوز في الدقيقة 22.

ورفع الفوز رصيد وست بروميتش إلى 40 نقطة في المركز الثامن وتجمد رصيد بورنموث عند 26 نقطة في المركز الرابع عشر.

وقاد المدافع الهولندي باتريك فان أنهولت فريقه كريستال بالاس للفوز على ضيفه ميدلسبره بهدف نظيف سجله في الدقيقة 34.

ورفع كريستال بالاس رصيده إلى 22 نقطة ليتقدم من المركز التاسع عشر إلى السابع عشر بفارق الأهداف خلف ميدلسبره صاحب المركز السادس عشر.

وتعادل هال سيتي مع ضيفه بيرنلي 1/1، ليحصد كل منهما نقطة واحدة، وبذلك رفع هال سيتي رصيده إلى 21 نقطة في المركز التاسع عشر مقابل 31 نقطة لبيرنلي في المركز الحادي عشر.

وتقدم توم هودلستون بهدف لهال سيتي في الدقيقة 72، ولكن بعد أربع دقائق فقط أدرك مايكل كين التعادل لبيرنلي.

هنري وزيدان.. وفارس الإمارة

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❑ خلّد التاريخ ذكريات مجيدة في مسيرة موناكو، ذلك النادي الفرنسي الذي تمكن في نهاية القرن الماضي من تحقيق نتائج رائعة، إذ تربّع على عرش الدوري المحلي وكان بحق فريقا مهابا قويا ولا يبالي بالفرق الأخرى.

موناكو دوّن بلا شك تلك النجاحات اللافتة، والسبب في ذلك، ربما ببساطة، لأنه كان يملك "ماكينة أهداف" لا تهدأ ولا تملّ، كان الفريق آنذاك يضم في صفوفه الهداف التاريخي في الكرة الإسبانية تيري هنري ومعه أيضا ديفيد تريزيغيه الذي شكّل مع مواطنه قوة هجومية ضاربة أسعدت فريق الإمارة، وطارت به نحو السماء.

في تلك الفترة كان من الصعب الصمود أمام إغراءات الأندية القوية في أوروبا، وكان من البديهي أن يغادر هنري نحو فضاء أرحب، ورحل أيضا تريزيغيه تاركين موناكو يكابد ويكافح كي ينجب لاعبين موهوبين قل ونذر أن يجود بهما الزمان في هذا النادي.

مرّت السنوات وتغيرت الأوضاع، تسابقت المواسم وتسارعت خطواتها، والفريق مازال يحلم بأن يأتي اليوم الذي يجيئه بلاعب فذ وموهوب يكون بمقدوره استحضار عبق الماضي.

عام يتلو الآخر، حوالي عشرين سنة مرت، ثم حان الوقت ودقت الساعة، هي ساعة استحضار تلك الذكريات الطيبة التي كان خلالها هنري يصول ويجول ويبدع ويسجل الأهداف، فاليوم ربما حق لجماهير نادي الإمارة أن تتحدث عن ميلاد لاعب جديد بارع وهداف وقناص ومرعب للحراس لديه كل المميزات التي تجعله المهدي المنتظر والخليفة الوحيد لتيري هنري.

إنه صاحب الثمانية عشر ربيعا كيليان مبابي الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، فهو الهداف الجديد والنجم الذي لا يشق له غبار والقناص الذي برهن منذ إطلالته ولمساته الأولى أنه سائر على درب السلف المتألق في الإمارة وفي مقدمتهم هنري.

بنظرات بريئة وشغف المتلهف للتألق، بإبداعات النجوم وسحر الهدافين العباقرة والموهوبين بدأ هذا الفتى يشق طريقه بسرعة البرق في عالم المشاهير وكبار اللاعبين ليس في موناكو أو فرنسا فحسب، بل في أوروبا بأسرها، لقد أسر قلوب كل المتابعين للدوري الفرنسي وانتزع الإعجاب، والأكثر من ذلك أنه تمكن من تحقيق حلم عشرين سنة من الانتظار والصبر في الإمارة، هو حلم "استنساخ" هداف بالفطرة بقيمة هنري ومميزاته وتحركاته وانطلاقاته.

في سنة 1998، وحينما كانت كل فرنسا منتشية بحصول منتخب "الديكة" على لقب كأس العالم الذي أقيم في أراضيها، ولد كيليان مبابي في سنة استثنائية وتاريخية عرفتها الكرة الفرنسية.

ربما بدا وكأنه نهل في سنته الأولى من ذلك التتويج التاريخي لمنتخب بلاده، وكأنما زرعت فيه موهبة فطرية كان يكتسبها سلفه هنري المتوّج مع المنتخب الفرنسي باللقب العالمي، فترعرع بعد ذلك على حب كرة القدم، في نشأته الأولى كان يتلقى أصول الكرة في فريق مغمور موجود في ضواحي العاصمة الفرنسية باريس، بيد أنه ثابر وعمل وانتظر فرصته كي يفجّر كل طاقاته ومواهبه، وبما أن القدر أراد أن ينصّبه خليفة شرعيا لهنري في الإمارة التي سئمت انتظار فارسها الجديد، فتحت أمامه أبواب المجد والشهرة والتألق المحلي من الباب الواسع، ففي أقل من موسم قدّم أوراق اعتماده ليكون هذا الفارس المغوار والهداف الاستثنائي في موناكو.

ابن الثمانية عشر عاما نجح منذ بداية الموسم في تقديم مستوى رائع ومذهل، بل إنه وفق في تسجيل 12 هدفا وصنع ثمانية أهداف في مجموع 25 مباراة خاضها إلى حد الآن ضمن الدوري المحلي، لم يكن الجميع في أوروبا يعرفه، فعدد قليل من المتابعين والفنيين أدركوا لوحدهم موهبة "هنري الجديد".

في الأثناء قدمت المباراة الشهيرة والتاريخية التي جمعت بين مانشستر سيتي وموناكو ضمن منافسات دوري أبطال أوروبا رسميا مبابي للجمهور العريض، فهذا اللاعب الفتيّ قدم مستوى رائعا، بل ونجح في أن يكون أحد أصغر اللاعبين الذين يسجلون في أمجد الكؤوس القارية، والأهم من ذلك أنه أكد لكل من تابعه في تلك المباراة أنه بحق خليفة هنري في الفريق الفرنسي.

اليوم وبعد أقل من أسبوع على تلك المباراة التاريخية بدأت عدة أندية أوروبية عريقة في السعي لانتدابه، فهذا اللاعب قدّم ما يشفع له وزيادة بأن يكون أحد أبرز اللاعبين في العالم خلال السنوات القادمة، اليوم وقبل انتهاء الموسم الحالي بدأت العروض تتهاطل على إدارة فريق الإمارة من أجل التعاقد مع الفارس الجديد.

في المقابل، أتى العرض الأكثر جدية من ابن البلد زين الدين زيدان مدرب ريال مدريد حاليا ونجم منتخب فرنسا سابقا، لقد كان صديقا حميما لهنري ولم تفرقهما الألوان بما أن كليهما لعب لفترات طويلة مع فريقين مختلفين.

زيدان الذي كان في السابق يتمنى أن يكون دوما إلى جانب هنري الذي يفهمه جيدا ويفهم أسلوب لعبه، يبدو أنه سيحقق تلك الأمنية قريبا، ليس مع هنري، لكن مع خليفته، فـ"زيزو" تابع منذ ما يزيد عن أربعة مواسم هذا الفتى مبابي عندما كان يبلغ 14 ربيعا ويلعب ضمن فرق الشباب، وبما أن ابن البلد غالبا ما يكون أفضل سند، فإن مبابي خليفة هنري وفارس الإمارة قد يكون أيضا خليفة الفرنسي الآخر كريم بن زيمة، لكن هذه المرة في القلعة البيضاء بتوصية خاصة من زيدان.

الجزيري يصطدم بموراي في بطولة دبي للتنس

❑ **دبي** – أوقعت قرعة بطولة دبي للتنس للرجال التي جرت السبت بقاعة المجلس في إستاد "سوق دبي الحرة"، ممثلي تونس والإمارات، مالك الجزيري وعمر بهروزيان على التوالي، أمام مهمة صعبة في الدور الأول، حيث يصطدم الجزيري المصنف 47 على العالم، مع النجم البريطاني آندي موراي المصنف الأول على العالم، في حين يلتقي بهروزيان مع الروسي دانيال ميدفيديف، المصنف 64 على العالم.

وتنطلق النسخة الخامسة والعشرون من بطولة سوق دبي الحرة، لفئة الرجال، الاثنين وتستمر حتى الرابع من مارس المقبل، ويبلغ مجموع جوائزها 2.67 مليون دولار.

وتشهد البطولة مشاركة النجم السويسري روجيه فيدرر، المصنف العاشر على العالم، والذي قد يواجه موراي في الدور قبل النهائي في حالة تأهلهما، طبقا لما أسفرت عنه القرعة.

وخرجت، الجمعة، الألمانية أنجيليك كيربر من الدور قبل النهائي لبطولة دبي للتنس عقب خسارتها أمام الأوكرانية إيلينا سفيتولينا بنتيجة 6/3، و7/6.

وجاءت الخسارة لتحرم كيربر من استعادة صدارة التصنيف العالمي مجددا، وأشارت كيربر إلى أنها سوف تخلد إلى الراحة لبعض الوقت للتعافي من الإصابة التي تعرضت لها في الركبة قبل المشاركة في البطولات المقبلة.

وقالت كيربر، المصنفة الأولى في البطولة والثانية عالميا، عقب المباراة "سأحاول الاستفادة من الأمور الإيجابية في هذه البطولة، وسوف أذهب إلى ألمانيا لبضعة أيام للتعرف على طبيعة الإصابة التي تعرضت لها في الركبة، قبل المشاركة في بطولة إنديان ويلز الأميركية في شهر مارس المقبل".

وكانت النجمة الألمانية، التي فقدت صدارتها للتصنيف العالمي لمصلحة الأميركية فينوس وليامز مؤخرا، تأمل في التتويج بلقب البطولة من أجل العودة للصدارة في التصنيف الجديد الذي سيصدر الاثنين.

وأوضحت كيربر "من المهم بالنسبة إليّ أن أكون جاهزة من الناحية الصحية، وإذا واصلت السير على هذا النهج الجيد خلال الأسابيع والأشهر المقبلة، سوف نرى ما سيحدث بعد ذلك، لا أبحث عن صدارة التصنيف بقدر الاهتمام باسمي".

مواجهات صعبة

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

«زنقة الستات» سوق بتاريخ حزين يمنح الفرح للمصريين

تعتبر "زنقة الستات" من أشهر الأسواق في مدينة الإسكندرية المصرية، وهو سوق مشهور ببيع المستلزمات والإكسسوارات النسائية، ورغم ارتباط اسم السوق بالثنائي الإجرامي الشهير ريا وسكينة، حيث اتخذتا منه مركزا لاستدراج ضحاياهن لسرقتهن ثم قتلهن، إلا أنه كان ولا يزال على مدار تاريخه يمنح الفرح للمصريين والمصريات، خاصة.

ريا وسكينة مرتا من هنا

❏ **الإسكندرية (مصر)** – رغم الأزمة الاقتصادية التي تعرفها مصر، إلا أن حركة البيع والشراء في شارعي "زنقة الستات" و"فرنسا" بالإسكندرية (شمالي مصر)، لا تتوقف طوال العام، فشارع فرنسا الممتد من ميدان التحرير في حي المنشية حتى حي الجمرك ببحري (غربي الإسكندرية)، لا يخلو من "الزغاريد" في مختلف مواسم السنة، حيث تقع به كبرى محلات الذهب والفضة.

ويتردد على شارع "فرنسا" المقبلون على الزواج لشراء "الشبكة" (هدية ذهبية للعروس قبل الزواج)، ليخرجوا منه لـ"زنقة الستات" لشراء مستلزمات الزواج المختلفة من ملابس وأقمشة وزينة وعطور وزخارف منزلية.

ويقول الحاج محمد إبراهيم، مالك محل للأقمشة، "أنا هنا منذ عشرين سنة، ورثت المحل أبا عن جد، وطوال عمرنا نعمل في القماش وخاصة قماش السهرة والمناسبات، زنقة الستات جزء مني، عشت فيه كل حياتي".

ويضيف الرجل الخمسيني "الشارع دائم الازدحام حتى عندما ينحدر حال الاقتصاد وتغلو البضائع، زحام حتى لو أقبل الناس للفرجة لا للشراء".

وسُمي الشارع بـ"زنقة الستات" نتيجة الزحام الشديد لروّاده، لا سيما من السيدات، رغم أن غالبية من يعمل به رجال، ولا تجد السيدات مشكلة في ذلك، فالباعة يعرضون بضاعتهم بأسلوب ماهر، ويؤمنون أن الابتسامة بوابة العبور لمحفظة نقود النساء.

وكان "البيت الأبيض" من أشهر الأماكن بشارع "زنقة الستات"، وهو مبنى كان مخصصا لفض النزاع بين المتخاصمين من التجار، ولا يخرجون من ذلك المكان إلا بعد أن يُفضّ النزاع عبر حكماء من التجار.

وفي محل آخر بـ"زنقة الستات"، يقف الحاج محمد "الخردواتي" (82 عاما) على الباب يتابع حركة البيع والشراء في محله الشهير ببيع "الخردوات" والإكسسوارات ولوازم الأفراح.

ويحكي "الخردواتي" عن الزنقة وتاريخها وزوارها، قائلا "الزنقة شهدت قصصا كثيرة، منها السرقة، والخطف، ومنها الزواج والزغاريد، يصادف أن تسمع من تزغرد لشراء شبكتها، فيما تصيح أخرى في نفس اللحظة لسرقة مالها". ويتابع الحاج محمد "رأينا فيه كل الأشكال والألوان، يأتي لنا الغني والفقير، مصريون وأجانب، هو مزار سياحي وسوق في وقت واحد، لأنه تاريخ طويل من أيام الاحتلال الفرنسي وسكانه من مختلف الجنسيات".

ويعود تاريخ سوق "زنقة الستات" إلى أوائل القرن الماضي، حيث كان التجار في المغرب العربي وليبيا يتمركزون في حيّ المنشية عند مجيئهم لبيع سلعهم داخل مصر من أقمشة وسجاجيد ومفروشات، وكان يسمّى في البداية باسم "سوق المغاربة"، ويتملك يهود ومغاربة وليبيون وشوام ويونانيون المنازل والمحلات.

وكان شارع فرنسا إسطبلا لخيول الجنود الفرنسيين خلال الحملة الفرنسية على مصر (1798–1801)، ومن هنا جاءت تسميته، في حين أتت تسمية "زنقة الستات" وصفا دقيقا لما يعانيه زائروه أثناء المشي في ممراته الضيقة والمتلئة بالزبائن والعابرين على حد سواء، خاصة قبيل الأعياد والمناسبات.

واكتسب الشارع شهرة أكبر من "ريا وسكينة"، اللتين اشتهرتا باستدراج النساء منه في بدايات القرن العشرين، واختطافهن وقتلهن بعد سرقة ما يحملن من مشغولات ذهبية.

أمل علم الدين تظهر حملها في حفل الـ«سيزار»

❏ **باريس** – ظهرت أمل علم الدين مع زوجها الممثل العالمي جورج كلوني للمرة الأولى منذ الإعلان عن حملها في توأم، وذلك خلال حفل توزيع جوائز الـ"سيزار"، مساء الجمعة، في باريس.

وارتدت المحامية الحقوقية اللبنانية فستانا أبيض اللون، وبدت سعيدة أثناء التقاطها صورا مع زوجها على السجادة الحمراء وداخل الحفل.

وكشف جورج كلوني الثلاثاء الماضي عن سعادته لانتظار قدوم توأمه، حيث لم يؤكد حمل زوجته بنفسه إلا عندما سُئل خلال مقابلة مع برنامج فرنسي عن الأخبار المتداولة عن انتظارهما لمولود.

وتوج الفنان الأميركي المخضرم بـ"الجائزة الفخرية" عن مجمل أعماله الفنية في حفل توزيع جوائز سيزار السينمائية الفرنسية في نسختها الـ42.

وفاز الفيلم الفرنسي "إل" (هي) الذي أخرجه بول فرهوفن بجائزة سيزار لأفضل فيلم، كما حصلت بطلة الفيلم النجمة الفرنسية إيزابيل أوبير على جائزة أفضل ممثلة.

وأوبير مرشحة أيضا للحصول على أوسكار أفضل ممثلة مساء الأحد في حفل توزيع جوائز الأوسكار في هوليوود.

وفي فئات أخرى، فاز فيلم الدراما الاجتماعية "أنا دانيال بليك" للمخرج البريطاني كين لوتش بجائزة أفضل فيلم أجنبي، وفاز المخرج الفرنسي الكندي كزافييه دولان بجائزة أفضل مخرج عن فيلمه "إنها فقط نهاية العالم"، كما فاز الممثل الفرنسي غاسبارد أوليه عن نفس الفيلم بجائزة أفضل ممثل، والذي يؤدي فيه دور مؤلف يحتضر ويعود إلى بلدته بعد غياب دام 12 عاما.

كرنفال ريو دي جانيرو يحارب الفساد

❏ **برازيليا** – يمثل كرنفال ريو دي جانيرو مناسبة للاحتفال والرقص، غير أن الحس النقدي لم يغب عن الحدث الذي انطلق الجمعة ويستمر لأربعة أيام متتالية حتى الإثنين، إذ لم يتوان البرازيليون عن التطرق خلاله إلى الأزمة التي تعصف ببلدهم، كما لم يغفلوا الحديث عن شخصيات عالمية بينها دونالد ترامب.

ومن بين الشخصيات التي استعان بها البرازيليون لإيصال رسائل سياسية خلال الكرنفال، مسؤول الخزانة لدى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، نيكولا فوكيه، والمقصود من هذا الخيار تجسيد ظاهرة باتت ملازمة للمشهد السياسي في البلاد، والمتمثلة في الفساد.

ونيكولا فوكيه، المسؤول في عهد "الملك الشمس"، والذي اتهم باختلاس مبالغ طائلة وأوقف بطلب من لويس الرابع عشر، ستروى قصته الاثنين خلال عرض لمدرسة ساو كليمينتي للسامبا مع عنوان لافت، مفاده "عار على من يسيء الظن". ومن المتوقع أن يكون العرض مميزا، إذ ستطغى عليه أجواء الفخامة المتصلة بالبلاط الملكي في قصر فرساي.

وأوضحت المديرة الفنية للمدرسة روزا ماغالييس، التي أخرجت حفل ختام الألعاب الأولمبية في ريو العام الماضي، "إنه موضوع مسل ويأتي في وقته، لأن الفساد لدى السياسيين ليس وليد الأمس".

ويمثل العرض طريقة للتذكير بالفضيحة الكبرى لشركة "بتروبراس" البرازيلية التي أدت إلى الزج بالعشرات من السياسيين من كل الاتجاهات في السجون، بتهمة اختلاس الملايين من الدولارات من شركة النفط الحكومية عن طريق شبكة واسعة من الرشاوى.

وجسد مجموعة من الأصدقاء موضوع جدار ترامب عبر التجوال في الشوارع مرتدين قبعات مكسيكية الطراز خلف رسوم عليها أحجار طوب.

صباح العرب

حذام خريّف

شارع المتناقضات

❏ من يقول تونس يقول شارع الحبيب بورقيبة، «شانزيليزيه تونس». شارع الحركة فيه لا تهدأ وزيارته تختلف في النهار عن الليل، وفي الصباح عن منتصف النهار، الجولة فيه ممتعة والجلوس في المقاهي الممتدة على طوله أمتع.

حكايات التونسيين والأجانب مع شارع الحبيب بورقيبة تختلف باختلاف الأجيال، فهذا الشارع كما أعرفه أنا يختلف عن ذلك الشارع الذي عرفه والدي مع شباب حركة الطليعة خلال السبعينات من القرن العشرين، وليس بذلك الشارع الذي كان جدي يحدّثني عن مِعالمه وكيف كانٍ في أوائل القرن الماضي.. فلكل حكايته، ولكل ذكرياته معه.

سقطت على وجهي حبات مطر أعادت إلى ذهني صورة جميلة غابرة عن شارع الحبيب بورقيبة، وقت الغروب. أناس كثيرون بعضهم يسرع الخطى والبعض الآخر يتمشى على وقع زقزقة العصافير وهي تغرّد أغنية العودة.. هذا الحبيب يشتري لحبيبته وردة، وتلك أمّ أعياها اللعب مع ابنها فجلست تستريح، وذلك أب يحمل على أعناقه ابنته الصغيرة التي تحاول ملامسة الأضواء فوق الأشجار. وذلك جالس يتصفح الوجوه وآخر يتصفح الجريدة، ومن حين إلى آخر يأتي صوت جرس المترو الخفيف، الذي يشق الشارع إلى نصفين، ليوقظنا من أحلامنا.

على وقع جرس المترو، عدت إلى الحبيب بورقيبة اليوم. تغيرت صورة الشارع كثيرا. وتغيرت ملامح الناس أيضا.. لغة الشباب قست ومشيتهم تغيرت. مسحة حزن بادية على الوجوه. حديث المقاهي تطغى عليه مواضيع السياسة وتذمر من غلاء المعيشة. بحثت بين خطوات الناس المتسارعة والقلقة عن ذلك الأب الذي يحمل ابنته على كتفه، والأم التي تلاحق ابنها فلم أجدهما. غابت محلات الأزهار عن ذلك الممشى الطويل، حتى زقزقة العصافير لم تعد نغمتها كالسابق.

"من هنا انطلقت الثورة.. من كان يتصوّر ذلك؟"، تساءلت وأنا أمرّ أمام مبنى وزارة الداخلية، أتذكّر تفاصيل يوم 14 يناير ولا أظن أن أحدا سينساها. كانت الساعة تشير إلى السابعة صباحا وكنّا مجموعة من الصحافيين والنقابيين والطلبة. في البداية كان أغلب الموجودين مراقبين، ثم شيئا فشيئا بدأت الأشياء تتداخل، وفجأة بدأ الناس يأتون أفواجا، العشرات ثم المئات ثم الآلاف، الصمت يتحول إلى كلام، والهمس أصبح هتافا ثم صراخا.. منذ ذلك التاريخ اكتسى هذا الشارع صفة جديدة زادت من شهرته، إنه شارع الثورة.. شارع الحرية.. شارع تونس بكل تناقضاتها.

في هذا الشارع يقابلك التونسيون الذين رغم سخطهم وغضبهم من حالة البلاد الراهنة تراهم مقبلين على الحياة. لم ينسوا الضحكة رغم القلق. المركب التجاري مكتظ بالناس وأيضا المحلات لا تهدأ فيها الحركة.. المطاعم والمقاهي على جانبي الشارع مازلت على عهدها ملجأ العاطلين ومنبر المثقفين ومجتمع الممثلين ومخبأ العاشقين واستراحة العابرين. اعتصام هنا، ومظاهرة هناك، هذا يشتم ذاك، وتلك تترحّم على الأيام الخوالي، هذا يهاجم وذلك يساعد.. حبيبان وسط الطريق يمسكان يدا بيد ووراءهما امرأة منقبة لم يعجبها الحال.